

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

غير مخصص للبيع

ISSUE 114 - 10th YEAR - AUG/SEPT. 1986.

العدد (١١٤) ـ ذو الحجة ١٤٠٦ هـ ـ السنة العاشرة ـ آب (أغسطس) / أيلول (سبتمبر) ١٩٨٦م.



في هذا العدد

﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ صدق الله العظيم .

صورة الغلاف لهذا العدد لمواكب الخير يجمعها صعيد واحد في عرفات ، في اليوم التاسع من هذا الشهر .. جاءت ملبية داعية .. لا فرق بين غنيهم وفقيرهم وبين أسودهم وأبيضهم .. كلهم أمام الله سواء بالتقوى والعمل الصالح لا بالجاه والمال والنسب .

بعد أن يفرغ الحجاج من أداء مناسك الحج ، يتجهون إلى المدينة المنورة التي شرفها الله بآخر رسله حيث رفاته الطاهر ومسجده .. يذهبون للزيارة والسلام على خير الخلق عليه الصلاة والسلام .. وفي المدينة تتثال ذكريات مواكب شهداء الدين الحنيف .. دين العدل والحرية والكرامة .

صورة الغلاف الأخير من المشاهد الجليلة للمسلمين في المسجد النبوي بالمدينة المنورة وهم يؤدون أحد الفروض المكتوبة ، ساجدين لخالق الخلق .. رب العالمين .. كلهم يرجون رحمته وغفرانه .

لك اللهم الحمد على ما أوليت المسلمين في الديار المقدسة من نعم .. وحجاً مبروراً ، وكل عام والمسلمون في كل ديار الأرض في خير ويسر وأمان ورخاء .. وما ذلك على الله بعزيز .


يا راجل استحي
عيب ترمي القمامة على
الناس في الشارع...
!!



مدينة وتاريخ

رابغ.. أول

تعد مدينة رابغ بالمملكة العربية السعودية، إحدى المدن التاريخية.

وتقع على بعد مائة وخمسين كيلومتراً إلى الشمال من مدينة جدة، وعلى بعد



★ قصر علياء ★

سهم في الإسلام

بقلم: علي محمد الرابغي
تصوير: محمد بير

مائتين وخمسة وعشرين كيلومتراً من مكة المكرمة، كما تبعد بحوالي ثلاثمائة وخمسة وسبعين كيلومتراً عن المدينة المنورة. وهي تقع على خط الطول ٣٩°، وعلى دائرة العرض ٢٢,٤٨°. أما إمارتها الحالية فتقع في

★ مباني رابغ القديمة ★



سهل الحجاز بين خطي الطول ٣٨,٥٠° و ٣٩,٤٠°، وبين دائرتي العرض ٢٢,١٠° و ٢٣,٣٠°. وتشغل رابغ الهوامش الشرقية كدلتا وادي رابغ، كما أنها مصب لكثير من الوديان منها وادي مرّا، ووادي النويبع وغيرها.

رابغ .. في اللغة

ورد في صحاح الجوهري، أنه إذا قيل أزبغ فلان إبله، أي تركها ترد الماء كيف شاءت. ومن ذلك يقال: تُركت إبلهم هَمَلاً مُرْبَغة.

أما الفيروزآبادي فيقول في القاموس:

زبغ القوم في النعم: أقاموا فيه.

وعيش رابغ: عيش ناعم.

وربيعٌ رابغ: ربيعٌ مخصب.

والرّابغ: من يقيم على أمر ممكن له.

والرَّبغ: سعة العيش.

أما اسم رابغ عند القدامى:

فقد ضبطه ياقوت الحموي في معجم البلدان (جـ ٥، ص ١١)، فقال: رابغ بالألف الموحّدة والغين المعجَمة.

وضبطه صفي الدين البغدادي في مراصد الاطلاع (ص٥٩٣)، فقال: رابغ بعد الألف باء موحّدة وآخره غين معجَمة.

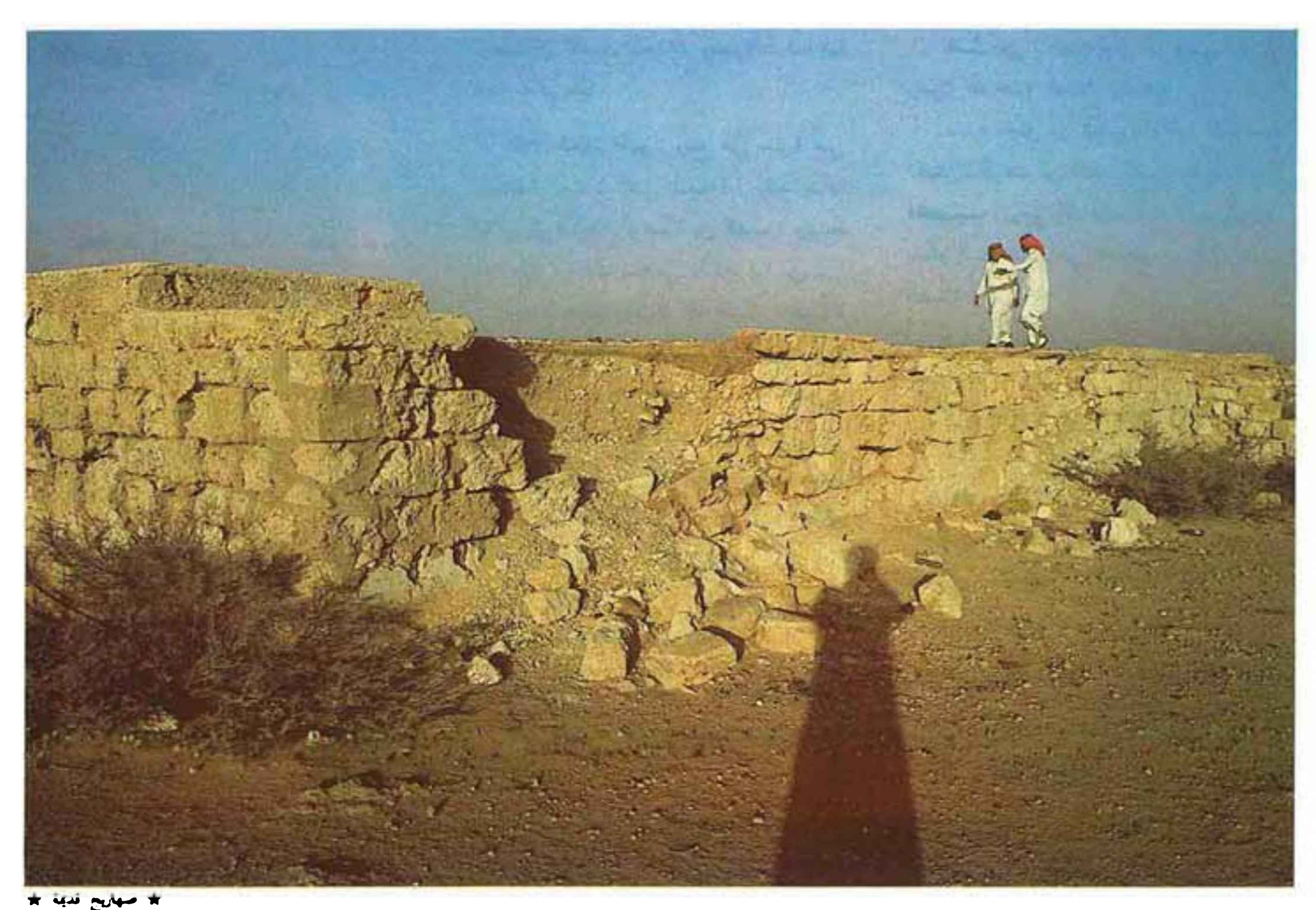
أما البكري صاحب معجم ما استعجم (جـ٢، ص ٦٢٥)، فقد ضبطه: بكسر ثالثه وبالغين المعجَمة.

رابغ .. في التاريخ

لا شك أن رابغاً قديمة جداً، وترجع إلى ما قبل الإسلام. أما تحديد ظهورها فصعب، لعدم وجود مراجع في العصر الجاهلي عن هذا التحديد. ولكن القرائن النقلية والعقلية تشير إلى عراقتها في القدم. ومن القرائن النقلية أن الشعراء، وخاصة الشعراء الجاهليين، ذكروا اسمها في قصائدهم، ومنهم دريد بن الصمة الذي امتدحها ووصفها بالرغد الذي اشتق اسمها منه

غشيتُ برابغ طَلَلاً محيلا
أبت آياته الا تزولا

ودريد بن الصمة عمر طويلاً، وذكر عنه أنه غزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها، وأنه عاش حتى سقط حاجباه عن عينيه من الكبر، وأن ربيعة بن رفيع السلمي قتله يوم حنين عام ثمان للهجرة، وهو على دين الجاهلية. فإن كان وصفه لرابغ من شعر شبابه، فإن هذا الوصف يرجع إلى ما قبل سبعين أو ثمانين سنة من البعثة. وقوله [أبت



★ صهاريج قديمة ★

آياته ألا تزولا] يدل على عراقة رابغ في القدم، حتى أن الأحداث التي مرت عليها لم تؤد بها إلى الزوال.

ومن الأدلة النقلية على قدم رابغ، ما ذكره رسول الله **صلى الله عليه وسلم** عند مروره **بوادي عُسفان**، وفي أقرب طرقه لرابغ فقال: **«لقد مرّ به هود وصالح على** بكرين أحمرين خطامهما الليف، يلبُّون ويحجون». ويؤكد هذا الحديث الشريف أن طريق عُسفان هو طريق الحج قديماً، وهو طريق القوافل، وطريق قوافل قريش التجارية قبل الإسلام بين مكة المكرمة، والمدينة المنورة والشام.

أما **الأدلة العقلية** على قدم رابغ، فقد ورد في **سيرة ابن هشام** (جـ ٢، ص ٢٤١)، أن **رابغ واحة خضراء**، تصب فيها سيول الوديان المجاورة، وفيها الماء العذب.. وكانت تسمى **ماء الحجاز** لوفرة مياهها.. فليس من المعقول أن تمر القوافل بطرق كلها قاحلة ماحلة، وتترك الماء والخضرة والعيش الرابغ.

ومن الأحداث التاريخية الثابتة، أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، مر بمنطقة رابغ في طريق هجرته من مكة المكرمة إلى يثرب.

وعن الجزء الذي سلكه في منطقة رابغ، يقول **ابن هشام** إن دليل رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، واسمه **عبد الله بن أرقط** ـ أو اريقط ـ قد سلك به، ومعه **أبو بكر الصديق**، رضي الله عنه، عدداً من الأماكن والدروب في منطقة رابغ منها:

عُسفان ـ أمج ـ قُديد ـ الحزار ـ المرْة ـ لقف.

هذا، وبعد الهجرة، شهدت رابغ عدداً من الغزوات نذكرها فيما يلي:

●● غزوة ودان (أو الأبواء): وقعت في شهر صفر، بعد اثني عشر شهراً من الهجرة.

●● سرية عبيدة بن الحارث: وكانت بعد مرور ثمانية شهور من الهجرة. وفيها بعث رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بسرية بقيادة **عبيد الله بن الحارث بن عبد المطلب** في ستين راكباً إلى رابغ، حيث التقى **بأبي سفيان بن حرب** على ماء يقال له **أحياء** ـ من بطن رابغ ـ وأبو سفيان يومئذ في مائتين. فكان **سعد بن أبي وقاص هو أول من رمى بسهم في الإسلام، وفي رابغ** (انظر: المغازي للواقدي).

●● سرية غالب بن عُبد الله الليثي: بعثه رسول الله عليه الصلاة والسلام على **بني الملوّح**.

●● سرية حمزة رضي الله عنه: وهي التي خرج فيها حمزة على رأس ثلاثين راكباً للقاء **أبي جهل بن هشام**، الذي كان على رأس ثلاثمائة راكب.

●● سرية أبي عبيدة بن الجراح: إلى سيف البحر.

●● **غزوة بني لحيان**: وفيها خرج رسول الله ، **صلى الله عليه وسلم** ، للقاء بني لحيان ، وكانت منازلهم تقع بين **عسفان وأمج** ، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى بعد ستة شهور من **فتح قريظة** .

●● **غزوة بني المصطلق** : (أو غزوة **المريسيع**) ، وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم للقاء **بني المصطلق** وقائدهم **الحارث بن أبي ضرار** ، وذلك عند ماء يقال لها **المريسيع** ، من ناحية **قديد** عند الساحل .

أماكن لها تاريخ

في منطقة رابغ ، عدد من الأماكن التي ارتبطت في الأذهان بأحداث ومدلولات تاريخية هامة نذكر منها :

●● **غدير خم** : وتقع على مقربة من الجحفة (ميقات أهل الشام) ، وقد بناها **كلاب بن مُرّة ، أو مُرّة بن كعب** . ويرتبط هذا الموقع بحدث إسلامي نذكره فيما يلي :

عندما حج رسول الله عليه الصلاة والسلام **حجة الوداع** ، كان **علي بن أبي طالب** – كرم الله وجهه – **في اليمن** ، وحضر من هناك مع جنده لأداء الحج مع رسول الله . ثم تعجل إلى الرسول ، واستخلف على جنده رجلاً من أصحابه . فعمد ذلك الرجل إلى كسوة الجند بحلل من البز الذي كان مع علي . فلما دنا الجيش ، خرج علي ليلقاهم فإذا عليهم الحلل .

فقال علي لمن استخلفه : ويلك ، ما هذا ؟

قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا في الناس .

فقال علي : انزع قبل أن ينتهي به إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام .

فانتزع الحلل من الناس ، فأظهر أفراد من الجيش شكواهم من ذلك . ثم إن **بريدة بن الحصيب** ، رضي الله عنه ، جاء رسول الله يشكو إليه علياً رضي الله عنه . فقال عليه الصلاة والسلام :

« يا بُريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟

فقال بريدة : بلى يا رسول الله .

فقال : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » .

●● **ومن الآبار التي كانت تسقي الحجيج لدى مرورهم برابغ :**

١ – **السنبلة** : وحفرها **بنو جمح** .

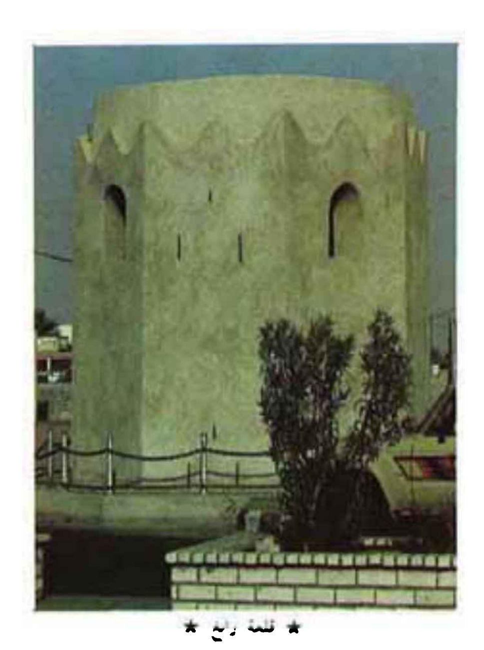
٢ – **الغمر** : وحفرها **بنو سهم** .

٣ – **رم** : وحفرها **مرة بن كعب** .

٤ – **الحفر** : وحفرها **بنو كعب** أيضاً .

٥ – **خم** : الذي ذكرنا قصتها أعلاه .





★ قلعة رابغ ★

●● **ومن الأماكن التي لها تاريخ في رابغ ، نذكر صنم مناة** . وقد هدم الصنم ، وزالت دار عمر بن الجموح التي كان فيها الصنم ، كما زالت **مدينة ودان** التي عاش فيها آل الجموح .

هذا ، وخلال الفترة الواقعة بين منتصف القرن الخامس الهجري ، وحتى النصف الأخير من القرن السابع الهجري ، تعرض الساحل الغربي للبحر الأحمر لغارات القراصنة الصليبيين ، فاتجهت طرق قوافل الحجيج إلى الداخل . وفي ذلك **يقول المقريزي في الخطط :**

« أقام حجاج **مصر والمغرب** زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة المكرمة إلا من **صحراء عيذاب** . يركبون **النيل** من ساحل مصر (الفسطاط) إلى **قوص** ، ثم يركبون الإبل من قوص ، ويعبرون هذه الصحراء ، ثم يركبون البحر في الجلاب إلى **جدة** » .

هذا ، ومن القرى التي عُرفت منذ **العصر الجاهلي** .. فقد ذكر المؤرخون قرى :

حجر ، والأبواء ، ومستورة ، وكلية .

أما القرى التي نشأت في **العهود الإسلامية** فهي :

القضيمة ، والنويبع ، وقعينية .

وأما القرى الحديثة النشأة فهي :

تول ، وصعبر ، والحصنية ..

وفي **الحصنية** كان يتوفر عدد جيد من الآبار والأراضي الزراعية . إلا أن وقوعها في منطقة ضيقة بين الجبال ، يجعلها تتعثر في لحوقها بركب غيرها من القرى ذات المواقع الجيدة .

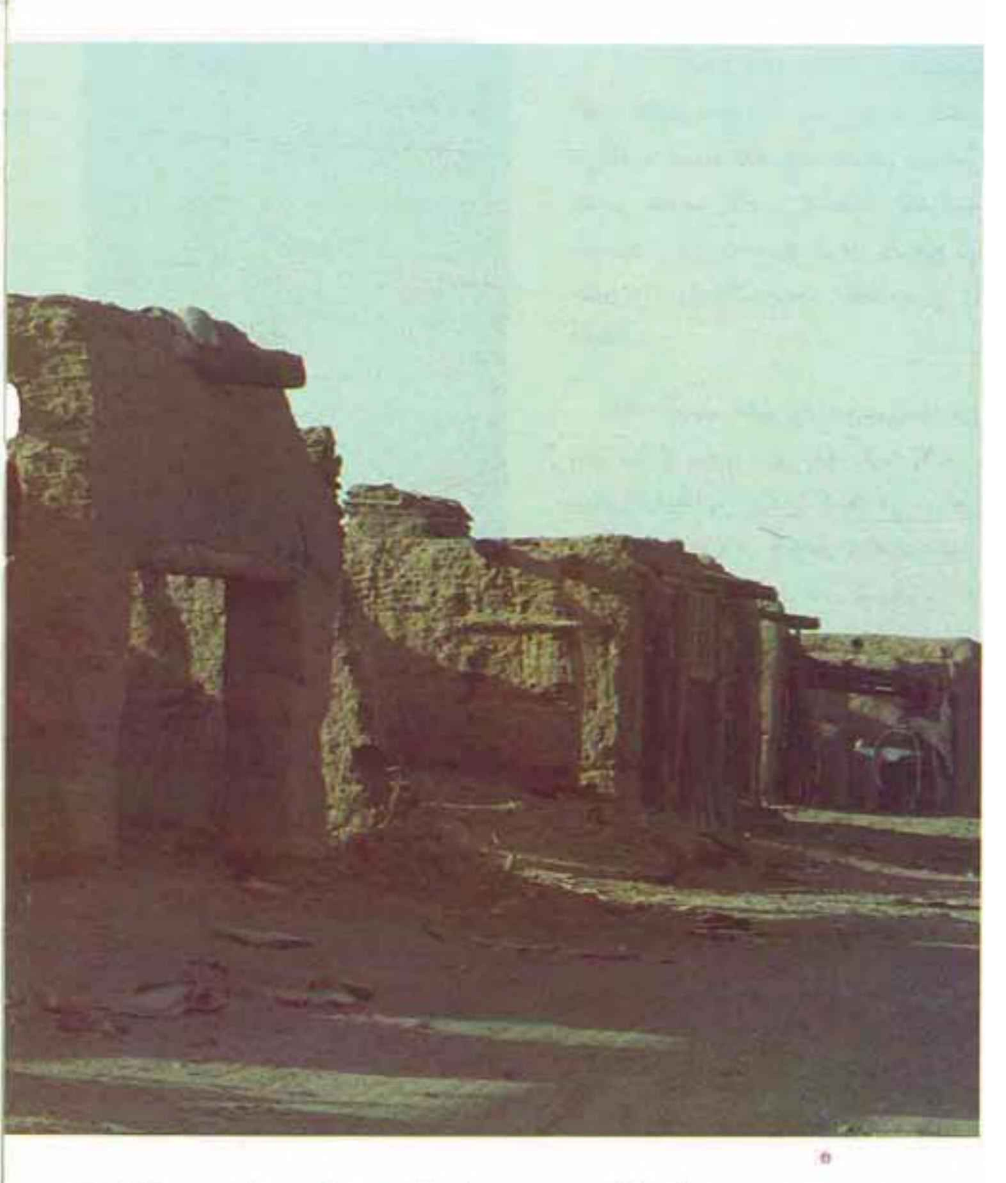
أما القرى التي اندثرت فنذكر منها :

●● **الجحفة :** وقد اندثرت بعد حياة طويلة **فورثتها رابغ** .

●● **ودان :** حيث كانت **الغزوة الأولى لرسول الله عليه الصلاة والسلام** .. وورثتها **مستورة** .

●● **الأبواء :** مثوى **السيدة أمنة بنت**

★ وادي الأبواء ★



وهب ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رابغ .. في كتب الرحلات

ورد ذكر رابغ في عدد من كتب المؤرخين الذين مروا بها أثناء أدائهم فريضة الحج ، وأشاروا إليها في كتبهم . ومن هؤلاء :

- العبدري : وقد حج عام ٦٨٩ هـ .
- ابن بطوطة : وحج في عام ٧٢٧ هـ .
- شهاب الدين أبو البقاء : وحج عام ٨٨٤ هـ .
- السمهودي : وحج في القرن العاشر الهجري .
- الموسوي : وحج في القرن الحادي عشر الهجري .

رابغ .. وقبائل العرب

بعض القبائل التي سكنت في منطقة رابغ ، أو أقامت بها ، أو حلّت بها وارتحلت عنها . . . بعض تلك القبائل من المُستَعرِبة (وهم ولد إسماعيل عليه السلام) ، وبعضها من القبائل اليمنية المعاربة (وهم اليمنيون المنتمون إلى يعرب بن قحطان) . وأشهر تلك القبائل :

خزاعة - بنو سليم - بنو لحيان - بنو ضمرة - بنو سهم - كنانة - كلاب بن مرة - بنو الملوّح - بنو مازن بن أسد - بنو المصطلق - وحرب .

وقد تركت أكثر هذه القبائل بصماتها على تاريخ هذه المنطقة . ومن ذلك نشير إلى ما يلي على سبيل المثال لا الحصر :

★ خزاعة : تولت ولاية البيت الحرام ، بعد جرهم ، إلى أن أجلاهم عنها قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم فهبطوا بطن مر .

★ بنو سليم : وكانت ديارهم شرق ديار خزاعة . ومن مفاخر هذه القبيلة قول النبي صلى الله عليه وسلم : «أنا ابن العواتك من سُليم» .

ومن خزاعة الذين كانوا في منطقة رابغ ، عرف عدد كبير من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام نذكر منهم :

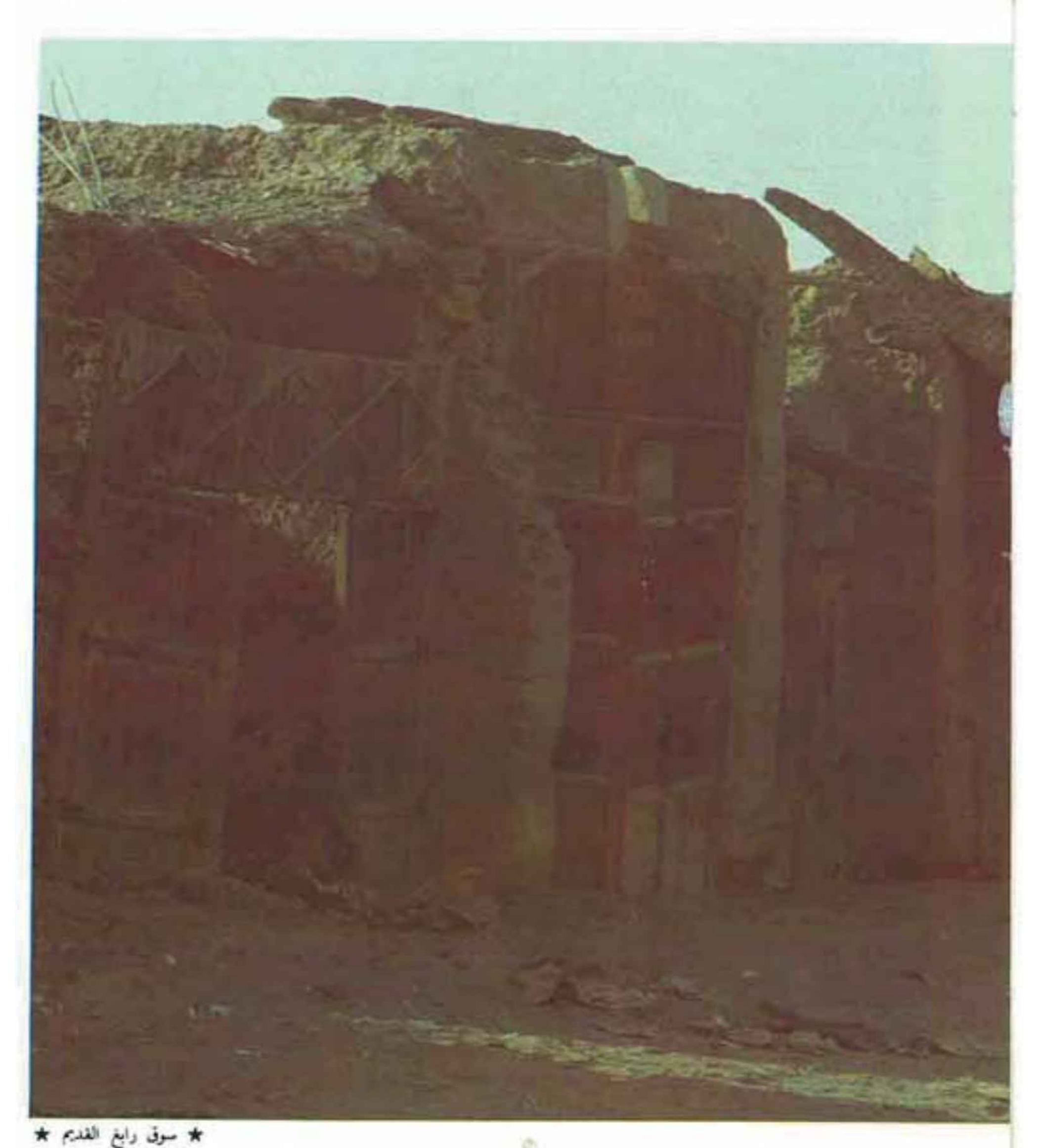
خبّاب بن الأرت (الذي كان يُقرئ فاطمة بن الخطاب القرآن الكريم مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو) ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة ، ومعبد بن أبي معبد الخزاعي ، وأم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية زوجة رسول الله ، لأن بني المصطلق من خزاعة .

أما بنو سليم ، فقد أخرجت عدداً كبيراً من الصحابة نذكر منهم :

عتبة بن بهز ، عنترة مولى سليم بن عمرو ، وعروة بن أسماء بن الصلت .

وأما منطقة رابغ ككل ، فقد خرج منها أكثر من ثلاثين صحابياً جليلاً ، نذكر منهم ممن حضروا بدراً كلا من : عثمان بن مظعون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وقدامة بن مظعون ، وخنيس بن حذافة ، ومعمر بن الحارث .

كما خرج من رابغ معاذ بن جبل وعبد الله بن حذافة .



★ سوق رابغ القديم ★

مزايا الموقع

تتمتع منطقة رابغ بعدد من المزايا التي يضفيها عليها موقعها منها :

١ ـ **دلتا وادي رابغ :** وهي أراض خصبة ، غنية بالمياه السيلية والجوفية .. مما يسهل إمكانية زراعتها والاستيطان بها ، إلى جانب توفر الرواسب الطينية التي تستخدم كمواد أولية للبناء .

٢ ـ **توفر مصادر المياه :** وهي عالية المنسوب ، سهلة المنال ، بحيث يمكن التوصل إليها بعد الحفر لعمق مترين أو ثلاثة أمتار ، ومنها آبار : **الحجيرية ، وعثمان ، وباعبود ، وبن حميد ، وقفيف ، ورحمة ، وعمر إسماعيل ، وعباس بن سباع ، والقبطان ، وبلال ، وفضل ، وبئر المسجد .**

٣ ـ **الموقع المتوسط :** حيث تقع رابغ بين كل من **مكة المكرمة والمدينة المنورة** ، وبين **جدة وينبع** .. مما جعلها نقطة التقاء لمجالات وطرق عديدة منذ القدم وحتى الآن .

٤ ـ **الميناء :** ويعتبر ميناء رابغ واحداً من أهم الموانئ البحرية . وقد كان له دور بارز **في تنشيط الحركة التجارية في الحجاز ،** حيث كانت سلع الفحم النباتي ، والحيوانات ، والصوف ، والعسل تُصدَّر عن طريقه إلى كل من **مصر والسودان** . وعندما حوصرت مدينة **جدة** في عام ١٣٤٣ هـ ، أعلن المغفور له **الملك عبد العزيز آل سعود** ـ يرحمه الله ـ أن السبيل إلى الحج ميسر ، وأن مكة المكرمة مفتوحة عن طريق رابغ والليث . وبالفعل تقدم بعض الحجاج الهنود عن طريق رابغ وأدوا حجهم .

٥ ـ **الصيد البحري :** وهو متوفر على شواطئها ، حيث يوجد **شرم السلاوي** ، في شمال غربي رابغ ، **وشرم رابغ** في جنوبها الغربي .. الأمر الذي يمد المدينة وسوقها التجاري بكميات كبيرة من الأسماك .

المعالم الطبيعية

أراضي منطقة رابغ كثيرة الجبال قليلة السهول . سهلها الساحلي الموازي للبحر الأحمر يعرف **بسهل تهامة** ، أو تهامة الحجاز ، تمييزاً له عن تهامة عسير وتهامة الشام . جبال كتلة **حرة رهاط** ، وهي كتلة ضخمة من الصخور ، يصل ارتفاع بعض قممها إلى ألفين وخمسمائة متر فوق سطح البحر ، وتقع شرق المنطقة .

أما في **سهل رابغ** ، فتكثر الشروم والأذرع البحرية المندسة في اليابسة مثل **شرم رابغ ، وشرم قضيمة** ، وفي ساحل رابغ **جزر مرجانية** تشكل شريطاً عريضاً يكاد يوازي خط الساحل .

وأما **الوديان** ، ففي شرق منخفض رابغ ، تتقابل كثير من الأودية منها **أدخيمس** الذي يصب فيه كل من **وادي الخمس ، ووادي الحمضة ، ووادي النويبع** . وإلى الجنوب من النويبع يوجد **وادي مر** ، ويصب فيه أودية **السدير ، وحيا ، وتماية ، وحجر ، وخضرة** . وإلى الجنوب من رابغ ، يوجد **وادي حشاش ، ووادي جرية** . أما في شمالها ، وقرب مستورة ، فهناك **وادي نهدي** ـ وهو وادي النخيل ـ . وفي الشمال الشرقي ، نرى **وادي الأبواء** بفروعه المتعددة .

هذا ، وتكثر بمنطقة رابغ **الكثبان الرملية** بنوعيها الشاطئية والساحلية .



★ وادي رابغ ★

رابغ.. أول سهم في الإسلام

النباتات البرية

ينمو بمنطقة رابغ عدد من النباتات البرية ، ذات الجدوى العالية في الاستخدامات الطبية والعلمية . ومن هذه النباتات : **العرعر والمانجروف** ، إلى جانب حشائش الثمام ، والدخن البري ، والقد ، والحمري ، والفرقا ، والمالحي ، والنصغ الحمري ، والقماس ، والسمر .

ومن النباتات الشجيرية ، توجد **الرمث والحراز والواد** . كما تنمو بالمنطقة أشجار **الأكاسيا ، والسلم ، والأراك ، والأثل** .

النشاط الزراعي

تبلغ مساحة الأراضي المزروعة في رابغ ٢٣٨٦١ كيلومتراً مربعاً ، منها نسبة حوالي ٧٠٪ متركزة في وادي رابغ . كما يبلغ عدد حيازات مصادر الري (الآبار الأرتوازية ، والسيول ، والآبار اليدوية ، والعيون) ١١٥٠ وحدة .

ومن أهم المحاصيل الزراعية بالمنطقة : النخيل ، والبطيخ ، والقمح ، والبصل ، والذرة الرفيعة (الدخن) ، والخضروات .

هذا ، والرعي من الحرف السائدة في رابغ ، ويبلغ عدد حيوانات الرعي ـ الماعز والضأن والإبل ـ ١١٣٠٤٥١ رأساً .

السكان والخدمات

يبلغ عدد سكان رابغ ـ حسب تعداد عام ١٣٩٤ هـ ـ ٣٠٨١٥ نسمة . وقد **وصل التيار الكهربائي والهاتف إليها** في عام ١٣٩٨ هـ . وفي عام ١٣٩٩ هـ ، تم إدخال الميكرويف لخدمة البرقيات بالمنطقة . . ويتوفر فيها اليوم كل المرافق الحيوية لأية مدينة حديثة في العالم .

الأسواق العامة

عرفت رابغ **الأسواق التجارية** منذ القدم ، نظراً لوقوعها على طريق الحج ، وقربها من البحر الأحمر ، ووجود عدد من القرى والهجر القريبة منها ، التي ينزح أهلها إلى رابغ لبيع المواشي ، ومنتجات الألبان ، والحبوب ، والخضروات بها ، كما يشترون منها المنسوجات والأجهزة والأثاث .

وأشهر أسواق رابغ ، **السوق القديم** ،



★ وادي الخكاك ★

ويتميَّز بمبانيه الطينيه وطرقاته الضيقة ، ثم سوق **باعبود** . ومـن الأسـواق الحـديثة أسـواق الذهب ، ومواد البناء .

ومن الصناعات اليدوية التقليـدية ، تـوجد **صناعات الخيـام ، والبُسُط ، والأدوات المنزلية** .

الفنون الشعبية

توارث الأبناء عن الآباء عدداً مـن الفنـون الشعبية نذكر منها :

أ ـ لعبة الزير .

ب ـ الكسرة .

جـ ـ الزومال .

د ـ العرضة .

كما تنتشر في رابغ **المحاورات الشعرية** . . وفيها يقف المشـتركون على صـفين ، لـكل منهما شاعر معروف من أبناء رابغ . ثم تبـدأ المحـاورة الشعرية بين الشاعرين ، بينما يردد أفراد الصـف كل مقطع ينطق به شـاعرهم ، وهـم يـرقصون ويقفزون . ثم يرد الشـاعر الثـاني فيقـوم أفـراد صفه بما قام به أفراد الصف الأول وهكذا .

وبعد . .

فهذه هـي رابغ . . تـاريخ نـابض طـويل ، وحـاضر مـوفور المعـطيات ، ومستقبل باسم الثغر ، حلو القسمات . .

شعراء خرجوا من رابغ

أنجبت رابغ حـوالي مـائتين مـن فحـول الشعراء ، نذكر منهم :

(١) البراض بن قيس .
(٢) حذيفة بن غانم .
(٣) عثمان بن مظعون .
(٤) ملكان بن كنانة .
(٥) الكميت بن زيد .
(٦) عمير بن قيس (المسمى : جذلُ الطعان) .
(٧) عون بن أيوب .
(٨) أبو المطهر إسماعيل بن رافع .
(٩) عمرو بن سالم الخزاعي .
(١٠) الجون بن أبي الجون .
(١١) أبو عزة الجمحي .
(١٢) مسافع بن حذافة .
(١٣) الحجاج بن علاط .
(١٤) أنس بن عباس .
(١٥) عباس بن مرداس .
(١٦) عبد الله بن الحارث السهمي .
(١٧) كثير عزة .
(١٨) نصيب بن رباح .
(١٩) سراقة بن جعشم .



★ مستشفى رابغ ★

رابغ .. أول سهم في الإسلام

هي رابغ .. حيث أول سهم رُمـي في الإسلام .

شكر وتقدير

لا بد لي أن أشكر كل من ساعدني في إعداد هذا الموضوع ، وهم كثر ، أخص بالذكر منهم :

- كلية علوم البحار ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة .
- كليه الآداب والعلوم الإنسانية .
- الأستاذ محمد أسامي .
- مدير المعادن والثروة المعدنية في جدة .

أسماء بعض الصحابة الذين خرجوا من رابغ

(١) عثمان بن مظعون (حضر بدراً) .
(٢) السائب بن عثمان بن مظعون (حضر بدراً) .
(٣) قدامة بن مظعون (حضر بدراً) .
(٤) عبد الله بن مظعون (حضر بدراً) .
(٥) حاطب بن الحارث بن معمر .
(٦) فاطمة بنت المجلل (زوج حاطب) .
(٧) محمد بن حاطب .
(٨) الحارث بن حاطب .
(٩) حطاب بن الحارث .
(١٠) فكيهة بن يسار (زوج حطاب بن الحارث) .
(١١) سفيان بن معمر .
(١٢) جابر بن سفيان بن معمر .
(١٣) جنادة بن سفيان بن معمر .
(١٤) حسنة (زوج جنادة) .
(١٥) شرحبيل بن حسنة (القائد البطل المشهور) .
(١٦) عثمان بن ربيعة بن أهبان .



★ شوارع رابغ الحديثة ★

(١٧) خنيس بن حذافة (حضر بدراً).
(١٨) عبد الله بن الحارث.
(١٩) هشام بن العاص.
(٢٠) قيس بن حذافة.
(٢١) أبو قيس بن الحارث.
(٢٢) عبد الله بن حذافة.
(٢٣) الحارث بن الحارث بن قيس بن عدي.
(٢٤) معمر بن الحارث (حضر بدراً).
(٢٥) بشر بن الحارث.
(٢٦) سعيد بن الحارث.
(٢٧) السائب بن الحارث.
(٢٨) عمير بن رئاب.
(٢٩) معاذ بن جبل (حضر العقبة الأولى).
(٣٠) معاذ بن عمرو بن الجموح (حضر العقبة الأولى).
(٣١) عمرو بن الجموح.

وجميع هؤلاء كانوا من الصحابة الأول الذين هاجروا الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة ثم أسلم بعد الشر.

المصادر والمراجع

١ ــ سيرة ابن هشام.
٢ ــ سيرة مغازي الواقدي.
٣ ــ التنبيه والإشراف للمسعودي.
٤ ــ المناسك للحربي ــ تحقيق الشيخ حمد الجاسر.
٥ ــ صبح الأعشى، للقلقشندي.
٦ ــ معجم ما استعجم، للبكري.
٧ ــ معجم البلدان، لياقوت الحموي.
٨ ــ كتب الأستاذ عاتق البلادي، عن القبائل، والمعالم، والهجرة.
٩ ــ وفاء الوفاء، للسمهودي.
١٠ ــ معجم القبائل العربية، لعمر رضا كحالة.
١١ ــ بني سليم، للشيخ عبد القدوس الأنصاري.
١٢ ــ طريق الهجرة، للشيخ عبد القدوس الأنصاري.
١٣ ــ رحلة ابن بطوطة.
١٤ ــ رحلة الشتاء والصيف للموسوي.
١٥ ــ الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر، لابن محمود عبد الله.
١٦ ــ المفصل في تاريخ العرب، لجواد علي.

لوحة وفنان

★ ★

اللوحة : منظر طبيعي

★ ★

● يصور الفنان بيت بيكارت في هذه اللوحة ، كما في جميع لوحاته مشهداً من الطبيعة ، فهو يتأمل الجمال الكامن في الطبيعة التي حولنا ، والتي نشاهدها كل يوم لكننا لا نشعر بها .. فهو يقدمها لنا عبر لوحته لكي نراها .. فهو هنا يبدع لكي يكشف عن جوانب الطبيعة الحسية ، وليربط الإنسان بالواقع المحيط به من خلال تأمله ، والاستمتاع به ، والنظر إلى جوهره ..

● يمزج الفنان بين الطبيعة الخارجية المتمثلة في السماء والجبال والأعشاب ، والطبيعة داخل أحد الأماكن سواء كان قصر أو فيلا أو منزل أو فندق .. فهو يذيب الطبيعة الداخلية في الخارجية في هذه اللوحة مكوناً تكويناً بالغ الرقة والجمال ، ويقدمه في إطار معاصر وفق أسلوب مدرسة الواقعية الجديدة التي تقوم على تصوير الواقع أو الطبيعة وإعادة صياغته وفق أسس وعناصر العمل الفني والقوانين الجمالية والتشكيلية الحديثة .

● استخدم في تصويره الأشجار والأزهار والمياه والمزهريات والعمارة والمنحوتات ألواناً متباينة ومنسجمة وذات هارمونية بالغة العذوبة والجمال ، وقد تعامل مع الضوء والظل وفق المنهج الأكاديمي ، فالضوء من مصدر واحد وظلال الأجسام تسقط على الأرض بالزاوية المناسبة مع مصدر الضوء .. والتكوين في اللوحة أكاديمي تقليدي ، راسخ البناء ، فالثقل يتمثل في الأرضية في النصف الأسفل من اللوحة ، وكذلك في الجانبين ، أما الجزء العلوي فيتضمن الفراغ الذي يتوازن ويتآلف مع الكتل ويشكل البعد الثالث في اللوحة .

● ويبرز الفنان مهارته في الرسم وفي الأداء من خلال قدرته على تصوير الخامات والعناصر الطبيعية المختلفة ، فهو يعطي كل جسم ملمسه الخاص ، فتختلف ملامس الرخام عن المزهريات الخزفية عن المياه وعن النباتات والأشجار والأزهار .. وتهدف اللوحة بصفة عامة ، إلى بث الراحة والهدوء والاستقرار والسلام في نفس المتلقي ولعمل معادل حسي وموضوعي بين المتلقي والواقع المحيط به .

★ ★

الفنان : بيت بيكارت

★ ★

BIET BEKAERT

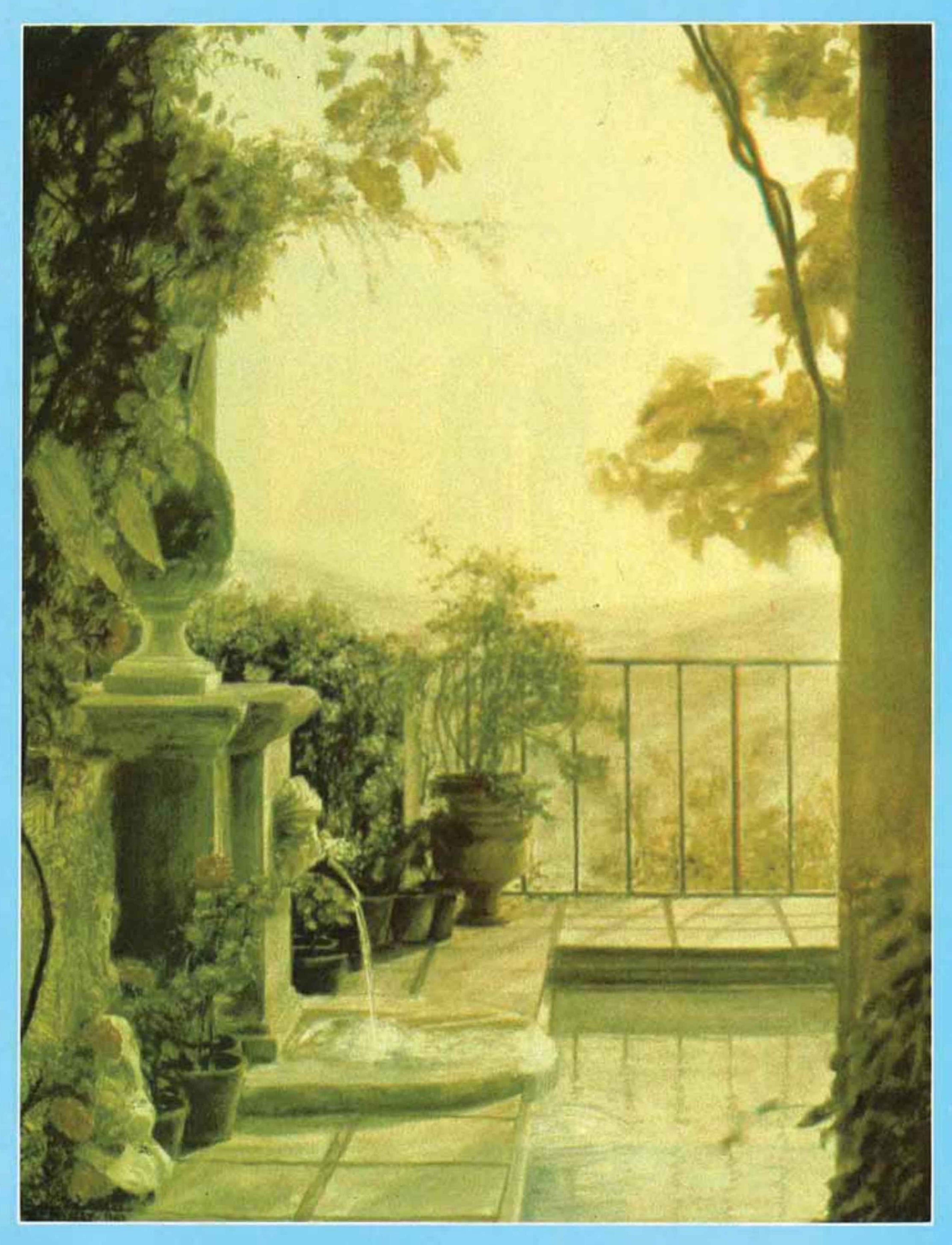
● ولد في فيشتي في بلجيكا عام ١٩٣٩م .

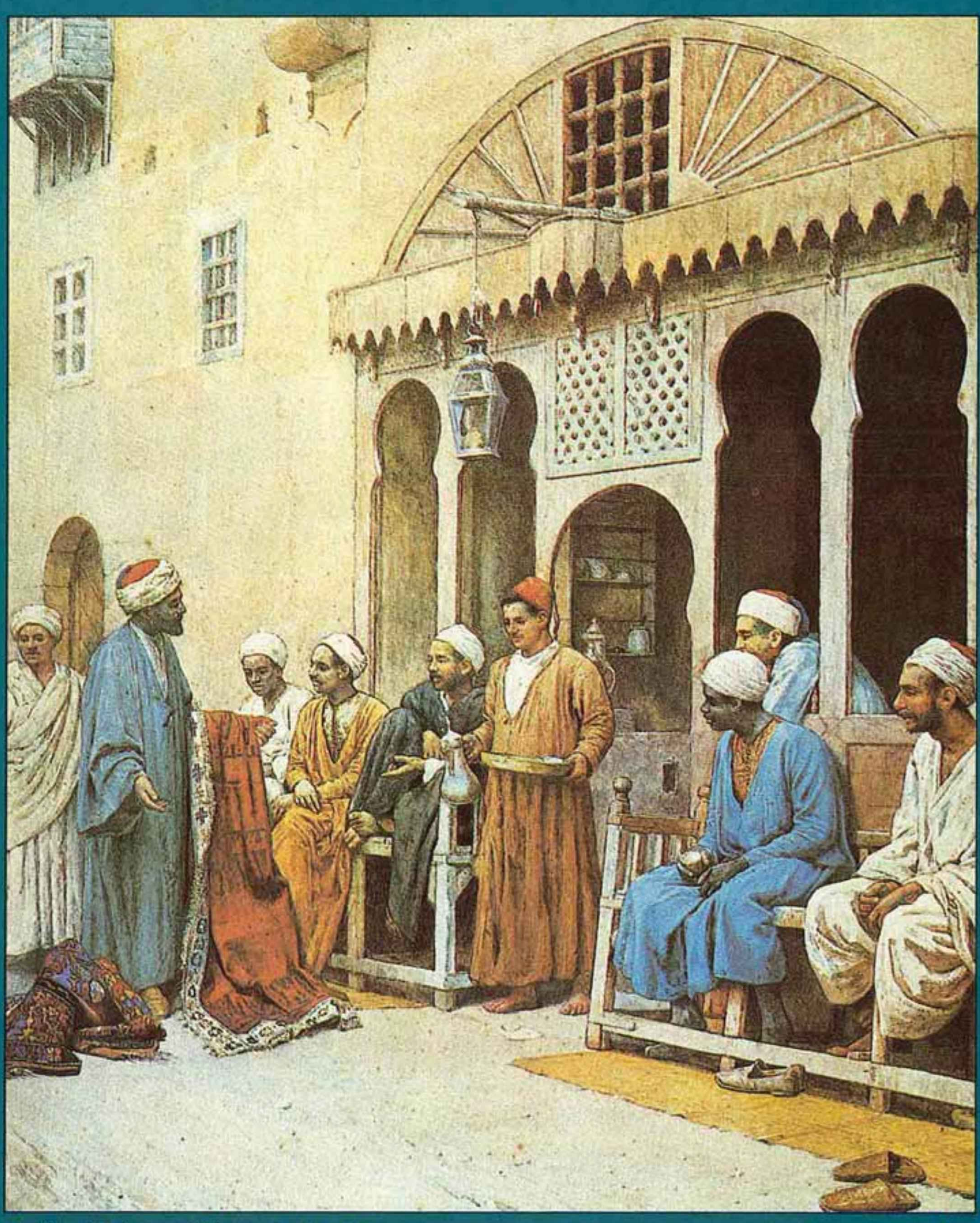
● حصل على شهادة الماجستير في العلوم من معهد برات بنيويورك ، ودَرَسَ الفن في أكاديمية جوليان بباريس وتخرج منها عام ١٩٧٠م ، ثم استكمل دراساته الفنية بالأكاديمية الفنية الملكية ومعهد سانت لوقا في جهينت GHENT ببلجيكا .

● أقام العديد من المعارض الشخصية في الأماكن وخلال الأعوام التالية : مبنى ميركاتور في بروسيلي ، قاعة إلى سانت بيتر ببروسيلي عام ١٩٦٨م ، متحف السنترال في يورشيت بهولندا ، متحف مدينة جهينت ببلجيكا عام ١٩٧٢م ، المركز الثقافي في تورهوت ، بيت مينسيبال في مورسلاد ، صالة برجي ببلجيكا عام ١٩٧٢م ، قاعة أرتفورم بمدينة شيلدرود ببلجيكا عام ١٩٧٧م ، قاعة إينجها ببلجيكا ١٩٧٩م ، مدينة كورتيجيك ببلجيكا ١٩٨٠م ، قاعة براك جروند في أمستردام بهولندا ١٩٨١م ، قاعة دي جريس في مدينة تيلت ببلجيكا ١٩٨٢م ، قاعة فوربال : في نيويورك عام ١٩٨٣م ، وفي سان فرانسيسكو عام ١٩٨٤م ، وفي نيويورك وبالو التو عام ١٩٨٥م .

● اشترك في معارض جماعية ودولية في الأماكن والأعوام التالية : معرض الواقعية الجديد في باريس ، معرض النحت في رمبيك ببلجيكا عام ١٩٧٠م ، معرض فنون مدينة جهينت اليوم في هاسيلت ببلجيكا عام ١٩٧١م ، معرض بينالي ميدهيم عام ١٩٧٤م ، معرض الفنانين الفلمنكيين المعاصرين بالمركز الثقافي في ماستيشت بهولندا عام ١٩٧٦م .

● حصل الفنان على عدة جوائز منها جائزة غرب فلابدرس للتصوير عام ١٩٧٦م ، وجائزة كنوكي .. كما صدر له العديد من الكتب في مجال الشعر والقصة القصيرة .





الشرق ** في عيون الغرب

●● «منظر لمقهى بالقاهرة Cairo Cafe Scene» ●●

● فردريكو بارتوليني ● المدرسة الإيطالية ● رسم بالألوان المائية ●



أنشودة الحج

شعر: فؤاد شاكر

يهفو إلى البيتِ قلبي وهو نشوانُ ... كما هفا نحو بردِ الماء ظمآنُ

يهفو إلى البيتِ قلبي وهو ملتهبٌ ... وجداً، وفيه من الأشواقِ نيرانُ

يا رائحينَ إلى «البيتِ» الذي ابتهجتْ ... به معالمُ تسبيح، وأركانُ

خذوا فؤادي، فروحي ثم حائرة ... بين الربوع، وملء القلب أشجانُ

إلى «منى» فنى قلبي برؤيتها ... وثم في عرفات الله عرفانُ

طافَ الحجيجُ ببيتِ الله في زُمَر ... جموعها، كتل شتى، وأبدانُ

في خشيةٍ وخضوع فاضَ عبرها ... من عبرة الدمع، أجباه، وأجفانُ

الكل لله عبد في تبتله ... فليس ثمة أحرار، وعبدانُ

صَفَتْ قلوبٌ، وفاضتْ رقة وهدى ... فالنفسُ مشرقة، والقلبُ فرحانُ

قد وحدوا الله إيماناً فوحّدَهم ... في حُبِّه، فهموا في الله إخوانُ

هذا هو الحج في أجلى مظاهره ... دينٌ، وتقوى، وتسليمٌ، وإيمانُ

فريضة الله، جلَّ الله مقتدراً ... وعز في بيته، ساحٌ، وأركانُ

هنا تجمعت الأقوام وانبجست ... دموعهم، وهي أنهار، وغدرانُ

من كلِّ صوبٍ رجالٌ أقبلت بهموا ... وكل حدبٍ توالت منه ركبانُ

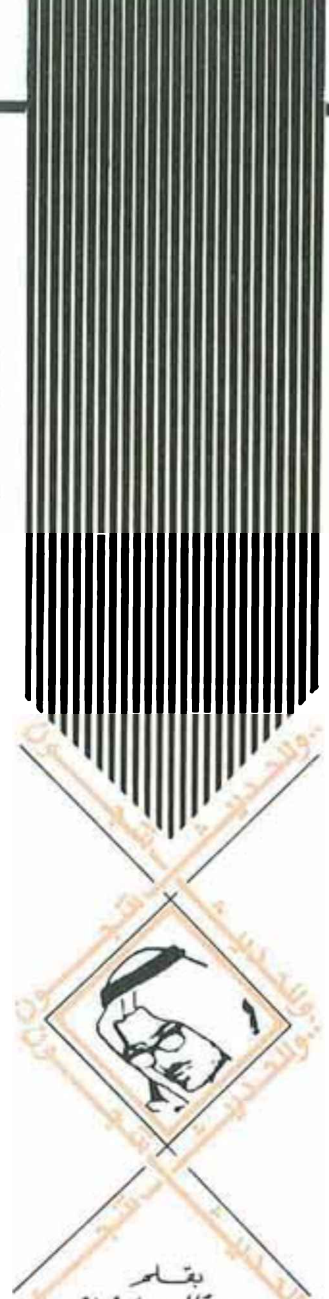
يا طائفينَ ببيتِ الله لا جرم ... دعاكموا لجنان الخلد رضوانُ

نحرتموا البدن إيماناً فسالَ بها ... دمٌ، فكان إلى الطاعاتِ قربانُ

وقر بالحج عيناً كل مغتربٍ ... وعاد وهو بما أوتيه جذلانُ

وزار مسجد خير الخلق قاطبة ... محمد، فازدهت بالعود أوطانُ

عن قصيدته في ديوانه «وحي الفؤاد»



جحظة البرمكي ـ ترجمته

تحدثت في بعض أعداد هذه المجلة عـن بعض الجـاحظين والجاحظيين ، وأريـد بـالوصف الأول « الجُحْظ » ، الذين برزت أحداقهم ، كما هو الشأن في الجاحظ الأديب العظيم .. وأريد بالوصف الآخر : النسبة إلى هذا الرجل نفسه ، ممن درج على نهجه ، وتخرج من مدرسته ..

ولم أكن أفعل ذلك عن قصد ، إنما جاء به الحديث يجر بعضه بعضاً ، فإذا أنا أمام عـدد مـن الجحْظ ومن الجاحظيين .. ممن قدمت أسماءهم ، وطرفاً من أخبارهم ..

وقد ساقت إليّ المصادفة نفسها ، وبدون قصد ، هذا الجاحظ الجديد الذي أحدث قـرائي اليوم ببعض خبره ..

وإذا كان عمرو بن بحر ، قد حمل لقب « الجاحظ » بسبب جحوظ عينيه ، فإن صاحبنا الـذي أتحدث عنه اليوم ، قد حمل هو الآخر لقباً قريباً من هذا ، وهو (جحظة) بفتح الحاء ، للسبب نفسـه ، أعني جحوظ عينيه .. ولكن الجاحظ الكاتب أصبح صاحب أكثر من مدرسة تنسب إليـه ، وتحمـل لقـب « الجاحظية » ، فهناك فرقة من المتكلمين المعتزلة تنسب إليه وتتبع مذهبه ، هـي فـرقة (الجـاحظية) .. وهناك فريق الكتّاب الذين اتبعوا أسلوبه ، وإن لم يتبعوا مذهبه بالضرورة ، وهم الجاحظيون ..

وإذا كان الجاحظ قد اشتهر كاتباً ، ولم يعرف شاعراً ، فإن (جحظة) قـد عـرف شاعراً ولم يشتهـر كاتباً .. وإن كان قد اشتهر جداً بفن آخر هو الغناء ، والعـزف على الـطنبور ، حـتى لقّب أيضـاً بالطنبوري .. والطُنبور ، بضم الطاء مع تشديدها ، آلة من آلات الطرب والموسيق ، ذات عنق وأوتار ، لعلها هي ما يعرف اليوم بالبزق ، أو هي به أشبه ..

وجحظة من أحفاد البرامكة ، تلك الأسرة ذات المكانة التي تنحدر من الفرس ، كان لأجداده شأن أي شأن على عهد الرشيد ، ثم كانت نهاية عزهم على يديه ، في نكبتهم التاريخية المشهورة .. وقد تحدث عن هذه الأسرة السمعاني (ت ٥٦٢ هـ = ١١٦٦ م) ، في كتابه « الأنساب » ج ٢/١٨٠ .

واسم جحظة أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك .. وهو كما ترى من هذا النسب حفيد الوزير يحيى البرمكي ..

كنيته أبو الحسن ..

وقد أطلق عليه لقب (جحظة) صديقه الشاعر عبد الله بن المعتز .. فقـد حـدث أبـو عبـد الله الحسن بن علي بن مقلة : سألت جحظة عمن لقبه بهذا اللقب ؟ ، فقال : ابن المعتز ، لقيني يوماً فقال لي : ما الحيوان إذا قُلب صار آلة للبحرية ؟ ، فقلت : عـلق ، إذا عـكس صـار قلعـاً (أي شراعـاً للسفينة) ، فقال : أحسنت يا جحظة ، فلزمني هذا اللقب ..

وكان له لقب آخر لقّبه به المعتمد ، وهو خنْياكر ، وهي كلمة فـارسية معنـاها « المغـني » .. (معجم الأدباء ٢/٢٤١) .

كان مولده بشعبان سنة أربع وعشرين ومائتين هجرية ، والذين ترجموا لـه كثر ، مـن أقـربهم بـه عهداً ، النديم صاحب (الفهرست) (ت ٣٥٨ هـ) ، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) في (تاريخ بغداد) .

قال عنه النديم (شاعر مغني ، مطبوع في الشعر ، حاذق بصناعة غناء الطنبور ، حسن الأدب ، بـارع في معناه ، قد لقي العلماء والرواة وأخذ عنهم ، وأخباره أشهر وأظهر من أن نـذكرهـا في كتـابنا لقـرب عهده منا .. وكان مع ما وصفناه به ، غير أديب النفس ، وسخاً ، في دينه بعض العهـدة ، بـل العهـدة كلها ، توفي بواسط ، وقد خرج إلى أبي بكر بن واثق ، سنة ست وعشرين وثلاثمائة بعلة الذرب ، وله من الكتب : كتاب الطبيخ ، لطيف ، كتاب الطنبورين ، كتاب فضائل السكباج ، كتاب الترنم ، كتـاب مـا شاهده من أمر المعتمد ، (كتاب المشاهدات) ، كتاب ما جمعه المنجمون فصح من الأحكام ..)[1] .

هذا ما ذكره النديم أوردته بنصه إلا قليلاً ، ومنه نرى كيف أثنى عليه وعلى أدبه وفنه ، في عبارات موجزة ، لكنها واسعة المرمى ، وكيف انتقد مسلكه الشخصي ، وكأنما ينصب له ميزاناً ليذكر ما له ومـا عليه .. ولا يفوتنا أن نلاحظ أننا حرُمنا من الكثير من أخباره ، التي تمر بهـذا الميزان الـدقيق ، حينما اكتفى النديم باستفاضتها وشهرتها ، مع قرب عهده منه ..

كما لا يفوتنا أن ندرك أن جحظة عُمِّر إلى أكثر من مائة سنة !.

ولا أحب أن أترك هذا النص، دون أن أقف عنده بعض الوقت.. فعلة الذرب التي وصفها : هي «داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام، ويفسد فيها، ولا تمسكه» هكذا يقول المعجم الوسيط..

أما (السكباج) فيه، فهو «طعام يعمل من اللحم، والخل، والبصل، والكراث، والعسل، مع توابل وأفاوية القطعة منه سكباجة»..!.

ولجد من تراثه التأليفي هذا، تنوع مهاراته، فهو طبَّاخ، وطنبوري، ومغنٍ، ومنجم، وكاتب مشاهدات، أو يوميات!.

أما شاعريته، فهي الظاهرة التي احتفت بها المصادر وأبرزتها، وأجمعت عليها.. وهي التي سأفرد لها إن شاء الله حديثاً خاصاً..

وإلى كل ذلك، فإن جحظة يعد أحد رواة الأخبار، بل هو يكثر روايتها، كما يحدثنا الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، في كتابه (تاريخ بغداد) ٤/٦٥، وهو أيضاً من أقدم من ترجم له. ولعل عنايته بالرواية جاءت من بعض لوازمه كنديم، تطيب مجالسته، حيث يجد القوم عنده غناء وطرباً ونوادر وطرفاً وحكايات.. كلها أداة أنس، وإن كانت قذارته ورثاثة هيئته مما ينفر الجلاس، إلا أنهم تسامحوا معه، لبراعته في المنادمة.. كما قال فيه ابن الرومي :

نُبِّئْتُ جحظة يستعير جحوظه   من فيل شطرنج ومن سرطان

وارحمتا لمنادميه تحملوا   ألم العيون.. للذة الآذان.!

ولقد تحمل منادموه ألم العيون.. وألم الأنوف من بعض قذاراته..

ويذكر لنا البغدادي، فيما يذكره من ميزاته، أنه كان ـ أيضاً ـ حافظاً لأطراف من النحو واللغة، وأنه مليح الشعر، مقبول الألفاظ، حاضر البادرة.. أي أنه كما نقول الآن : حاضر النكتة.. وإن صناعته في الغناء لم يلحقه فيها أحد.. ويبدو أن عنايته بالغناء وضربه على الطنبور، ربطت بينه وبين ابن المعتز.. الذي كان أيضاً من هواة الفنين.. الشعر والوتر!.

وممن روى عن جحظة.. أبو الفرج الأصفهاني، وأبو عمرو بن حيويه، والمعافى بن زكريا، وأبو الحسن بن الجندي، وآخرون.

وممن أفاض في أخباره، وأورد طائفة من أشعاره، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ = ١٢٢٩م)، في (معجم الأدباء ٢/٢٤١)، وسرد بعض نكاته أو نوادره.. من ذلك أن أحد الرؤساء دعاه إلى (قطائف) فلما أجابه، وقدمها إليه، كانت قد لخت (تعفنت)، ولكن جحظة كان جائعاً فأمعن فيها، وكان الداعي مبخّلاً فغاظه إمعانه فقال : يا أبا الحسن، إن القطائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك! قال : فقلت : هذا إذا كانت قطائف، أما إذا كانت مصوصاً فلا، ثم عمل (لوقته) هذه الأبيات :

دعاني صديق لي لأكل القطائف   فأمعنت فيها آمناً غير خائف

فقال، وقد أوجعت بالأكل قلبه   رويدك مهلاً، فهي إحدى المتالف

فقلت له : ما إن سمعنا بهالك   ينادى عليه : يا قتيل القطائف!

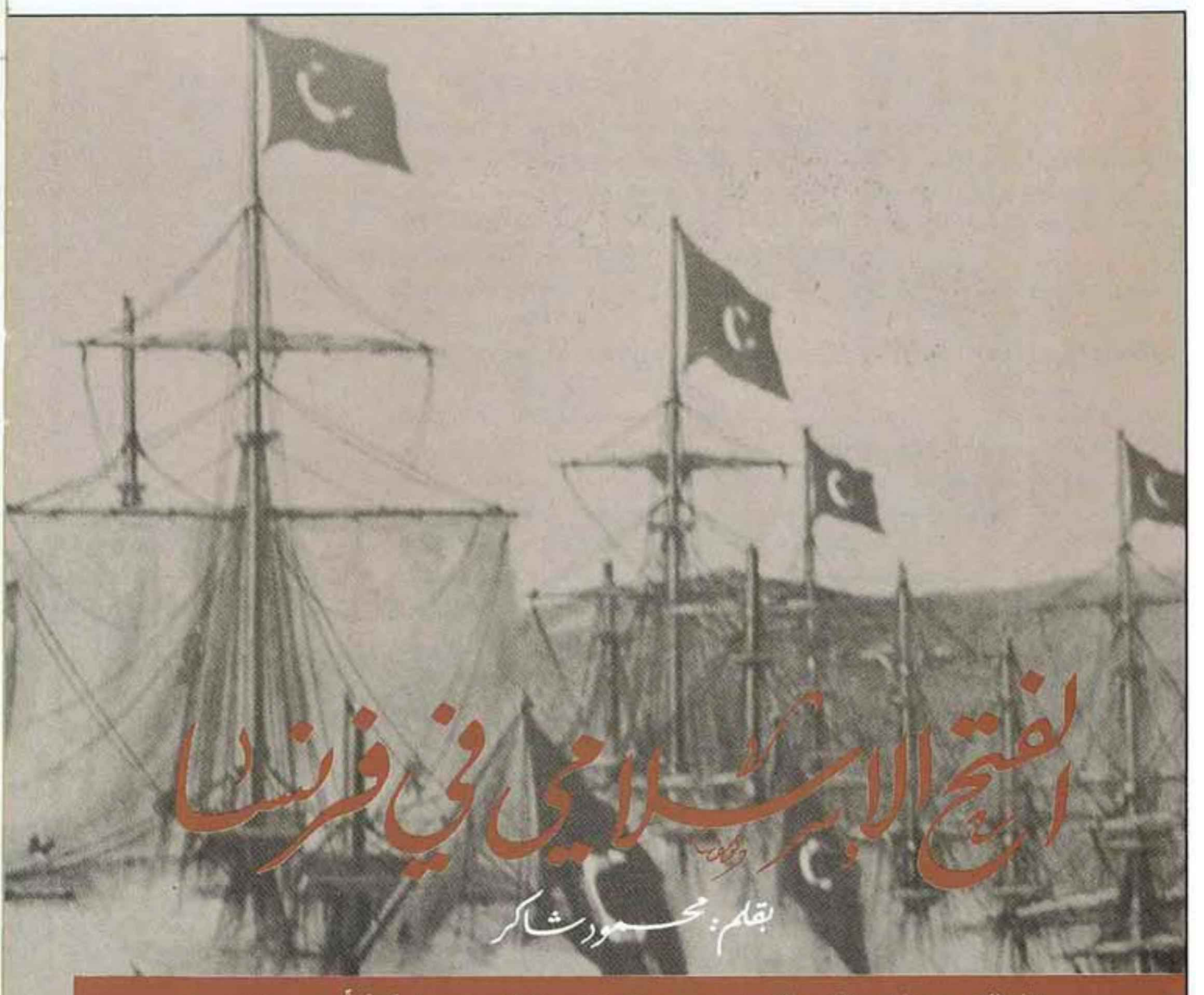
بقي أن أفسِّر المصوص، فهو لحم يطبخ وينقع في الخل، أي إنه بعيد الصلة بالقطائف.

سبق أن ذكرت أن النديم ذكر وفاته سنة ست وعشرين وثلاثمائة هجرية، ولكن بعض المصادر، تذكره في وفيات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة هجرية، أي سنة ٩٣٦م، وهذا ما اختاره الزركلي في (الأعلام). وذكروا أن وفاته كانت في (جبل) قرية من أعمال بغداد، وأن تابوته نقل إلى بغداد.

وبعد، فإن نفس القول عن جحظة، لا يزال فيه بقية، فليكن ذلك إن شاء الله في لقاء آخر.

الهوامش

(١) أضاف ياقوت في معجم الأدباء ٢/٢٤٣، كتاب ديوان شعره نقلاً عن النديم.



الفتح الإسلامي في فرنسا

بقلم: محمود شاكر

يحلو لكثير من الناس الذين لا يعرفون روح الإسلام، ولا يفهمون معناه أن يُعلِّلوا موجة الفتوحات الواسعة التي تـمّت في صدر الإسلام والروح المعنوية العالية التي امتاز بها المجاهدون بأسباب اقتصادية، أي في سبيل الوصول إلى مناطق ذات إمكانات كبيرة بالموارد، نتيجة الفقر الذي كانوا يعانونه في بلدانهم التي خرجوا منها، والقحط الذي يعم الجهات التي انطلقوا منها، إلا أن الوقائع تصدمهم مباشرة، إذ إن البوادي القاحلة التي تفوق بلدانهم جفافاً، والجبال الجرد التي تزيد على أمصارهم محلاً، قد شهدت أضرى معاركهم، وأعنف حروبهم التي فاقت قتالهم في السهول الخصبة والأجزاء الغنية.

كما يحلو لآخرين من الأنموذج نفسه أن يُعلِّلوا موجة ذلك الفتح وسرعته للوصول إلى مناطق تقيهم شرّ الجوار، وتحميهم من خطر الأعداء، غير أن الأحداث تأتي لتصدمهم كما صدمت أولئك، فقد وصل المسلمون إلى جبال أواسط آسيا الشاهقة وتجاوزوها، وإلى جبال طوروس المنيعة واخترقوها، وركبوا لـجّة البحار ولم يقفوا على شواطئها، واجتازوا الصحارى والفيافي الشاسعة التي تفصلهم عن غيرهم ليحملوا إليهم الرسالة التي أمرهم الله أن يبلغوها للبشر.

ولقد حرص هؤلاء أن يجعلوا من موقف الإسلام الذي وصفوه موقف المدافع، موقف الضعف، وحلا لهم أيضاً أن يُسمّوا هذا سلاماً وحُبّاً

للسلام، وأن الإسلام مسالم، وذلك ليُميتوا فكرة الجهاد، ويُضعفوا الروح المعنوية للمسلمين، وذلك جهلاً أحياناً، وأحياناً أخرى خداعاً ومكراً ليكون المسلمون في الأذلين، وفي حالة من الهوان بحيث لا يستطيعون تأدية مهمتهم التي أنيطت بهم.

لقد كان للمسلمين مهمة هي حمل الناس على توحيد الله وترك ما يعبدون من دونه، والقضاء على الظلم، وإزالة الطواغيت، وتطبيق منهج الله في الأرض، وكان العالم كله ساحة عملهم، وميدان تحركهم، لذا فقد خرجوا من جزيرتهم مجاهدين في سبيل الله، يريدون أن يبلّغوا رسالة الله، ويؤدُّوا مهمتهم في الحياة، وما عليهم إلا الإعداد والإخلاص والانطلاق للحصول على إحدى الحسنيين إما نيل الشهادة والوصول إلى الجنة، وهي غاية المسلم يسعى في سبيلها، ويُمضي حياته لتحقيق ذلك، وإما تأمين النصر وتحقيق مهمة الاستخلاف في الأرض وتطبيق منهج الله، وبهذا يفوز بالجنة أيضاً. ومهمة المسلم لا تنقضي حتى يعم الإسلام الدنيا كلها، ولذا فهو في جهاد دائم، وعمل دائب ليحقق مهمته.

انطلق المسلمون بروح معنوية عالية لا يلوون على شيء، لا يفكرون في أوطانهم التي خرجوا منها، فليست في نظرهم سوى تراب، وفي أي تراب ذكر فيه اسم الله عدُّوه وطناً لهم عاشوا في ظله، وانطلقوا من وراء غايتهم التي خرجوا في سبيلها، ولم يفكروا في أهليهم الذين خلفوهم وراءهم فإن وليَّهم الله. فلو فكروا في هذا أو ذاك لغُزوا في عقر دارهم، ولجاست خيول أعدائهم بلادهم، ولأصابهم الذل، وحل بهم الوهن، وبقوا مستعبدين.

فتح المسلمون بلاد المغرب، واستوطنوا فيها، ولم يكن لهم أن يستقرّوا بوصولهم إلى ساحل البحر وشاطئ المحيط أو نهاية قارة، فإن مهمتهم لم تنته، وما كان لصاحب مهمة أن يقعد دون مطلبه أو يستقر في موطنه، فاجتازوا اليمّ، وانطلقوا في بلاد الأندلس يقضون على الظلم، ويزيلون آثار الشرك، وينهون عبودية العبيد، ويعلنون العبودية لله وحده، فتم لهم بإخلاصهم ما يريدون، فوطّنوا أمرهم، واستتب وضعهم، فكان عليهم أن يسيروا إلى مرحلة جديدة.

الفتح في فرنسا

انطلق المسلمون في بلاد الفرنجة (فرنسا) لا يبالون ببعدها عن ديارهم، ولا يهتمون بالجبال الشامخة التي تفصل بينها وبين الأندلس التي تحول دون التقدم، بل ولا بممراتها الضيقة المخيفة التي يمكن حمايتها بقلة محدودة، لقد اجتازوا جبال البيرنة (البرت)، وعبروا من ممراتها الشرقية والغربية، لا يحسبون لعدوّ حساباً، ولا يعيرون لوعورة بالا، ولا يعطون لمر أهمية، ولا يهتمون بالموت لأن الآجال بيد الله لا تزيد ساعة، ولا تنقص لحظة، والموت في ا لجهاد شهادة في سبيل الله يسعى إليها كل مسلم صادق، وما دامت نفوسهم قد ارتفعت عن تقديران الأرض وسمت على حسابات الناس، وارتبطت بمهمتها التي أُعطيت لها من السماء، فتمكنت أن تحقق مرحلة جديدة من مراحل النصر، فلما وضعت في ذهنها ما يضعه الناس من غيرها، خرجت من بلاد الفرنجة، وبدأت تنسحب تدريجياً، وتتراجع من المواطن التي دخلتها بحسابات ومعنويات المؤمنين، واندحرت عندما أصبحت تقاتل بتقديرات جيوش الأعداء، ويُعدّ عهد الولاة في الأندلس هو مرحلة الفتح، أما عهد الإمارة فكان عهد الاهتمام بتوطيد الأوضاع في الأندلس، وقد انسحب المسلمون نهائياً من بلاد الفرنجة، وكان عهد الخلافة عهد الترف أدى إلى الضعف وقيام دول الطوائف حتى سقطت الأندلس.

موسى بن نصير

لقد بدأت السرايا الإسلامية تدخل أرض الفرنجة (فرنسا) منذ أن استقرّ الوضع الإسلامي في الأندلس أيام موسى بن نصير (٩٢ ـ ٩٥هـ)، إذ جهّز عدة سرايا سريعة عبرت جبال البيرنية (البرت) من ممراتها الشرقية وجالت في أرض سبتمانيا (أربونة ـ قرقشونة ـ مونبلية ـ نيم ـ أبنيون ـ طرسكونة ـ باربنيان) ومسحت المنطقة، ودرست ميدان المعارك في المستقبل.

ولما استدعي موسى إلى دمشق تابعت السرايا عملها وقامت بمهمتها في أيام نائبه وابنه عبد العزيز بن موسى (٩٥ ـ ٩٧هـ).

وبالمناسبة فإن استدعاء موسى بن

نصير إلى دمشق ـ كما زعم الزاعمون وروّج المغرضون حتى غدا شائعاً ـ أنه كان انتقاماً منه، عمل الخليفة **سليمان بن عبد الملك** على الانتقام منه لأنه وافق الخليفة **الوليد بن عبد الملك** على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد وإعطائها لولده **عبد العزيز بن الوليد**. إن استدعاء موسى كان في أيام الوليد ولم يكن أيام سليمان، وهذا ينفي الشائعة قبل كل شيء، ثم كانت الدعوة لمناقشته في أمر الانسياح الواسع في بلاد الأندلس الأمر الذي قد يعرّض جند المسلمين إلى خطر لبعدها عن مركز الخلافة ولاتساع الرقعة التي انتشر فيها المسلمون وهم قلة، وهذا كله كان يقضي التروّي في الحركة، والتريّث في الانتشار، وتركيز الجهد في الفتح على منطقة إثر منطقة بعد التهيؤ والاستعداد. ثم إن الخليفة الوليد كان يريد أن يستشيره ويستشير أخاه **مسلمة بن عبد الملك** في أمر العمل والتخطيط لفتح **القسطنطينية** عاصمة الدولة الرومانية الشرقية (**بيزنطة**)، إذ كان لموسى بن نصير تطلعات لهذا الفتح، بل كان يريد أن يتوغل في بلاد الفرنجة، ويعود إلى الشام عن طريق القسطنطينية، حيث تكون جيوش مسلمة بن عبد الملك قد داهمتها من المشرق وانقضت عليها جنوده من الغرب، فأحاط المسلمون بها بذلك من كل جهة، ولا بد لها بذلك ـ بإذن الله ـ من أن تستسلم. ثم إن سنه قد زادت على السابعة والسبعين، ولا تزال لديه الروح المعنوية العالية، وعنده الحماسة الشديدة للجهاد وقيادة الجند والتوغل في أرض الأعداء، فرحمة به، وإشفاقاً عليه، وخوفاً على جند المسلمين من أن يلج بهم في جهات الفرنجة النائية، ولهذا كان استدعاؤه، وللإفادة منه في دمشق بخبرته العسكرية وحنكته السياسية.

لا يمكن أن يكون استدعاء موسى ابن نصير عقوبة له، وقد بقي ابنه عبد العزيز من بعده أميراً على الأندلس، وابنه الثاني عبد الملك أميراً على المغرب الأقصى في **طنجة** إضافة إلى أن ابنه الكبير عبد الله هو أمير إفريقية كلها ومقره مدينة **القيروان**، وبذا فالجناح الغربي من ديار الإسلام كله تحت إمرة أولاد موسى ثم يُستدعى أبوهم لإنزال العقوبة به.

وصل موسى إلى دمشق فوجد أن الخليفة قد قضى نحبه، وانتهى أجله، وآل أمره إلى خالقه، وصارت الخلافة إلى أخيه سليمان بن عبد الملك، فاستقبله، وأكرمه، وأحب أن يرافقه إلى الحج فقد آن له أن يرتاح من النزال وخوض المعارك بعد جهاد طويل وكفاح مرير، وآن له أن يتفرغ قليلاً لعبادته وينصرف إلى مناجاة ربه بعد أن جاهد في سبيله. وانطلق الركب، ويمّم وجهه شطر البيت الحرام، وفي الطريق حانت منية موسى فأسلم روحه إلى بارئها، ورقد جسده في مثواه الأخير، ووقع أجره على الله.

إن ما أشيع عن موسى بن نصير، وعن **محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند** كان من عمل المغرضين الذين شوّهوا تاريخ دولة بني أمية صاحبة الفتوحات الإسلامية الواسعة، وتعريب الدواوين، وتنقيط الأبجدية وشكلها.

عبد العزيز بن موسى

وقُتل عبد العزيز بن موسى على يد **زياد بن عذرة البلوي** وهو يؤم الناس في صلاة الفجر في **مسجد إشبيلية**، وكان رجلاً تقياً صالحاً مجاهداً ـ رحمه الله ـ فعيّن المسلمون في الأندلس مكانه ابن عمته **أيوب بن حبيب اللخمي** ريثما يُرسل والي إفريقية أميراً من قبله، وبعد أقل من ستة أشهر، وصل إلى الأندلس **الحر بن عبد الرحمن الثقفي** أميراً عليها من قبل عامل إفريقية (ذي الحجة ٩٧ حتى رمضان عام ١٠٠هـ)، فاستمر على طريقة سلفه في بث السرايا ومسح الأرض.

السمح بن مالك الخولاني

وتولى أمر الخلافة في دمشق **عمر بن عبد العزيز**، ووصلت إليه أخبار معاناة المسلمين وجندهم على أبواب القسطنطينية، وفي الأندلس فأمر بعودة الجيش المرابط على أبواب القسطنطينية، وقد عتت عليه المدينة، وغدر به الروم، وأرسل **السمح بن مالك الخولاني** ليدرس أوضاع المسلمين في الأندلس وثغورها، وفي نيته سحب المسلمين منها، فلما وصل السمح إلى الأندلس صوّر الوضع للخليفة بشكل جيد، وأعطاه فكرة عن حسن وضع المسلمين فيها فأقرّه والياً عليها في رمضان عام ١٠٠هـ، فنظم أمور الأندلس، ورتب أوضاعها، وانطلق إلى الجهاد في بلاد الفرنجة خلف جبال البرت، فقد ضم إلى بلاد الإسلام، مقاطعة سبتمانية، وتعني المقاطعة ذات المدن السبعة، التي تمتد من مدينة

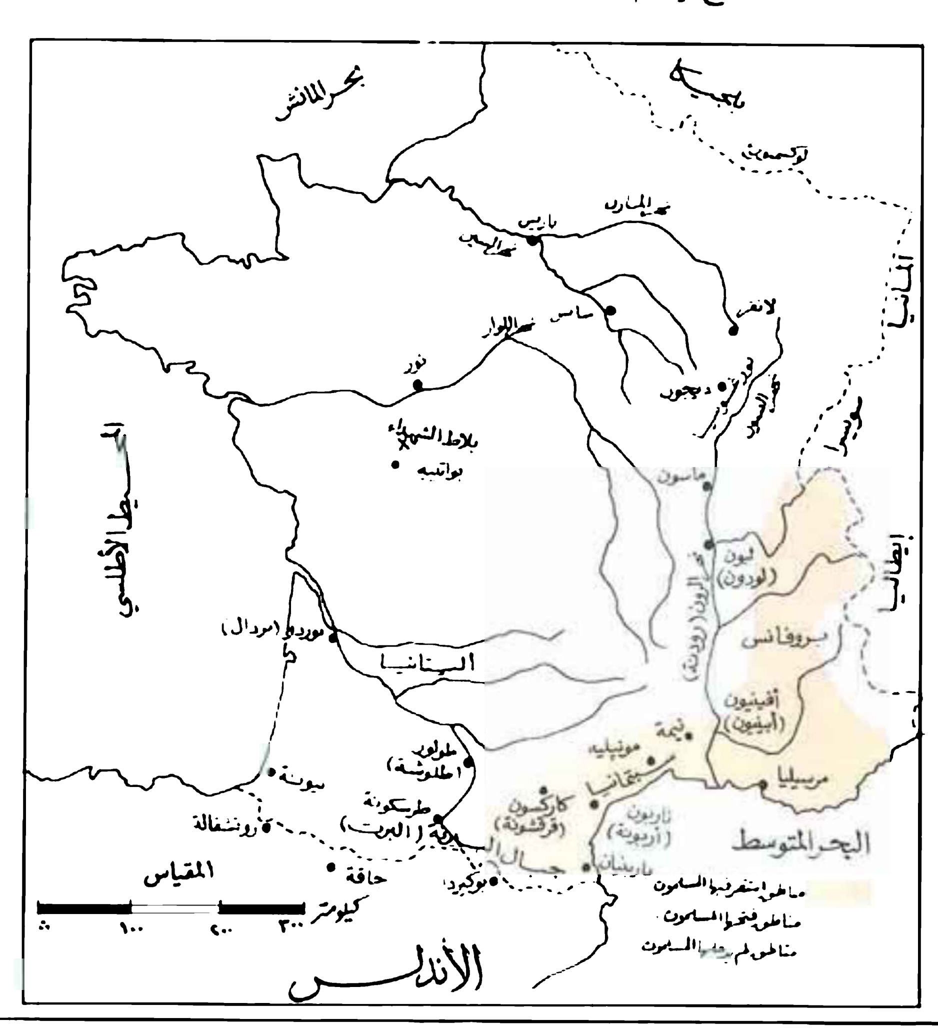
(أفينـون على نهر الـرون) في نهاية مقاطعة بروفانس حتى جبال البيرنة ومـدنها هي أفينون (أبينـون) ونيم (نيمـة) ومـونبلية، وكـاركسـون (قرقشـونـة) ونـاربـون (أربـونـة) وطرسكـونـة، وبـاربنيان. ولقد نظم السمـح أوضـاع هذه المقاطعة، وأقام فيهـا حكـومـة محلية، واتخـذ أربـونـة عاصمة لها، وبدأ يستعد لمتابعة الجهاد فاتجه إلى **وادي الرون** ثم عاد فسار إلى **طولـوز** (طلوشـة) فدخلهـا، وقـاتل دوق **أكيتـانيا** وجـرت معارك عنيفة، استشهد فيها السمح في يوم التروية (٨ ذي الحجة) من عام ١٠٢هـ .

اختـار المسلمـون عبـد الـرحمن الغـافقي أميراً عليهم ريثما يصل أمر التعيين من والي إفريقية أو قدوم أمير جديد من قبله، فبقي عبـد الرحمن في إمرتـه هذه، وهي الأولى، مدة خمسة أشهر حيث وصل إلى قرطبة **عنبسة بن سحيم الكلبي** في صفر من عام ١٠٣هـ .

عنبسة بن سحيم الكلبي

قام عنبسـة بتنظيم شامل لبلاد الأنـدلس، ولحكومة سبتمانيا، واستمر هذا التنظيم ما يزيد على السنتين. وفي عام ١٠٥هـ ، خرج مجاهـداً، فاتجه لمقاطعة سبتمانيا، ومنها سار في وادي نهر (رودنة) الرون، فدخل مدينة لوذون (**ليـون**)، ومنهـا انـطلق نحو الشمال الـغـربي حتى وصـل إلى مدينـة (**سانس**) جنوب شرقي باريس، وعلى بعد تسعين كيلومتراً منها فقط، وعندما أصبح في **سهـل باريس** لم يرغب أن ينساح فيه بمن معه فربما كان لاتساعه مضيعة لهم. وكذلك سار في **وادي نهر الصـون** شمالا، وخرج من الوادي إلى مرتفعاته الغربية فدخل (**ديجون**)، ولما وصـل إلى (**لانغر**) انكشفت أمام طلائعـه السهـول الفسيحة فلم يجد فائدة في ولوجها، وتكاملت لديه صورة سطح المنطقة فرأى ضرورة العودة إلى الأنـدلس ليأخـذ جنده قسطاً من الراحة، ويأتي بجند كثيف يستطيع بهم التوغل في السهول التي وجدها أمامه، وهي السهـل البـاريسي، وفي طريق عودتـه جرت معركة بينه وبين الأعداء استشهد إثرها في شعبان من عام ١٠٧هـ .

تولى إمرة جند عنبسة أحد قادته وهو **عذرة بن عبـد الله الفهـري** ريثما يأتي تعيين وال جديد، فاستمرت إمرته مدة شهري شعبان ورمضان، وفي شهر شوال عُيِّن **يحيى بن سلمـة الكلبي**، واستمرت ولايته حتى أواخر عام ١٠٩هـ (ذي الحجـة (١٠٩). وتـولى بعـده **حذيفة بن الأحـوص الأشجعي القيسي** لمدة ستـة أشهـر، و**عثمان بن أبي نسعة الخثعمي** لمدة خمسة أشهر أخرى.



الفتح الإسلامي في فرنسا

الهيثم بن عدي الكناني

ثم تولى أمر الأندلس **الهيثم بن عدي الكناني** فانطلق مجاهداً عبر وادي نهر (رودنة)، وبعد أن تجاوز مدينة ليون (لوذون) ووصل إلى مدينة (ماسون) اصطدم بقوة من الفرنجة وجرت معركة بين الطرفين استشهد إثرها في شهر شعبان من عام ١١١هـ .

وبعد شهادة الهيثم تولى الإمرة **محمد ابن عبد الله الأشجعي** حتى مطلع عام ١١٢هـ .

عبد الرحمن الغافقي

وتولى أمر الأندلس للمرة الثانية عبد الرحمن الغافقي في شهر صفر من عام ١١٢هـ ، فعاد للجهاد نشاطه مرة أخرى، ونظر في جبال البيرنة (البرت) فوجد فيها سبعة ممرات فقط تخترقها من الأندلس إلى بلاد الفرنجة، وهذه الممرات هي: ممر على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وممر (**باربينيان**) في الشرق على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً من ساحل البحر المتوسط، وممر (**بوكيردا**) على بعد ثمانين كيلومتراً من ساحل البحر، وممر (**جاقة**) على بعد ٥٢ كيلومتراً من المحيط الأطلسي، وممر (**بيونة**) على ساحل المحيط الأطلسي، وأخيراً الممر الساحلي للمحيط الأطلسي. **ورأى الغافقي أن الحملات الأولى كلها قد دخلت بلاد الفرنجة من الشرق، وأن مقاطعة سبتمانيا قد أصبحت مركزاً للإسلام، وأن حاضرتها اربونة غدت رباطاً وقاعدة للجهاد، وأن المناطق الشرقية كلها تقريباً قد جاست خلالها خيول المسلمين وبدت** قوات الفرنجة فيها ضعيفة، لذا لا بدّ من دخول المناطق الغربية، فضم إليه وادي الرون أولا ثم اتجه فانطلق عبد الرحمن الغافقي من ممر رونشفالة، واجتاز سهول **اللاند** ودخل مدينة بوردو (**بردال**) أو (**برديل**)، وتابع سيره شمالا باتجاه باريس، فدخل مدينة (**بواتييه**) واجتازها، وبعد أن سار عشرين كيلومتراً التقى بجيش **شارل مارتل** الكثيف الذي يفوق الجيش الإسلامي بأضعاف مضاعفة، كان الجيش الإسلامي منهكاً لطول المسافة التي قطعها، وغير عارف بالمنطقة وخاصة أن الوقت كان مطيراً والوحول تملأ الطرقات والدروب، ومع أنه منظم إلا أن هذا الوضع يجعل التقيد بالنظام أمراً صعباً. وكان جيش الفرنجة أخلاطاً متنوعة، يسير بأعداد عظيمة يعرف أكثرها المنطقة، وأكثر من نصف هذا الجيش عار أو شبه عار، ودارت معركة بين الطرفين في شهر رمضان من عام ١١٤هـ ، واستمرت المعركة عشرة أيام، ولم تجد فيها الشجاعة والبطولة في وقت اشتد فيه التعب والبرد على جماعة لم يتعوّدوا البرد، وكثر في الأرض الوحل والمطر، وفوق هذا فإن الأرض الشاسعة تجعل الأفضلية للكثرة، إذ تظهر قلة الفئة القليلة، وتستطيع الفئة الكثيرة الحركة براحة، وتتمكن من تطويق **خصمها، وعلى الرغم من إبداء قائد الجيش الإسلامي ضروباً من الشجاعة وقيادة الجند إلا أن جواده قد تعثر به وسقط صريعاً، وبمصرعه تفتت الجيش، ولكنه استطاع الانسحاب بشكل شبه منظم، وخرج من الأجزاء الغربية التي فتحها من بلاد الفرنجة** بقيادة الغافقي، ولم تبق إلا مقاطعة سبتمانية بيد المسلمين، بل إن وضعهم قد اهتز فيها. أما ما أوردته الروايات الفرنجية وما أخذه بعضهم عنها من أن خلافاً قد وقع في صفوف الجيش الإسلامي بين العرب والبربر فهو عار من الصحة وإنما يريدون التفريق، والإسلام لا يعرف ولا يعترف بهذه العصبيات، وكذلك ما أوردته عن انشغال المسلمين بجمع الغنائم فلم يصل إلى درجة أحسن مما أوردته سابقاً إن لم يفُقه كذباً، إذ لا يملك جيش الفرنجة ما يستحق أن يكون غنيمة أو تلك الغنائم التي يصوّرها الفرنجة.

لقد ترك المسلمون خيامهم منصوبة، وما يحملونه معهم أو ما حصلوا عليه وهو لا يكاد يُذكر في مكانه وانسحبوا بسرعة لإنقاذ الجيش. وربما كان ترك الخيام خطة الهدف منها إيهام الفرنجة بأنهم باقون في مكانهم لم ينسحبوا، وقد حققت الخطة هدفها، إذ قام المسلمون بهجوم خاطف، ونالوا من خصومهم، ثم انسحبوا فظن الفرنجة أن المسلمين في معسكرهم داخل الخيام، ولكن عندما جاء صباح اليوم التالي وأغار الفرنجة على المسلمين لم يجدوا في المعسكر أحداً أبداً.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن المسلمين لم تكن الغنائم لتشغلهم عن المهمة التي **يسعون لها ويعيروها اهتماماً في معاركهم. لقد كانت معركة بلاط الشهداء مأساة بالنسبة إلى المسلمين، إذ كان انسحابهم مسافة طويلة ما عرفوا مثله، وتخلوا عن مناطق شاسعة فتحوها ما سبق لهم أن تخلوا عن مثلها.**

تولى عملية انسحاب الجيش وترتيبه

أحد قادته وهو عبد الملك بن قطن الفهري، ولما وصل إلى الأندلس في شوال عام ١١٤هـ ، تسلم أمر الإشراف على الولاية، واستمر ذلك مدة سنتين، وحتى لا تتجرأ الفرنجة على أرض الأندلس كان واليها يرسل السرايا لتغير على أرض الفرنجة، وهذا ما أرهب الأعداء وأبقى للمسلمين هيبة وإن كانت نسبية، وأخيراً عزل عبد الملك بن قطن الفهري عن ولاية الأندلس لأنه لم يستطع أن يعيد للمسلمين هيبتهم بالجهاد في بلاد الفرنجة.

عقبة بن الحجاج السلولي

تولى أمر الأندلس في شوال عام ١١٦هـ ، بعد عبد الملك بن قطن الفهري مجاهد شجاع هو عقبة بن الحجاج السلولي، فدخل بلاد الفرنجة، وأغار من سبتهانيا على مقاطعة بروفانس شرق وشمال شرقي سبتهانيا، ومقاطعة بورغونيا، ثم رغب في التوجه نحو الغرب ولعله لتأديب دوق أكيتانا، سكان المناطق التي وقفت مع شارل مارتل ضد المسلمين، ولكنه استشهد في معركة على حدود مقاطعة سبتهانيا الغربية إلى الغرب من مدينة قرقشونة وذلك في شهر صفر من عام ١٢٣هـ .

عاد إلى إمرة الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري، غير أن الوضع قد بدأ يتردّى، إذ بدأ الخلاف يدبّ بين بعض الوجهاء الذين دخلوا الأندلس، كما أن وضع الخلافة في المشرق قد بدأ يضعف، وخاصة بعد خلافة هشام بن عبد الملك، الأمر الذي عكس الضعف على الجناح الغربي من الدولة. وتوقفت الفتوحات الإسلامية نتيجة ما حدث داخل الدولة من خلاف، وما تم في النفوس من تراخ في الجهاد، وما وقع من تساهل في تطبيق المنهج، فبقي المسلمون في سبتهانيا مدة تزيد على النصف قرن اضطروا بعدها إلى الانسحاب. ودخل والي الأندلس طرفاً في الخلاف فقُتل، ولم تزد مدة ولايته الثانية على السنة، واشترك في هذا الخلاف أيضاً أمير سبتهانيا عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فقُتل أيضاً، وهذا ما زاد وضع المسلمين في سبتهانيا اهتزازاً.

وتسلم الإمرة بلج بن بشر حتى مطلع عام ١٢٤هـ ، أي أقل من سنة، وكان قد دخل الأندلس بدعوة من عبد الملك الفهري للقضاء على المتمردين من البربر، فلما قضى عليهم طلب منه الخروج من الأندلس فرفض فحدث قتال صُرع فيه الفهري وغدا بلج والي الأندلس بعده، وجاء بعدئذ أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبيّ، وطالت مدته حتى وصلت إلى أربع سنوات ونصف، وكان قد صرف اهتمامه إلى أحداث داخل الأندلس، فقلّ الاهتمام بالغزو، حتى في مناطق المسلمين التي بقيت وراء جبال البرت. وقد تعصب لليمانية فثار عليه القيسيون بإمرة الصميل بن حاتم بن ذي الجو.

تولى أمر المسلمين في الأندلس ثوابة ابن سلامة الجذامي مدة سنة واحدة بدأت في أواخر رجب من عام ١٢٨هـ ، ثم انتهى أمره، وكان النفوذ كله للصميل بن حاتم.

غدت البلاد من غير أمير فولى أهل الأندلس عليهم عبد الرحمن بن كثير اللخمي للظروف الخاصة التي كانت تمر بها بلادهم، ولم تزد ولايته على بضعة أشهر.

أخذ ولاية الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري، فاستمرت ولايته حتى دخل الأندلس الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي فغدت البلاد إمارة أموية خاصة عام ١٣٨هـ ، بعد القضاء على يوسف الفهري والصميل بن حاتم، وبعد مدة انقطعت صلة الأندلس بالدولة العباسية في المشرق.

ومع انتهاء مرحلة الولاة انتهت الفتوحات الجديدة، وجاء عهد الإمارة وغدا الاهتمام في الأندلس فقط، ثم بدأ التراجع فانسحب المسلمون من سبتهانيا بعد أن أقاموا فيها حضارة، حيث كانت مونبليه مركزاً علمياً يؤمه كبار رجالات أوروبا وقسيسيها، ومع انسحاب المسلمين أفل نجم العلم في تلك الرقعة من الأرض.

ونزل بعض البحارة الأندلسيين عام ٢٧٧هـ ، في سواحل منطقة بروفانس جنوب شرقي فرنسا، واستقروا في أحد المواقع الجبلية الحصينة، وقد نجحوا في تأسيس دولة لهم، فوفد عليهم المسلمون من الأندلس، وشمالي إفريقية، وقد بقيت هذه الدولة حتى عام ٣٦٥هـ ، أي ما يقرب من قرن، وشملت أراضيها جنوب شرقي فرنسا، وشمالي إيطاليا، وسويسرا، وقد عرفت لدى المسلمين باسم دولة (جبل القلال) وعند الأوروبيين باسم (فراكسنيتوم).

اللغة أم الثقافة؟

بقلم: د. عبد العزيز بن إبراهيم السويل

إن العلاقة بين اللغة والفكر علاقة قوية وطيدة، فاللغة هي وعاء الفكر الذي يكتنفه فيعطيه طعمه ولونه ورائحته، ولا وسيلة لفكر بلا لغة، فلولاها لبقي حبيس ذهن صاحبه، يستحيل عليه نقله إلى غيره من البشر بلا مد جسور من اللغة. واللغة لا وجود لها بغير الفكر، فهي مجموعة أصوات خالية من أية دلالة، شأنها في ذلك شأن غيرها من الأصوات، كحفيف الشجر وخرير الماء. واللغة عبارة عن كلمات ونظم، فالكلمات تحمل معان مجردة، وأحياناً ناقصة ما لم يتم جمعها بالنظم وتركيبها بالقواعد، فتصبح تراكيب تشتمل على أفكار يمكن فهمها بتركيبها لا مجزأة.

ثم إن تلك النظم أفكار هي الأخرى. فلو تلفظ الإنسان بأصوات أو كلمات مقطعة لكان الناتج هراءً أجوفاً، ما لم يُصبّ في أطر النظام الذي اتفقت عليه جماعة للغتها. ولقد حدت تلك العلاقة التلازمية ببعض المفكرين إلى القول إن اللغة هي الفكر، أو إن الفكر هو اللغة. ولا نريد هنا أن نلتزم هذا التطرف. إذ إن القول بذلك يصعب تبريره في ظل بعض الحقائق الهامة. فكل منا مثلاً مر بتجربة يعجز فيها عن التعبير عما يريده تماماً. بل إن معظم الناس قادر على حل المسائل الرياضية والفكرية وتذوق الفنون الجميلة من رسم وموسيقى وغيرهما بلا لغة، وكل ذلك لا يدعم الزعم بتطابق اللغة والفكر.

غير أن الحقيقة الأخرى الماثلة للعيان، هي أن بعض الناس يتحدثون إلى أنفسهم بلا شعور منهم أو وعي. بل إن الإنسان عندما تواجهه مشكلة ما، تجده يخاطب نفسه باحثاً عن حلول أو مخارج لها، وهذا بلا شك دليل على رابطة قوية بين الفكر واللغة. فكأن أولئك الناس يعجزون عن التفكير ما لم يصبُّوا أفكارهم في وعاء اللغة. **إن لم تكن اللغة هي الفكر، إذن فلا أقل من القول إنها النظام الذي يعبر عن الفكر**، وربما كانت الوسيلة الوحيدة لذلك. وذلك طبعاً على اعتبار أن كل وسائل التعبير الإنساني، كالإشارات واللمحات والموسيقى والرسم والشعر والهتاف والتأفف والأنين والضحك والابتسام وغيرها، لغة.

اللغة والثقافة

اللغة وليدة الثقافة ونبتتها. فثقافة كل أمة تكوِّن لغتها بصفة خاصة تميِّزها عن لغات الأمم الأخرى. بل إن الثقافة القومية لكل أمة تحدد قوالب للغتها تجعل لتلك اللغة رنة خاصة، وتنسجم لها الأذن ويقبلها الذوق. وإذا أُفرغ في تلك القوالب تعابير تتناسب معها كانت اللغة أكثر سلاسة، وأقرب ما تكون إلى الطبيعة والقبول. أما إذا ما أُفرغ بتلك القوالب تعابير وتراكيب لا تناسبها شذت وكانت نشازاً مضحكاً. والظاهر أن تلك القوالب تُؤلَّف بحكم العادة ولا دخل للغة نفسها فيها. بل أن كل لغة أو لهجة جماعة أو مجال من مجالات العلم تتقولب وفق ذلك. فتجد من يستخدم «لغة الكيمياء» أو «لغة الطب» يحرص على انتقاء تعابير معيَّنة تبدو مضحكة ومثيرة للسخرية لو استخدمت في غير مجالها.

ويشير الناس عادة إلى المصطلحات الخاصة بعلم ما، ويصطلحون على تراكيب قد لا توجد في غير ما هي له أصلاً، وتجدهم أيضاً ينحتون كلمات قد لا يُقبل استخدامها في غير مجالها. وينسحب ذلك في مجمله على اللغات بعامة. ويكون الحديث عن العلم ونظرياته أسلس ما يكون في اللغات الأوروبية. ويعلم كل من درس في الغرب مثلاً، أنه يسهل عليه التحدث عن العلم النظري، أو التطبيقي، بالإنجليزية، ويصعب عليه ذلك بالعربية، على الأقل في البداية، ثم لا يلبث أن يتعوَّد على القوالب العربية لصياغة النظريات والاستنتاجات والتعميمات. وهذا، كما قلنا، أمر تحكمه العادة ولا دخل لنظم العربية فيه. **فنظم الأصوات والتراكيب والأنظمة الصرفية والمعجمية لكل اللغات سواسية في قدرتها على استيعاب الفكر الإنساني، والتعبير عنه، وإلا لما كانت لغة في الأصل**. ولكن كل تلك النظم مواد خام، وقدرات كامنة، يمكن لكل جماعة أن تصوغها كيف تشاء، فينشأ عن ذلك قوالب معينة هي تلك التي أشرنا إليها أعلاه. وتتوالى أجيال فتعتاد على تلك القوالب، وقد يكون من تأثير ذلك التعود أن تتدخل اللغة مؤقتاً في تحديد أُطر التفكير في المجتمع وينشأ جيل عالم أو جيل شاعر حسب ما ورثه من تراث لغوي (في صورة قوالب) من أجداده وآبائه. غير أن الزمان قد يدور ويتحول الشعب الشاعر إلى عالم أو العالم إلى شاعر. فتنشق أرض اللغة، وتنفلق بذرتها الكامنة، وتُصاغ قوالب لغوية جديدة

لا تلبث الأجيال أن تعتاد على سماعها ، وتسلس في آذان أبنائها ، ويصبح ما عداها شاذاً مضحكاً ، وسبحان مقلب الأحوال رب الفلك الدوار .

والثقافة ، ثقافة أي أمة محدودة بلغتها . بل إن اللغة سبب رئيسي في ارتقاء الأمم وسمو حضاراتها . وتتباهى أمم الأرض بلغاتها ، وليس أدل على ذلك من أن الله سبحانه وتعالى جعل بلاغة القرآن الكريم إحدى معجزات نبيّه الكريم ، بل وتحدى العرب بها ، مما يدل على مكانتها عندهم ، وسمو قدرها في نفوسهم . بل إن الإعجاز اللغوي البلاغي في القرآن الكريم ، كان واحداً من جملة الأسباب في تغيير عقيدة أمة ، وبالتالي قلب حضارتها رأساً على عقب .

واللغة تلعب دوراً رئيسياً في تحديد القوالب التي تحدثنا عنها آنفاً . فسهولة التراكيب ، وسلاسة النطق ، وثراء الألفاظ ، وجمال الجرس ، واتساع المعاني ودقتها ، عوامل تساعد على صياغة التفكير الإنساني ، ولبنات ضرورية لبناء جسور التفاهم بين المتحدثين . ولا شك أن وضوح الرسالة في أي موقف اتصالي يتوقف بدرجة كبيرة على تطور الوسيلة ، وهي هنا اللغة ، فما علاقة اللغة بالثقافة إذن ؟

العلاقة

لقد شُغل كل من اللغويين وعلماء الإنسان بهذا السؤال وخاصة خلال النصف الأول من هذا القرن ، وذلك عندما ولع اللغويون بدراسة لغات الأمم المختلفة ، وتبيان أوجه الاختلاف والتشابه فيما بينها . وتمخض عن ذلك حقائق مدهشة تعكس بلا شك علاقة وثيقة بين الثقافة واللغة في المجتمع الواحد . ففي لغات **قبائل الأسكيمو في جرينلاند** تشيع مفردات عديدة للتعبير عن أشكال متعددة للجليد ، بينما ليس في تلك اللغات لفظة واحدة تعني الجليد عامة . وفي ما يشيع في **العربية** من مفردات للتعبير عن الأنواع المتعددة للإبل مثال أوضح لما نريد . ويعبر متكلمو اللغة **السواحيلية** عن كل أنواع السيارات بكلمة واحدة هي « **جاري** » (بجيم قاهرية) ، ولا يمكن التمييز بين كل الأنواع المعروفة بلا إضافات لا تحتاجها الإنجليزية مثلاً . ويضطر من يتكلم الإنجليزية إلى الإضافات المتعددة للتعبير عما يحتويه العربي بكلمة واحدة للحديث عن أنواع الإبل ، فيما عدا واحدة فقط هي (**جمل**) (CAMEL) وتعني الذكر البالغ من الإبل ، وهي كما لا يخفى تعني كل شيء عن الإبل في الإنجليزية . ومن أغرب ما هناك من اختلاف اللغات ما وجده علماء اللغة في لغة **هنود الهوبي** (Hopi Indians) في شمال أمريكا . إذ لا يوجد في تلك اللغة أي مظهر نحوي ظاهر للدلالة على الزمن في الفعل ، وخاصة الماضي والحاضر ، فهل في ذلك يا ترى دلالة ثقافية معينة ؟ .

ومن الدلالات الثقافية الظاهرية في لغات الشعوب ما توظّفه تلك الشعوب لغوياً لتقسيم **مجال الألوان** . فليس في بعض اللغات غير كلمة واحدة مثلاً ، للدلالة على كل من الأخضر والأزرق . وفي **اللغة الروسية** ، من ناحية أخرى ، كلمتان للدلالة على ما يعتبره غير الناطقين بها أزرق .

ووجد علماء اللغات أن هناك اختلافاً كبيراً في دلالات الألفاظ المستخدمة للتعبير عن الأقارب ، فالأعمام في مجتمعات أخوال في أخرى ، والحموات في مجتمعات ضرات في أخرى . وأقرب مثال لذلك ما يشيع في بعض عامية **نَجْد** ، فالزوجة تشير إلى ضرتها (أي امرأة زوجها الأخرى) على أنها حماتها ، ولا خلاف على دلالة هذه الكلمة (حماة) في عاميات بعض المجتمعات المجاورة ، وربما كلها ، بل والعربية الفصحى . وتعبير ابن عمي في **نجد وبوادي الخليج والعراق والشام** ، تعبير واسع يشمل كل من ينتمي إلى القبيلة . وأوضح من ذلك تعبير « ابن أخي » إشارة إلى الانتماء الأسري الواسع في نفس المناطق .

ماذا تعني هذه الصلة ؟

ماذا تعني هذه العلاقة وهل لها تأثير على إدراك الشعوب لما يحيط بها ؟ لقد نشأت في الغرب نظرة مفادها **أن لغة كل قوم تحدد قدرتهم على الإدراك** . ويطلق علماء اللغة وعلماء الإنسان على هذه الفرضية اسم **فرضية وورف** (Whorfian Hypothesis) نسبة إلى أحد أولئك العلماء **بنيامين لي وورف** (Benjamin Lee Whorf) ، وهذه بلا شك نظرة استعمارية فوقية وعنصرية ولا يدعمها دليل . بل على العكس ثبت أن اللغة ـ وإن كانت وثيقة الصلة بالثقافة ـ لا تتدخل البتة في قدرة الشعب على الإبداع أو تحد من قدرته على فهم المستجدات . وثبت أيضاً أن لغات البشرية تتساوى في قدرتها على احتواء الأفكار الإنسانية .

والتعبير عن المشاعر الدفينة في جوانح بني البشر . ولم يوجد دليل واحد على ارتباط أي نمط من أنماط التفكير بلغة معينة[1] . ولكن الأمر لا يعدو على ما يبدو ما يتعوّده الناس من قوالب لغوية فيستسيغون سماعه ، وتألفه آذانهم ، وما يقابل ذلك مما يجد عليهم ، فيبدو غريباً شأنه شأن كل جديد لا يلبثوا أن يعتادوا عليه .

لقد شاعت في منتصف هذا القرن ، ولا تزال ، نظرية جديدة في علم النحو تسعى إلى استنباط ما يوجد في نحو لغات الأرض كلها من تشابه للوصول إلى نحو عالمي شامل (Universal Grammar) ويعتقد معظم معتنقي هذه النظرية أن المكوّن الأساسي (Base Componant) لكل لغات العالم واحد وأن الاختلافات التي نراها على السطح ما هي إلا انعكاس لتوظيف قواعد تحويلية دون غيرها[2] .

الهوامش

(١) انظر كتاب (An Itroduction to Linguistics) (Crane) .

(٢) لتعريف هذه المصطلحات انظر كتاب تشومسكي (Syntactic Structure) والمراجع الخاصة بنظرية التحويلية في النحو .

شعر: زكي قنصل

«احتفل المعهد الثقافي العربي الأرجنتيني في بيونس آيرس بمرور ألف ومئتي عام على إنشاء مسجد قرطبة في إسبانيا، فأنشد الشاعر هذه القصيدة»:

بـرغم الألْف لم تـبرحْ جـديدا ... تـدور على فـم الـدنيا نشـيدا
كأنَّ يـد المهنـدس لم تفـارقْ ... جـدارَكَ، أو تعطَّل منك جيـدا
إذا عصرٌ مضى اسـتقبلتَ عصراً ... قـرير العـين مختـالا سـعيدا
كما تهتز روح الجـدِّ تيهـاً ... بمـا تحـويه أدهشـت الحفيـدا
جمعتَ إلى طريف المجد، يـزهو ... بـذكر أميَّةٍ، المجـد التليـدا
تولَّى مـن بنـاكَ وأنـت بـاقٍ ... بقـاء الشـمس تأبى أن تبيـدا
ودالـت دولـة الإسـلام، لـكن ... حفـظتَ لـدينه الـذكر الحميـدا
إذا لم يعتصمْ بـالدين سـيفٌ ... فليس كلامـه الـرأيَ السـديدا
يطوف ببـابك الـداني، ويهفـو ... إلى ريَّاكَ مـن يحيـا بعيـدا
أحنُّ إليـك مهما طـال دربي ... فـكيف أحقـق الحـلم الشريـدا؟
أنـا العربيُّ حتى العـظم، مهما ... يكنْ حظي مـن الفصحى زهيـدا
أذانُك لا يـزال يهـزُّ روحي ... فـكيف تـريد ألا أسـتزيدا؟
أقـول لمن يبـاهيني بحصـنٍ ... حصينٍ... قـد تفـارقه طـريدا
بنيْنـا للصـلاة، وأنـت تبـني ... لتجعلنـا متـاعاً أو عبيـدا
وقلنـا بـالسلام، وأنـت تـدعو ... إلى حـرب، وتمـطرنا وعيـدا
ألا بعـدأً لحصـنك فهـو وكرٌ ... يضـمُّ الـويل والحقـد الشـديدا
إذا خلـت الجـوانح مـن شـعور ... فقـد صـارتْ جمـاداً أو جليـدا
شـقيقَ المسـجد المحـزون[1] إنَّا ... سـنجعل كل يـوم منـك عيدا
يـذكِّرني ـ وقـد أوشكتُ أنسى ـ ... شمـوخُ قبـابكَ العهـد المجيـدا
زمـانَ على النجـوم لنـا بنـودٌ ... تمـوج نـدىً وأحيـانـاً حـديدا
رعـاك بنـو العمـومة فـاستحقوا ... ثنـاء الـدهر والحـب الأكيـدا
لئن سـهروا عليك لقـد أضـافوا ... إلى حسـناتهم فضـلاً جـديدا
وقـد بـرُّوا القـرابة فـاستمرّتْ ... على الأجيـال، لم تضعفْ وثيـدا
سـتبقى في جبـين الـدهر تـاجاً ... يشـعُّ... وفي فـم الـدنيا نشـيدا

الهـوامش

---

(١) هو الجامع الأموي في دمشق، وفيه يقول شوقي:

مـررت بـالمسجد المحـزون أسـأله ... هـل في المصلّى أم المحراب مـروان

رجال نشروا الإسلام

في قلب القارة الإفريقية

الماي(*) إدريس ألوما

سلطان برنو

(٩٧٩ - ١٠١١هـ) (١٥٧٠ - ١٦٠٣م)

بقلم: د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

حفل تاريخ غرب القارة الإفريقية بالعديد من الشخصيات والعلماء والسلاطين والدعاة الذين قاموا بدور بارز وفعال ومؤثر في نشر الإسلام بين سكان تلك المناطق من الوثنيين، والذين كان لعلمهم الدور الأكبر في نقل تلك الشعوب من حالة البدائية والهمجية إلى مدارج الرقي والحضارة بالدخول في الدين الإسلامي الحنيف.

ومن تلك الشخصيات شخصية السلطان إدريس ألوما، أو السلطان أبو العلاء إدريس كما تعرض له بعض المراجع، الذي كان له دور في نشر الإسلام في منطقة «برنو» وغيرها من المناطق المجاورة.

سلطنة البرنو الإسلامية

تقع جنوب **بحيرة تشاد**، وقد كانت في بعض الفترات التاريخية جزء من **إمبراطورية الكانم**، وقد اختلف الباحثون في أصل تسمية برنو، فيرى البعض أنها مأخوذة من **برنوح** لأنهم يعتقدون أن **سفينة نوح** قد رست على هذه الأرض وأنهم سمعوا التسمية هكذا برنو من أمراء كانم المطرودين من بلادهم والذين أتوا يقولون إنهم أصل بلاد نوح ثم حذفت الحاء من برنوح وصار الاسم برنو **وهناك من يذكر أن برنو من البربر** يرجع أصلها، وأن سكانها ينحدرون من البربر البدو وأن برنو بلد يسكنه قوم من البربر العرب والغولاني فضلاً عن شعوب أخرى منها **قبائل التيسبو والتيدا**.

وقد ظهرت برنو على مسرح الأحداث السياسية في قلب القارة الإفريقية على أنقاض دولة كانم التي تقع شمال شرقي بحيرة تشاد وكانت المقر الأول للأسرة المالكة في برنو.

والسلطان إدريس الذي نعرض لسيرته الإسلامية هنا، **هو السلطان الثاني عشر في سلسلة السلاطين الذين حكموا برنو**، وقد تولى السلطنة بعد فترة من الفوضى السياسية في البلاد، وتعتبر فترة حكمه فترة الازدهار والتقدم والرقي والانتشار السريع والواسع للإسلام في المناطق المجاورة لبرنو.

وقد آلت إليه أمور السلطنة بعد وفاة **السلطان عبد الله بن دوناما**، وهو أعظم سلاطين برنو منذ تأسيسها وهو السلطان إدريس أو أبو العلاء إدريس بن علي بن أحمد بن عثمان بن الحاج إدريس الذي ينحدر من سلالة **السلطان أومي بن عبد الجليل أول سلطان اعتنق الإسلام في تاريخ كانم وهو من سلالة سيف بن ذي يزن البطل العربي المشهور ومن سلالة حمير.. وسمي إدريس أماي أو إدريس ألوما نسبة** إلى المكان الذي دفن فيه وهو **جزيرة ألوما**.

وإن ألوما ربما من تحريف لعلي، فهو إدريس بن علي وقد ذكر بهذا الاسم إدريس أبو العلاء، وربما أن الجزيرة التي دفن فيها، قد أخذت اسم ألوما بعد دفنه فيها وليس قبل دفنه وقد حكم ثلاثة وثلاثون عاماً (٩٧٩ - ١٠١١هـ)، (١٥٧٠ - ١٦٠٣م). وتعتبر فترة حكمه أهم فترة في تاريخ البلاد، فقد تولى العرش بعد فترة من الاضطرابات وكانت تسيطر فيها الملكة الماجدة عائشة كيلي على مقاليد الأمور

منذ أواخر عهد السلطان عبد الله وذلك بحكم شخصيتها القوية وبسطت نفوذها الواسع على برنو متواطئة لأن يتسلم ابنها السلطان إدريس أمور البلاد ومقاليدها وهي في قمة الهدوء والاستقرار .

التنشئة الأولى للسلطان

ربت والدة السلطان **الملكة عائشة كيلي** ابنها على الجهاد في سبيل الله ، وعلى حب الحرب والشجاعة والانتصار ، بالإضافة إلى العدل والعطف . من جانب آخر فقد أقامت له قصراً عظيماً وبجانب القصر مسجداً كبيراً حتى يشب على حب الإسلام وترسخ في قلبه عقيدة الإيمان والتقوى وليتذوق حلاوة الإيمان بالواحد القهار منذ نعومة أظفاره ، ولكي يشب إدريس بعيداً عن ترف العاصمة ومفاسدها ولكي يختلف عن ابن عمه السلطان دونا ما وابنه السلطان عبد الله . وكان القصر والمسجد يقعان على نهر يوه على بعد ١٥ ميلاً جنوب **مدينة «جامبارو»** ، وقد لاقت أمه الملكة صعوبات عدة في تربيته خلال حكم السلطان دونا ما بن محمد الذي نجح هو وابنه في تولي عرش البلاد .

أعمال السلطان

كانت أول أعمال السلطان بعد أن تولى حكم البلاد القيام بعدة حملات وحروب ضد القبائل الوثنية التي قامت بالهجوم على أطراف السلطنة مثل **شعب الجوكوون والصوفنجد** ، كما أنه قام بحملات إلى الجنوب فحارب زعيم أسكانا وحارب سكان كانو في الغرب وغيرها من إمارات **الهوسا** ، كما قام بحملات ضد البربر في الشمال لتأمين الطرق التجارية المؤدية شمالا إلى شواطئ **البحر المتوسط**، وضيق على البربر الخناق لقيامهم بالتعرض للقوافل القادمة لبرنو ، ووصل في حملاته شمالا في **واحة بلما** Bulma وعسكر هناك عدة أيام .

وقام بتأدية فريضة الحج بعد ثلاث سنوات من توليه عرش البلاد ، وفي طريق عودته إلى سلطنة برنو عندما وصل إلى **أرض براف** وهي من البلاد الواقعة شمال شرقي برنو ، لتأديب قبائل سكانها لخروجهم عن طاعته وأسر جميع المحاربين الأقوياء .

وأحضر السلطان إدريس معه الأسلحة النارية الحديثة بعد تأدية فريضة الحج ، ويعتبر أول حاكم يدخل تلك الأسلحة إلى منطقة وسط وغرب إفريقيا ، كما درب عدداً كبيراً من عبيده على استخدامها ، وبذلك ضمن السلطان لجيشه التفوق العسكري في كافة المعارك التي يدخلها ضد أعدائه ، كما ضم جيشه بعض الجنود والضباط الأتراك والطرابلسيين الذين تعاقد معهم في مصر في طريق عودته من الحج ، وعمل السلطان إدريس على وقف الحرب بين المسلمين والمصالحة بين القبائل وجعلهم إخوة في الله ، ودخل في حروب طويلة مع كل البلاد التي تجاور برنو سواء تلك التي تقع في شرقها أو غربها أو جنوبها أو شمالها .

وحمل الأهالي على اتباع أصول الدين الإسلامي الحنيف المستمدة من كتاب الله وسنّة رسوله **صلى الله عليه وسلم** ، والبعد عن البدع والخرافات والشعوذة والسحر ، وأن يتصفوا بالتسامح والإخاء وليس بالتنافر والعداء . ووحد المقاييس والموازين ، وذلك لكي يستخدمها الناس بالحق والقسط وأن يخافوا الله في أعمالهم . كما قام بفتح الطريق بين طرابلس وبرنو وقضى على شوكة القبائل التي كانت تعوق حركة التجارة وغزا **قبائل «الماندرا» و«باغوم»** وهي القبائل التي كانت تسكن إلى الجنوب من برنو ، وكانت لا تزال على الوثنية وانتصر عليهم وقام بإخضاع **قبائل البولالا** عدة مرات ، وذلك لأن السلطان **عبد الجليل بن عبد الجليل قائد البولالا** جاء لكي يقاتل السلطان إدريس وكان معه عدد قليل من الجنود ودارت المعركة ولكن في منتصف النهار انكسرت قوات الأعداء، وفروا إلى الشرق وتبعهم السلطان إدريس حتى اختفى لهم كل أثر ، ثم بعد ذلك وجه عنايته صوب بلاد الهوسا فأرسل عدة حملات إليها نجحت في الاستيلاء على المنطقة الواقعة غرب برنو كلها حتى مدينة كانو ودفعت الجزية للسلطان إدريس .

وقد ارتاعت **سلطنة سنغاي** لهذه الانتصارات التي حققها جيش برنو ، ولولا أنها سقطت تحت ضربات الجيش المراكشي الذي أرسله **السلطان منصور السعدي** وانكسار جيشها ـ عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م ـ لقام صراع عنيف بينها وبين سلطنة برنو وذلك لأن كل منها كانت تسعى للسيطرة على بلاد الهوسا .

كما أخضع مختلف العناصر في مملكته وذلك لأنه كانت له الغلبة والتفوق بسبب قوة جيشه الذي كان يضم فرقة من حملة البنادق وأخرى من الفرسان . وكانت هذه الأسلحة النارية التي حصل عليها إدريس غير معروفة في **السودان الأوسط والغربي** ولذا كانت خطته التي يتبعها في قتاله مع عدوه هي أن يقاتل بالسلاح الأبيض والأسلحة المستخدمة في ذلك الوقت حتى إذا حمي وطيس المعركة أصدر الأوامر للجنود الحاملين للأسلحة النارية أن يطلقوها طلقة رجل واحد فلا يسع العدو إلا الفرار ويولي دبره مذعوراً مدحوراً تاركاً وراءه مئات من القتلى والجرحى وبالرغم من تبعية شعب الصو لسلطنة البرنو سياسياً إلا أنهم أزعجوا السلطنة حتى غزاهم السلطان إدريس وطردهم من حصونهم وشتت شملهم كما خضعت للسلطان إدريس القبائل العربية في الشرق والجنوب ومن هؤلاء العرب **عرب الشوا** Shuwa .

أعماله المدنية

شيّد السلطان إدريس ألوما الكثير من المباني التي تشهد له بالقدرة على نشر العمران في أرجاء الإمبراطورية ، وأمر ببناء أربعة أبواب كبيرة للمدينة العاصمة ووضع الحراس على كل باب ، وأقام بها مخازن ومعسكرات للجنود ، وأمر كل الرؤساء أن يبنوا منازلهم من الطوب الأحمر والحجارة ، وأن يكون بها مكان مخصص للخيل .

كما قام ببناء المساجد من الطوب الأحمر والحجارة في العاصمة وفي العديد من المدن الكبرى والقرى الصغيرة بعد أن كانت تبنى سابقاً من الطين والبوص ، ورأى ضرورة الاهتمام بالمساجد والعناية بها وذلك لكي تقوم بدورها في نشر الدعوة الإسلامية وعلاج قضايا المجتمع ، وعلى ذلك فقد **أعاد بناء المساجد القديمة وشيد مساجد فسيحة وعظيمة** .

المجال السياسي

وفي المجال السياسي لعبت برنو في عهده دوراً هاماً ونشطاً في السودان الأوسط والغربي ، وكانت هذه الفترة فترة قوة ، ومدت نفوذها على أراض واسعة فكانت تحدها من الشمال الإمبراطورية العثمانية بعد أن بسطت سيطرتها ونفوذها السياسي على **ليبيا** منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وكانت برنو قد مدت نفوذها شمالاً حتى **واحة فزان** وشرقاً إلى **واداي** .

ولما كان **طوارق «أير»** يهددون طرق القوافل المؤدية من فزان إلى برنو ويقومون بنهب القوافل ، فقد كان يود أن يقوم الأتراك ببسط نفوذهم السياسي جنوباً وذلك باحتلال واحتي كوار وبلما ، وبذلك يسيطرون على الطوارق لتأمين طريق القوافل .. كما أرسل قوات عسكرية لمساعدة أبناء عمومته شعب سنغاي في كفاحهم ضد الغزو المراكشي عام ١٥٩١ م .

الجانب الاقتصادي

وكان لبرنو في عهد السلطان إدريس أهمية بارزة في نقل التجارة عبر الطرق الصحراوية وعلى وجه الخصوص تصدير المواد التي تستغني عنها بلاده وتقوم باستيراد الخيل والمواد التي تحتاج إليها من مصر وبلاد المغرب وغيرها من الدول العربية والإسلامية ، وقد زاد ذلك من ارتباطها بدول المغرب العربي ومصر ، وكان تصدير المنتجات الاستوائية تعود بمكاسب ضخمة على البلاد والأسرة المالكة ومصدر قوة للجيش السلطاني .

ومن أجل تدعيم الاقتصاد الزراعي أمر بنقل الفلاحين من **إقليم كولو** Kulu في كانم لكي يستقروا في برنو وذلك ليقوموا بالزراعة ، فاستقروا في جنوب شرقي البحيرة بالقرب من **بحر الغزال** ، كما رحل بعضهم بإرادتهم ليستقروا في ظل الطمأنينة والأمان اللذين سادا الإمبراطورية .. وبذلك استطاع أن يواجه المشاكل التي خلفها الذين سبقوه في الحكم وأن يقوي الإمبراطورية ويدعم مركزها ومن ذلك اتجاهه إلى محاربة الذين هزموا من سبقه من سلاطين برنو وظلوا يملكون مساحة واسعة من الأراضي ويحتلون أماكن هامة مجاورة لبرنو والذين كانوا يقومون بقطع الطرق والإغارة على القوافل وعلى برنو ، فقد قام بمهاجمة موطن هذه القبائل على نهر **كوميودجوابي** Komedu-guwabe بالقرب من عاصمتهم **دامساك** Damsak وبنى معسكرات كبيرة وحصنة وضع فيها جزء كبير من جيشه ثم لم يلبث أن قام بهجوم كبير ضدهم ، فدمر محاصيلهم وأشجارهم وصمم على أن يستولي على عاصمتهم ، ونجح في ذلك إلى حد أنه قتل وأسر جميع سكانها ، كما واجهت المدن الصغيرة نفس المصير واضطر سكان دوجيوتي Dughuti إلى الفرار إلى كانم ، كما هاجم سكان الغابات الأقوياء الذين يسمون «**امساكا**» والذين يسكنون بين **جاميرجو** Gumerghu **وماندرا** فأسر زعماءهم ، كما عمل على ضرب القبائل الوثنية بعضها ببعض وذلك بتأييد بعضها ثم التخلي عنها وتأييد فريق آخر ... وهكذا تمت له السيطرة على كل القبائل الوثنية ، ومن ثم بدأت تدخل في دين الإسلام طوعاً لا كرهاً وبالدعوة لا بالقتال ، كما سيطر على سكان جزيرة بحيرة تشاد وأصبحت برنو كاملة السيادة وأصبحت البلاد المجاورة لها تخشى بأسها ، ووسعت حدودها السياسية وسيطرت على أراض كثيرة ، ومن أجل زيادة السيطرة على جزر بحيرة تشاد ، أمر بصنع قوارب كبيرة بدلاً من القوارب التي كان يستخدمها السكان في عبور النهر .

الدور الإسلامي

وكان السلطان إدريس رجلاً قوياً متديناً ولذلك بذل جهوده لنشر الإسلام وتعميقه في نفوس مواطنيه وعمل على أن يكون الإسلام هو الدين الوحيد والرسمي في البلاد ، كما عمل على إلغاء البدع والخرافات وإن كان أفراد الشعب العادي لا زالوا يمارسون عاداتهم وتقاليدهم القديمة رغم اعتناقهم للدين الإسلامي . كما سعى أثناء تأدية فريضة الحج لدى قادة مصر والأزهر بأن قام الأزهر بإنشاء رواق به سمي رواق البرنية لطلاب بلاده .

وعمل السلطان إدريس على تشجيع شعبه في الذهاب إلى الأراضي المقدسة في **الحجاز** لتأدية فريضة الحج ومن أجل ذلك بنى المنازل



لهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وفتح التكايا ومنح الهبات، كما استقدم العلماء المسلمين من بلاد المشرق العربي من مصر وبلاد المغرب والحجاز، واقتبس النظم الإسلامية واستخدمها في التشريع بدلاً من التقاليد الموروثة، كما شجع طلاب العلم من شباب برنو على الذهاب إلى **الجامعة الكبرى الإفريقية في تمبكتو** عاصمة سنغاي الروحية وذلك قبل وقوعها تحت ضربات الاحتلال المراكشي وذلك للاطلاع على المؤلفات الإسلامية التي عرفها المسلمون في ذلك العصر وتلقي العلوم الإسلامية على أيدي أساتذة تلك الجامعة الكبرى.

وبعد أن وطَّد السلطان إدريس دعائم إمبراطوريته، إذ لم يكن شديد الرغبة في توسيع وزيادة مساحة الإمبراطورية، عمل على تأكيد السلام مع جيرانه واكتفى منهم بدفع الجزية عن الأجزاء التي سيطر عليها، وبذلك ضمن سلامة الإمبراطورية من الهجمات الخارجية، ولكي يضمن بقاء هذه الأماكن تحت سيطرته جمع عدداً كبيراً من الخيل والجمال للقيام بالدوريات.. وقد جاءه أمير إمارة ماندرا السابق يطلب مساعدته ضد عمه الذي عزله عن العرش فسار إلى كمارو ثم إلى ماندرا، ولكن السلطان فر إلى الجبال العالية التي تقع غرب المدينة، واضطر السلطان إدريس أن يعود إلى برنو دون أن يحقق أغراضه.. ثم عاد إليه في العام التالي وهو في أحسن التجهيزات العسكرية والمؤن الكبيرة وعسكر أسفل الجبل وأجبر سكان ماندرا على الاعتراف بالأمير المخلوع وسيادته لأنه الأمير الشرعي وله حق العرش.

نهاية البطل الإفريقي

لقد كانت الحروب التي خاضها ذلك البطل الإفريقي المسلم سبباً في رخاء برنو وعزتها وسبباً في انتشار الإسلام على نطاق واسع وسبباً في نمو المدن البرنوية نمواً اقتصادياً وازدياد حركة التجارة فيها. وقد مات السلطان إدريس في إحدى الغزوات وهو يقاتل في الجنوب عام ١٦٠٣م، بعد أن طعنه أحد الوثنيين بخنجر مسموم في صدره **ودفن في جزيرة ألوا Alawa في مقاطعة أدوماوا Adamawa** وبذلك طويت صفحة من أنصع صفحات تاريخ برنو كانت مليئة بالانتصارات والمشروعات.

تلك هي دراسة عن شخصية إسلامية إفريقية نكشف عنها النقاب بتلك الصفحات، حيث لم يسبق دراسة تلك الشخصية على مستوى العالم العربي والإسلامي والإفريقي من قبل اللهم إلا عن طريق الكتابات الأوروبية التي حاولت أن تصور ذلك البطل الإفريقي المسلم كرجل من رجال تجار الرقيق وتلك هي عاداتها في التركيز على تجارة الرقيق دون غيرها من الجوانب الأخرى.

إن تاريخ الإسلام والمسلمين في المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى مليء بالشخصيات الإسلامية التي قام الإسلام على أكتافها في ذلك الجزء من القارة الإفريقية.

المصادر والمراجع

(١) إبراهيم صالح بن يونس: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم وبرنو. الخرطوم، ١٩٧٠م.

(٢) أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج. القاهرة، ١٣٢٩هـ.

(٣) سلجمان: السلالات البشرية في إفريقيا، ترجمة يوسف خليل. القاهرة، ١٩٥٩م.

(٤) الشاطر بصيلي عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرقي الأوسط. القاهرة، ١٩٧٢م.

(٥) السلاوي أحمد خالد: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ٩ أجزاء. الدار البيضاء، ١٩٥٥م.

(٦) عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا. القاهرة، ١٩٥٩م.

(٧) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: سلطنة برنو الإسلامية. رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.

(٨) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: السياسة الخارجية لسلطنة سنغاي الإسلامية. رسالة دكتوراه، جامعة أسيوط، ١٩٨٣م.

(٩) عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين. الجزائر، ١٩٧١م.

(١٠) عبد المجيد عابدين: صور من وحدة الفكر العربي في إفريقيا. القاهرة، ١٩٧٠م.

(١١) علي أبو بكر. الثقافة العربية في نيجيريا. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ١٩٦٨م.

(١٢) محمد بلو: إنفاق الميسور بتذكر بلاد التكرور. القاهرة، ١٣٨٣هـ.

(١٣) Ahmed Ibn Furthua: Mai Idris Alooma of Bornu. London, 1949.

(١٤) Barth, H.: Travels in North and central Africa. 3 vols. London, 1958.

(١٥) Carabou, H.: La Region du Tchad et du Quada. Paris, 1840.

(١٦) Hodgkin, T.: Nigerian Perspectives. London. 1960.

(١٧) Macmichial, A.H.: History of the Arabsin the Sudan. 2 vols. London, 1922.

(١٨) Meek, C. K.: The Northern tribes of Nigeria. 2 vols. London, 1931

(١٩) Mewan, J. M.: Africa from early times t... London, 1960.

(٢٠) Palmer, R.: The Bornu shara and Sudan. London, 1936.

(٢١) Palmer, R.: Sudanese memoires. London, 1967.

(٢٢) Shinnie, M.: Ancient Africa Kingdoms. London, 1968.

(٢٣) Trimingham, J. S.: History of Islam in west Africa. London, ...

(٢٤) Urvay, Y.: Histoire du L'Empire du Bornu. Paris. 1949.

(٢٥) Urvay, Y.: Histiore de Population du Sudan Central. Paris, 1936.

الهوامش

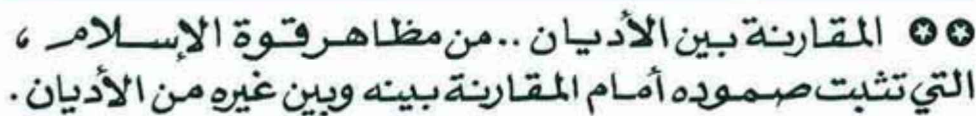
(★) كلمة ماي تعني سلطان عند سكان البرنو، كما أن كلمة منسا تعني سلطان عند سكان مالي، كذلك كلمة أساكيا تعني سلطان عند سكان سنغاي، وكلمة ساركن تعني سلطان عند سكان بلاد الهوسا، وكذلك كلمة ملك تعني سلطان عند سكان سنار ودارفور، والداي تعني سلطان عند سكان تونس دان كوما.

لقاء العدد

الدكتور أحمد شلبي

أجراه : محمد متولي

التاريخ .. والحضارة الإسلامية



يقول المؤرخ (أرنولد توينبي) : « إن أخص ما تتميز به مساهمة المؤرخ في التراث الإنساني أنه يقدم لنا صورة لإبداع الخالق جل شأنه » . وعليه ، فالتاريخ أمانة يتحمل مسؤوليتها المؤرخ أمام (الله) وأمام الأجيال . والتاريخ بصفته علماً من العلوم الإنسانية له أدواته ومناهجه . كما أنه لا ينفصل عن الفروع العلمية الأخرى مثل علم (الأنثربولوجيا) ، وعلم (الأركيولوجيا) . فالمؤرخ قد يغير من مواقفه وتفسيراته للتاريخ بناء على النظريات والاكتشافات العلمية الحديثة .

وكما كان للمؤرخين في الماضي موسوعاتهم التاريخية مثل (الواقدي) ، و (ابن سعد) ، و (الجاحظ) ، و (اليعقوبي) ، و (الطبري) ، و (المسعودي) ، و (الأصفهاني) ، و (ابن خلدون) ، وغيرهم . فللمؤرخين في القرن العشرين الميلادي ، موسوعاتهم التاريخية أيضاً ، نذكر منهم على سبيل المثال : (أرنولد توينبي) الذي ألف موسوعة عظيمة تحتوي على عشرة مجلدات بعنوان (دراسة للتاريخ) ، كما نذكر المفكر السعودي المرحوم (أمين مدني) صاحب موسوعة (العرب في أحقاب التاريخ) قبل وبعد الإسلام .

وفي هذا اللقاء ، نلتقي بصاحب موسوعة (التاريخ الإسلامي وحضارته) ، الدكتور أحمد شلبي ، أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة ، في حوار تناقش من خلاله عدداً من قضايا تاريخنا العربي والإسلامي والحضارة الإسلامية ، وكيف يمكن أن نعود بكل ذلك المجد والقوة والازدهار .

تاريخ التاريخ

●● بصفتك أستاذاً للتاريخ الإسلامي وحضارته ، ماذا تقول عن (التاريخ) .. (فلسفة التاريخ) .. (تاريخ التاريخ) .. ؟

● في دراسة التاريخ ، يوجد اصطلاحان مهمان : **التاريخ ، وفلسفة التاريخ ، الأول** هو الأحداث التي وقعت في الماضي القريب أو البعيد ، وما دام الحدث قد وقع فهو في ذمة التاريخ . أما **الثاني** فهو التعليق على الحدث ، لماذا حدث ؟ ، وماذا لو لم يحدث ؟ . .

وكيف يمكن أن نستفيد من نتائجه ، ولقد كان المؤرخون الأوائل يهتمون بالتاريخ دون الاهتمام بالتعليق على أحداثه ، واعتبر ذلك نقصاً ، فلما جاء (**ابن خلدون**) ، بدأ الاهتمام بفلسفة التاريخ والتعليق على أحداثه ، وكان ذلك عملاً عظيماً تبناه الغربيون ثم سار عليه الشرقيون ، خاصة بعد ما استخدم الغربيون فلسفة التاريخ والتعليق على الأحداث بما يناسبهم ويتفق مع أفكارهم ، مما أساء إلى

تاريخنا العربي والإسلامي ، فكان لا بد أن نعلق على تاريخنا حتى يصبح أكثر وضوحاً وأكثر دقة ونفعاً . أما (**تأريخ التاريخ**) ، فهو عملية كتابة التاريخ العام منه والخاص ، وهي تخضع لمناهج ونظريات عديدة ، وتشمل جمع المادة التاريخية وتحقيقها وصياغتها صياغة تاريخية دقيقة ثم التعليق عليها ، وأخيراً توضيح النتائج .

التاريخ المنقطع والمتصل

●● نود أن تحدد لنا الأزمنة التاريخية (القديم والوسيط والحديث والمعاصر) .. وهل يمكن في تقديركم كتابة تاريخ (المستقبل) ، ؟

● يقولون إن التاريخ القديم هو الذي وقع قبل القرن الخامس الميلادي ، الذي شهد انقسام **الإمبراطورية الرومانية** ، وبشكل عام يعتبر التاريخ القديم هو ما حدث **قبل ظهور الإسلام ، وظهور الإسلام** وما عاصره من أحداث في العالم هو **التاريخ الوسيط**. أما التاريخ الحديث ، فهو يبدأ من **سقوط القسطنطينية** وحتى الآن وبعد الآن .

لذلك فنحن نعد التاريخ المعاصر امتداداً للتاريخ الحديث .. كل ما هناك أن المؤرخ عندما يؤرخ لأحداث عايشها في الوقت الحالي .. ففي هذه الحالة نسمي هذا التاريخ بالتاريخ المعاصر . أما بالنسبة لتاريخ المستقبل الذي ذكرته في السؤال ، **أقول لك : إن التاريخ يكتب أساساً ليكون في خدمة الأجيال في المستقبل القريب أو البعيد** ... **فالتاريخ شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل .. وهناك تاريخ منفصل ومتصل ، التاريخ المنفصل أو المنقطع هو تاريخ الماضي فحسب ، أما التاريخ المتصل هو الحديث عن أحداث الماضي بما يفيد المستقبل واستخلاص العبر** ، ولقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا المفهوم الأساسي للتاريخ .. بقوله تعالى في **سورة يوسف ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾** (سورة يوسف ، الآية ١١١) .

التاريخ روح ومنهج

●● هل هناك فرق بين التاريخ العربي والتاريخ الإسلامي في نظركم ؟

● التاريخ العربي ، هو تاريخ العرب قبل الإسلام ، فلقد كانت لهم نظم وقيم ومبادئ خاصة بهم ، فلما أتى الإسلام بنوره ، وهو دين لكل الناس ، ولا يقف عند جنس من الأجناس ، أصبحنا نسمي التاريخ بالتاريخ الإسلامي ، الذي يحدثنا عن المسلمين العرب وغير العرب .

●● كيف يمكن تجنب المبالغة والخيال والادعاءات والإسرائيليات ، من قبل بعض المؤرخين والمستشرقين ، عندما تكتب تاريخنا العربي والإسلامي .. ؟

● **هذه نقطة مهمة** .. فالتاريخ وكتابته تحتاج إلى الروح والمنهج ، والإسرائيليون هم الذين اهتموا بالدراسات الشرقية ، وأغلب المستشرقين منهم تنقصهم الروح الإسلامية ، مضافاً إلى ذلك عداء اليهود للأديان الأخرى المخالفة لهم . **والآن نستطيع أن نقول إننا ملكنا ناصية المنهج مضافاً إليه الروح الإسلامية** . والحمد لله نعمل الآن على تنقية تاريخنا العربي والإسلامي ، وذلك بحسن الأداء ، وتأصيل مصادرنا التاريخية ، وأصلحنا فعلاً العديد من الأخطاء والمبالغات .

التاريخ .. والأركيولوجيا

●● ألا ترى أنه في ظل تقدم العلوم مثل : علم الأنثربولوجيا والأركيولوجيا ، وعلى ضوء اكتشاف بعض المخطوطات القديمة ، أو بعض آثار سفينة نوح وكهف أهل الكهف .. يستوجب ذلك إعادة كتابة تاريخ بعض عصور التاريخ .. ؟

● يجب علينا استعمال هذه العلوم في خدمة التاريخ وكتابته لمزيد من الإيضاح ولمزيد من التفاصيل ، وعلى ضوء النظريات العلمية الحديثة والاكتشافات المؤكدة يستوجب تعديل التاريخ وتغيير الفلسفات التي أقام على أساسها كتّاب التاريخ كتاباتهم التاريخية .

ويجب على المؤرخ أن يكون على استعداد دائماً لاستقبال المعلومات والحقائق الجديدة ، طالما كانت في خدمة التاريخ .

أما بالنسبة لكهف (**أهل الكهف**) الذي

● للمؤرخ دور خطير في تبصير الأجيال بالقدوة الحسنة التي يجب الاقتداء بها.

يقولون إنه في **الأردن** فهذا محتمل وإن كان غير مؤكد. أما (**سفينة نوح**) التي يقولون إنها في تركيا، فهذا غير محتمل على الإطلاق، فالتاريخ قبل (**إبراهيم**) لا نعرفه ولا بالتقدير. من (**إبراهيم**) إلى (**محمد**) **صلى الله عليه وسلم** نعرفه بالتقريب، أما التاريخ من (**محمد**) **صلى الله عليه وسلم** حتى الآن، فنعرفه بالتحديد.

ويقول **جوستاف لوبون**: «إذا استثنينا محمداً لا نجدنا عارفين تاريخ أي نبي معرفة دقيقة»، وعليه فنحن نجهل تاريخ (**نوح**)، وبالتالي لا نستطيع أن نجزم بأن السفينة التي اكتشفت في تركيا هي سفينة نوح، لهذا السبب ولأسباب أخرى عديدة.

مصادر التاريخ الإسلامي

●● ما المصادر التي يجب الاعتماد عليها عند كتابة التاريخ الإسلامي.. وما الشروط الواجب توافرها في المؤرخ الذي يتصدى لعملية كتابة التاريخ الإسلامي خاصة في وقتنا الحاضر..؟

● **القرآن الكريم، مصدر رئيسي من مصادر التاريخ الإسلامي**، فالقرآن الكريم تحدث عن حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعن الغزوات في صور دقيقة لا يستغني عنها أي مؤرخ. **فسورة الأحزاب** تحدثنا عن غزوة الأحزاب، **وسورة الأنفال** تحدثنا عن غزوة بدر، **وسورة آل عمران** تحدثنا عن غزوة أُحُد، التي يظن البعض أن المسلمين انهزموا في هذه الغزوة، وعندما نراجع الآيات، نراها توصف لنا الأحداث في دقة ووضوح. يقول الله تعالى **﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله﴾** (سورة آل عمران، الآية ١٤٠)، من هنا نرى أن ما لحق بالمسلمين في «أحد» جراح لا هزيمة، فلم يستسلموا، ولم يهربوا، ولم يفرطوا في أرض.. **وعليه نحن في حاجة إلى القرآن الكريم دائماً عندما نكتب تاريخنا الإسلامي**. أضف إلى هذا المصدر الرئيسي **الأحاديث النبوية الشريفة**، التي تشتمل على تفاصيل لا نستغني عنها، وأيضاً كتابات التابعين والمؤرخين العرب ابتداء من (**ابن إسحاق**)، و(**ابن هشام**)، و(**اليعقوبي**)، و(**الطبري**) وغيرهم، والمؤرخ الذي يتصدى اليوم للكتابة في التاريخ الإسلامي، يجب أن تتوافر فيه عدة شروط أهمها: الروح الإسلامية، وامتلاك ناصية المنهج، والثقافة وسعة الاطلاع، والموهبة، والاعتماد على المصادر التي ذكرناها. أضف إلى ذلك ضرورة الرجوع إلى مؤرخ قريب من الأحداث التي يكتب عنها ومعاصر لها، فمثلاً إذا كان يكتب عن مصر، يرجع إلى (**المقريزي**)، وعن الحجاز ونجد، يرجع إلى (**ابن بشر**)، وهكذا..

القرآن الكريم.. والحضارة الإسلامية

●● هل تخضع الحضارات البشرية لنظرية (أرنولد توينبي)، الذي يرى أن الحضارات تولد وتزدهر ثم تموت حتماً.. وإذا تحقق ذلك على الحضارات القديمة، فهل بالضرورة سوف تشهد الحضارات الحديثة عامة والحضارة الإسلامية على وجه الخصوص هذه النهاية؟

● النظرية صحيحة إلى حد ما، و (ابن

الدكتور أحمد شلبي في سطور

● من مواليد ١٩٢٠م. بمحافظة الشرقية بالقاهرة.

● تخرج من دار العلوم عام ١٩٤٥م.

● نال درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج، وكان موضوعها (تاريخ التربية الإسلامية)، كحلقة في سلسلة الحضارة الإسلامية.

● أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

● من مؤلفاته:

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، (١٠ أجزاء).

(٢) موسوعة النظم والحضارات الإسلامية. (١٠ أجزاء).

(٣) سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان. (٤ أجزاء).

(٤) كيف تكتب بحثاً أو رسالة.

(٥) تعليم اللغة العربية لغير العرب.

(٦) سلسلة من الكتب المصورة لكل الأعمار. عن عظماء الإسلام وقصص القرآن.

القاعدة

الإسلام لا يهدف إلى القتل أو التدمير، وليست الحرب في الإسلام إلا من أجل الدفاع .

خلدون) وضع المسألة رباعية ، فجيل يكدح ويبني ، والثاني يحسن ويجمل ، والثالث ينعم بجهد السابقين ويترف ، والرابع ينغمس في الترف ويبدأ في السقوط . فمثلاً في **العصر العباسي** ، نجد جيل (**العباس والمنصور**) يبني ، و (**المهدي**) يحسن ، و (**هارون الرشيد**) يترف ، و (**الأمين**) يسقط .

والحضارة الإسلامية كغيرها من الحضارات ، قد تتعرض لفترات من الضعف والسقوط ، إلا أنها سرعان ما تنهض بقوة (القرآن الكريم) ، فالحضارة الإسلامية باقية ببقاء القرآن الكريم الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (سورة فصلت ، الآية ٤٢) . فالإسلام قوي دائماً ، ومن الخطأ أن نحكم على الإسلام وحضارته من خلال أحوال المسلمين .

وللمؤرخ هنا دور خطير لتنوير وتبصير الأجيال الحاضرة بمواطن الضعف والقصور ، وذكر الأمثلة الحسنة التي يجب على المسلمين الاقتداء بها للنهوض بحضارتنا ، لتستعيد أمجادها ولتكون في صورة مطابقة لما أراده الإسلام للمسلمين من عز ومجد وخير وسعادة .

الحضارة الإسلامية سلام لا حرب

●● ما العوامل التي تساعد على انهيار الحضارات البشرية .. وما دور الحروب في مسيرة الحضارات وخاصة الحضارة الإسلامية .. ؟

● الحضارات تموت عندما ينصرف أهلها عنها ويهملونها ، أو عندما تهزم أمام جحافل من البرابرة . **ولقد شاء الله تعالى أن يصون الحضارة الإسلامية ، ويكتب لها حياة جديدة بعد ما حوصرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، بجحافل المغول من الشرق ، وجحافل الفرنجة من الغرب ، وجحافل الصليبيين من القلب** . فقاومت مصر ومعها جيوش المسلمين من كل مكان في معارك كثيرة : **حطين ، وعين جالوت** ، واستعادت الحضارة الإسلامية دورها ومكانتها في العالم .

●● ما موقف الإسلام من الحرب .. وما المبادئ التي التزم بها عند خوض الحروب .. وما الهدف من الحروب التي يخوضها .. ؟

● لقد قلب الإسلام الأوضاع ، وجعل السلام هو الأساس والحرب للدفاع لا للاعتداء ، ويؤكد هذا قول الله تعالى **﴿ ادخلوا في السلم كافة ﴾** (سورة البقرة ، الآية ٢٠٨) .. **﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴾** (سورة البقرة ، الآية ١٩٠) . ومن مبادئ الإسلام في الحرب .. لا تقطع شجرة ، ولا تدمر بيتاً ، ولا تقتل شيخاً أو عالماً أو امرأة أو طفلاً ، ولا تقتل حيواناً ، ولا تتعقب فاراً ، **فالإسلام يهدف من وراء الحرب الدفاع وتحقيق النصر ، ولا يهدف مطلقاً إلى القتل والتدمير ، فالإسلام يعتبر السلام هو القاعدة .**

مقارنة الأديان

●● (مقارنة الأديان) بصفته علماً من العلوم .. ما الهدف منه .. وما موقف الإسلام منه .. وما نتائج هذه المقارنات خاصة أن لك سلسلة من الكتب في هذا العلم .. ؟

● **مقارنة الأديان علم إسلامي ، ولم يكن موجوداً قبل الإسلام لماذا ؟** ، لأن كل دين كان يرى في نفسه الدين الصحيح ، وغيره ضلال .. ومن مظاهر قوة الإسلام ، أنه لا يخشى المقارنة ، وتوجد في القرآن الكريم مقارنات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ (سورة النحل ، الآية ١٧) ، **﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾** (سورة الزمر ، الآية ٩) ، **﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾** (سورة الأنبياء ، الآية ٢٢) .

ومقارنة الأديان ، تعني مقارنة قضايا الأديان ، فمثلاً قضية (**الألوهية**) نبحث رأي كل دين فيها ، ونقارن بين الآراء ، وقضية (**الكتاب المقدس**) نقارن بين الكتب الدينية الخاصة بكل دين ، وهكذا ..

وبعد دراسة جميع القضايا دراسة محايدة ، نكتشف أن الفكر الإسلامي أرقى الأفكار على الإطلاق ، لأنه يتمشى مع فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وعليه ، فعلم (**مقارنة الأديان**) ، يخدم الإسلام خاصة والإنسانية بوجه عام .

التراث والعصر

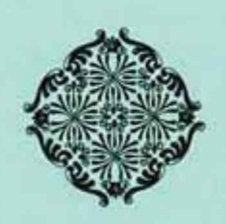
●● تراثنا المشتمل على كل معطيات حضارتنا الإسلامية كيف نستعيده

اليوم .. وماذا نأخذ منه .. وماذا نترك .. ؟

● **أولا : كيف نستعيد تراثنا ؟** ، فهذا يتطلب كتابة تاريخ حضارتنا الإسلامية ، ولقد بدأنا في ذلك بالفعل . **ثانياً :** لا بد من تدريس مادة (**الحضارة الإسلامية**) في جميع الجامعات على اختلاف تخصصاتها ، فحضارتنا كانت لها معطيات في مختلف فروع العلم والمعرفة ، وفي العلوم التطبيقية والفنية .

وانا لا ارى ابدأ أن نأخذ بعض التراث ونترك البعض ، فتراثنا عظيم جداً في علوم الطب والسياسة والاقتصاد والعلوم التجريبية وغيرها ، فقط أرى عند التطبيق مراعاة ظروف العصر الذي نعيشه ، وما استجد من نظريات وأفكار حديثة ، مع ملاحظة أنه لا يمكن أن نبدأ من القمة ، فهل نصعد السلم من فوق ؟! .

وأقولها من فوق منبر مجلة « الفيصل » .. إن كل مشاكلنا الحاضرة ناجمة من تقصير معاهدنا العلمية في تدريس علم الحضارة الإسلامية لطلابها .. ؟ .





أحبك

شعر : سعد البواردي

أحبُّكِ يا أرضي .. ولستِ بخيرها .. في غيركِ « الأنهارُ » و « الخصبُ » و « الفنن »

ولكنَّكِ « الأبهى » . فأنتِ حبيبتي وأنتِ لي « التاريخ » و « الأهلُ » و « الوطَنْ »

ومن يعشق التاريخَ أهلاً . وموطناً يُبيحُ ربيعَ الأرض لو أنَّهُ الثَّمنْ

الدراجة النارية

ابتكرت الدراجة النارية Motorcycle في أوائل القرن العشرين للميلاد .

في البداية ، كانت تشبه الدراجة العادية Bicycle ، مضافاً إليها محرك يعمل بتدوير بدّال Pedal الدراجة . وعند مستوى معين من السرعة ، يتوقف الراكب عن تدوير البدّال ، فيعمل المحرك وتنطلق الدراجة النارية .

وكان **للبدّال** وظيفتان :

★ إحداهما ، **مساعدة المحرك على العمل .**

★ وثانيهما ، ـ ولهذه أهمية كبيرة في كثير من الدول المحدودة الدخل ـ **إعفاء الدراجة النارية من رسوم ضريبة رخصة التسيير** ، من حيث إن الدراجة النارية هي مجرد دراجة كشقيقتها العادية .

أما **المحرك** ـ في تلك الدراجات النارية الأولى ـ فكان **صغير الحجم** ، لكنه كاف لتحريكها وانطلاقها .

قبل اندلاع **الحرب العالمية الأولى** ، أدخلت **تحسينات جديدة على صناعة الدراجة النارية ، تمثلت في زيادة قوتها وسرعتها ، وثقل وزنها ، وانخفاض مقعدها ، وتركيب غطائين على الجانبين لحماية قدمي الراكب ، وحلول المحرك مكان البدّال** . وبذلك أمكن



الدفع بها إلى سباقات الدراجات النارية في كثير من دول العالم .

خلال **الفترة ما بين الحربين العالميتين** ، كثرت التطويرات والتحسينات على شكل ومحرك الدراجة النارية .

وكان أشهرها تلك التي استحدثها **مهندس بريطاني** ، والتي جعلتها **أكثر انخفاضاً من سابقتها وأحسن منها أداءً .**

ومن ثم ظهرت **الدراجة النارية ذات الأسطوانة** (السلندر) **الواحدة** ، وذات الأربع أسطوانات .. لكن الأخيرة حققت فشلاً تجارياً ذريعاً في البداية .

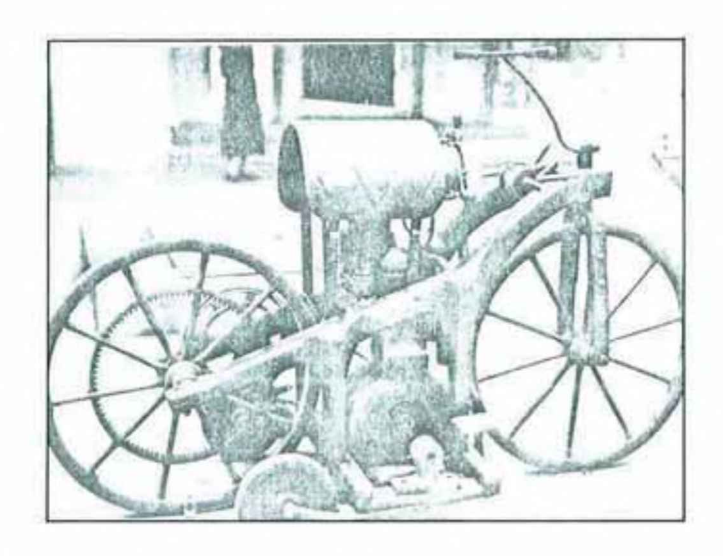
وبعد **الحرب العالمية الثانية** ، انتشر إنتاج واستخدام الدراجة النارية في أغلب دول العالم .

أصبحت **بريطانيا وإيطاليا وألمانيا واليابان** الدول الأساسية المنتجة لها ، كما بدأ استخدامها كوسيلة خاصة للانتقال ، وواحدة من أدوات ممارسة الرياضة في كافة دول العالم .

وفي اليابان ظهرت تحسينات وإضافات على هذه السلعة ، مكنها من غزو مصانع أوروبا .. فشهدت الأسواق تنوعاً هائلاً من تصميمات ، ومحركات ، وكفاءات ، وكماليات الدراجة النارية بشكل لم يسبق له مثيل .

تتراوح سعة أسطوانة المحرك (السلندر) ـ في الوقت الحاضر ـ بين ٥٠ سنتيمتراً مكعباً (سي . سي C. C.) ، و ١٠٠٠ سي سي .

النوع الأول يستخدمه الأطفال ، أو الكبار في تنقلاتهم المحدودة داخل المدن المكتظة بوسائل النقل ،



ويستخدم **النوع الثاني** الكبار ، وأجهزة الدوريات الشرطية ، والمرور ، والنجدة .

ومن التطويرات الحديثة التي أدخلت على صناعة الدراجة النارية :

ـ **ظهور المحركات ذات الأسطوانتين** ، أو الثلاث . ومنها ذوات الأربع .. والقليل مزودة بست أسطوانات .

ـ **استخدام مفتاح التشغيل** ، كما في السيارة .

ـ **الاعتماد على الكابحات** (الفرامل) المركّبة على أسطوانة disc .

ـ **وجود إشارات ضوئية على الجانبين ، ومؤشر للسرعة ، ومبيّن لعدد دورات المحرك ، وكثير من الأجهزة التي تختص بها السيارة .**

أدت هذه التحسينات إلى استحواذ المنتجات الحديثة من الدراجة النارية على كثير من الإمكانات الموجودة بالسيارة ، ومن ذلك :

السرعة التي تصل في بعض الأنواع إلى ١٩٣ كيلومتراً في الساعة . أما دراجات السباق ، فتصل سرعتها إلى ٢٤١ كيلومتراً في الساعة أو أكثر .

فإذا تمتعت الدراجة النارية بمزايا كالتي أشرنا إليها ، بالإضافة إلى كونها اقتصادية في استهلاك الوقود ، فليس بمستغرب أن يقترب ثمن الدراجة النارية الحديثة من ثمن سيارة صغيرة .



المسلمون في الاتحاد السوفيتي

بقلم: د. يحيى محمود ساعاتي



★ د. محمد علي البار ★

لا تزال المناطق الإسلامية* في الاتحاد السوفيتي رغم عراقة تاريخها الإسلامي وصلتها الوثيقة بالأمة العربية في فترات الازدهار الفكري إذ قدمت مئات العلماء والمفكرين والشعراء والأدباء ممن تفخر بهم الثقافة العربية، تعاني من النسيان والإهمال نتيجة رزوحها تحت الاحتلال السوفيتي وانقطاع صلتها بعالمها الحقيقي وقد كان في إمكان الاضطهاد والقسوة وسبل القمع التي مارسها الاتحاد السوفيتي أن تلغي الانتماء الإسلامي لشعوب تلك المناطق، لكن عمق جذورها الإسلامية لم تمكنه من ذلك فبقيت متمسكة بإسلامها بل وأخذت تزداد تمسكاً به مع مرور الوقت حتى أصبحت اليوم تشكل تهديداً حقيقياً لوحدة الجمهوريات السوفيتية وهو أمر لفت انتباه الباحثين والدارسين الغربيين المتخصصين في المنطقة الإسلامية في الاتحاد السوفيتي.

وقد نتج عن ظاهرة نمو الشعور الديني في آسيا الوسطى ظهور عشرات الدراسات عن الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي وعن مستقبل علاقاتها بحكومة الكرملين ومن أبرز هذه الدراسات وأحدثها كتاب « المسلمون المنسيون: الإسلام في الاتحاد السوفيتي Les Musulmans Oublies »، تأليف **ألكسندر بنغسون** Alexandre Bennigsen **وشانتال لوميرسيه كالكجي** Chantal Lemercier Quelquejay الذي نشرته **دار ماسبرو في باريس عام ١٩٨١م**[١].. وكتاب « **المسلمون السوفيتيون** Les Musulmans Sovietiques » **لفنساي مونتاي** Vicent Monteil الذي نشرته **سوي في باريس عام ١٩٨١م**[٢].

وكتاب **التهديد الإسلامي للدولة السوفيتية** The Islamic Threat To the Soviet State **لألكسندر بنغسون** Alexandre Bennigsen **وماري بوركسب** Marie Broxup الذي نشرته **مطبعة سانت مارتينز في نيويورك عام ١٩٨٣م**.

هذا إلى جانب اهتمام الصحافة الغربية بهذا الموضوع بشكل واضح، مما أدى إلى ظهور عشرات الكتابات والاستطلاعات الصحفية عن المنطقة الإسلامية في الاتحاد السوفيتي وأحوال المسلمين فيها.

وتؤكد كل تلك الدراسات على جانب مهم، هو عودة الإسلام بشكل قوي وهو أمر أصبح يقلق حكام الكرملين ويرعبهم خاصة في ظل النمو العددي الكبير للسكان المسلمين الذين يتوقع أن يصل عددهم إلى ما يقارب ٣٠٪ من مجموع سكان الاتحاد السوفيتي في عام ٢٠٠٠ ميلادية.

ورغم العناية الفائقة للغربيين بهذا الموضوع إلا أن اللغة العربية كانت إلى وقت قريب تفتقر إلى كتاب شامل يقدم صورة واقعية لأحوال المسلمين في الاتحاد السوفيتي، ولا بد لنا أن نشير هنا إلى أن دراسات عديدة قد ظهرت من قبل تناولت منطقة واحدة أو قضية واحدة من قضايا المسلمين في الاتحاد السوفيتي من أمثلتها: **حقائق عن التركستان المسلمة، لمحمد أمين إسلامي** (١٣٨٤هـ)، والمسلمون في الاتحاد السوفيتي من خلال المؤتمر العلمي الإسلامي، **لمحمد السقا** (١٤٠٠هـ)، والأدب العربي في القفقاس الشمالي، **لكراتشكوفسكي**، ترجمة **جليل كمال الدين** في مجلة « المورد » العراقية (مج ٩، عدد ١، ١٤٠٠هـ)، والطريق إلى سمرقند، استطلاع مصور **لفهمي هويدي في مجلة العربي** (ع ٣٠٨، ١٤٠٠هـ)، وعالم المسلمين السوفيت، استطلاع مصور **لمصطفى نبيل في مجلة العربي** (ع ٣٥٨، ١٤٠٤هـ).

كما أن الصحافة السياسية العربية اهتمت في الآونة الأخيرة بالمسألة الإسلامية في الاتحاد السوفيتي فأخذت تنشر بين فينة وأخرى أخباراً تتعلق بالنشاط والعودة الإسلامية في تلك الديار وإن كان أغلبها مأخوذ عن مصادر غربية.



المسلمون.. عبر التاريخ

وقد جاء كتاب **محمد علي البار** (**المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ**) ليمثل قفزة في مجال الاهتمام العربي بهذه القضية وليسد نقصاً فادحاً في المكتبة العربية ظلت تعاني منه أمداً طويلاً.

وكتاب البار الذي يقع في مجلدين ونشرته **دار الشروق** في جدة عام **١٤٠٣هـ**، يعتبر عرضاً تاريخياً لدخول الإسلام وانتشاره في المناطق الإسلامية الواقعة تحت النفوذ السوفيتي حالياً، كما أنه يقدم معلومات علمية عن بدء الاحتلال الروسي والثورة الشيوعية والاحتلال العسكري والمقاومة الإسلامية والقمع والاضطهاد الذي تعاني منه الشعوب الإسلامية في تلك المناطق، كما يواكب ذلك لمحات جغرافية تحدد المناطق وتبين الظواهر الجغرافية والديمغرافية. وقد ركز المؤلف في الفصل الثاني على مجموعة من المدن والمناطق الإسلامية ذات الشهرة في التاريخ الإسلامي، فتحدث عن جغرافيتها وتاريخها ودورها الإسلامي ثم عن أشهر من ظهر فيها من العلماء، ومن هذه المدن: **بخارى، وسمرقند، وخوارزم، وفاراب، واسفيجاب، ونسف، وآمل، وبيهق، وسرخس**.

ويوضح البار في مقدمته مجال كتابه فيقول: « ولقد اخترت الاتحاد السوفيتي بأكمله الذي تبلغ مساحته ٢٢,٢٧١,٠٠٠كم مربع واندفعت خلف المد الإسلامي إلى هذه البلاد منذ

أن بدأ فتحها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨هـ (٦٣٨م) وحتى يومنا هذا . . فكان لا بد أن أواجه مصاعب جمة في تجميع المعلومات عن مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي . . »[٣] .

أما الدوافع التي أدت به إلى الكتابة في هذا الموضوع فيحددها بما يلي :

★ أولها : أن بلاداً إسلامية كثيرة لا تزال تقع تحت براثن الدب الروسي وتخدع بدعاواه حول محاربة الاستعمار والامبريالية وتقع فريسة له .

★ وثانيها : أننا نجهل جهلاً تاماً أن الاتحاد السوفيتي بأكمله كان أرضاً خاضعة للإسلام وأن أغلب مناطقه كانت ولا تزال آهلة بالمسلمين وأن الإسلام قد دخلها منذ القرن الهجري الأول .

★ وثالثها : أن كثيراً من أعلام الإسلام ودعاته وعلمائه أخرجتهم تلك البلاد ، وخاصة فيما يعرف بالتركستان ، فكان من حقهم علينا أن نترجم لهم ولو بإيجاز وننوه بفضلهم ولو باقتضاب .

★ ورابعها : أن علماء الإسلام وشيوخ الطرق الصوفية ضربوا أروع المثل في الجهاد والاستشهاد ، ولقد تآمرت أجهزة الإعلام على تصوير علماء الإسلام وشيوخ الطرق بأنهم خاضعون للاستعمار بعيدون عن روح الجهاد فأحببنا أن نزيح عنهم هذا الحيف ونكشف عنهم هذا الظلم . . ونوضح بعض مآثرهم وصفحات من جهادهم الرائع الذي جعله الله سبباً لحفظ الإسلام وانتشاره في تلك الديار رغم ما يواجهه من حرب إبادة وإذابة دامت قرون منذ عهد جنكيز خان وهولاكو واستمرت في عهود القياصرة ثم ازدادت قسوة وشدة في عهد البلاشفة .

★ وخامسها : أن الاستعمار الغربي الأوروبي قد عرفنا عداوته للإسلام والمسلمين واستعباده أرضهم وانتهابه خيراتهم . . ولكن كثيراً منا لا يعلمون شيئاً عن الاستعمار الروسي وما فعله بالمسلمين فأحببت أن لا يقع مزيد من أوطاننا تحت براثن هذا الدب الخبيث[٤] .

محتويات الكتاب

وقد وزع المؤلف كتابه على مقدمة وسبعة وعشرين فصلاً في جزءين .

خصص الجزء الأول :

(القسم الأول) ليكون دراسة عامة عن أوضاع المسلمين في مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي ، وقد ضم الفصول التالية :

الفصل الأول : نظرة عامة على أوضاع المسلمين في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ .

الفصل الثاني : المسلمون في جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية .

الفصل الثالث : سياسة الحكومة السوفيتية إزاء الإسلام .

الفصل الرابع : القوقاس (قفقاسيا) .

الفصل الخامس : أزربيجان .

الفصل السادس : جورجيا (كرجستان) .

الفصل السابع : أرمينية .

الفصل الثامن : التركستان .

الفصل التاسع : تركستان الشرقية .

الفصل العاشر : التركستان عبر التاريخ الإسلامي .

الفصل الحادي عشر : التركستان الغربية في العصور الحديثة .

الفصل الثاني عشر : جمهوريات التركستان الغربية .

الفصل الثالث عشر : دور العلماء في انتشار الإسلام ومواجهة الإلحاد والشيوعية في الاتحاد السوفيتي .

أما الجزء الثاني :

(القسم الثاني) فكان بعنوان مناطق ومدن التركستان التاريخية ومن ظهر بها من العلماء وقد ضم الفصول التالية :

الفصل الرابع عشر : بخارى ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل الخامس عشر : سمرقند ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل السادس عشر : خوارزم ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل السابع عشر : فارب وأسفيجاب ومن ظهر بهما من العلماء .

الفصل الثامن عشر : الشاش (طشقند) وايلاق ومن ظهر بهما من العلماء .

الفصل التاسع عشر : ترمذ ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل العشرون : فرغانة ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل الواحد والعشرون : نسف ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل الثاني والعشرون : تركنستان ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل الثالث والعشرون : نسا ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل الرابع والعشرون : بيهق ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل الخامس والعشرون : سرخس ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل السادس والعشرون : آمل ومن ظهر بها من العلماء .

الفصل السابع والعشرون :

شهرستان ومن ظهر بها من العلماء.

بعد ذلك جاءت قائمة **المراجع**.

ثم اللوحات التي ضمت عشرات الصور النادرة عن أماكن أثرية تظهر عراقة الوجود الإسلامي واستحالة إزالة معالمه.

وأخيراً **الفهارس** التي ضمت فهرس الأعلام وفهرس الأمكنة والمواضع.

وقد قدم الكاتب لكل فصل من فصول كتابه، معلومات غزيرة تاريخية وحديثة عن الموضوعات المدروسة وزود الكتاب بخرائط توضيحية تبين المواقع والأماكن وهي معلومات لا يمكن الوقوف عليها في كتاب سابق بالعربية.

ورغم الجهد الكبير الذي بذله المؤلف البار في وضع مؤلفه القيم هذا، إلا أن هناك جملة من الملاحظات أغلبها ملاحظات شكلية لا تمس من قيمة الكتاب وجهد الكاتب.

○ **أولا ــ التكرار**: كرر الكاتب مجموعة من القضايا، من المستحسن دمجها في موضع واحد، ومن أمثلة ذلك: ص **٢٩١** حتى صفحة **٢٩٢** تحدث عن **الدولة الخوارزمية**، ثم كرر ذلك مع اختلاف بسيط في الصفحات **٤٧٦** حتى **٤٨٢**.

أشار إلى أربع قبائل عربية هاشمية صغيرة هي **عطا، وحجة، والسيد، والشيخ**، وتحدث عن دورها في نشر الإسلام ونشاطها الديني، وذلك في صفحتي **٣٦٧** و**٣٦٨**، ثم كرر ذلك في صفحتي **٣٩٥** و**٣٩٦** مع اختلاف بسيط.

كما تحدث في الصفحات **٣٧٧** إلى **٣٨٠** عن الطرق الصوفية **النقشبندية والقادرية واليسوية والكبروية** وكرر ذلك مرة أخرى في الصفحات **٣٩٣** حتى **٣٩٥** مع شيء من الاختلاف.

○ ثانياً ــ **إغفال المصادر المقتبس منها**: أورد الكاتب نصوصاً مقتبسة وضعها بين علامات تنصيص إلا أنه أغفل تماماً ذكر المصادر التي استقى منها المعلومات، وكان من المفروض الإشارة إلى عناوين الكتب في الهوامش وذكر البيانات البيليوجرافية والصفحات، ومن نماذج هذه الملاحظة ما يلي:

ص **١١٩**: وقد زار الرحالة المشهور **ابن بطوطة** السلطان **محمد أوزبك** وقال عنه: « وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوى. . . ».

ص **٢٣٨**: ويقول **بارتولد**: « ولقد ظلت سمرقند. . . ».

ص **٢٣٩**: ويقول **اليعقوبي**: « إن كش هي أعظم. . . ».

ص **٢٨٧**: ويقول **المستشرق فامبري** في كتابه تاريخ بخارى: « إن عدد المدارس الجامعة ببخارى. . . ».

ص **٣٣٤**: ويصف هذه الثورة كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي بقوله: « إن هذه الحركة هي. . . ».

○ **ثالثاً ــ الإشارة إلى المصادر وإغفال البيانات البيليوجرافية والصفحات، ومن أمثلة ذلك**:



ص **١٢٣**، أشار في الهامش إلى كتاب الكيد الأحمر **لعبد الرحمن الميداني**، والإسلام في وجه الزحف الأحمر **للغزالي** ولم يشر إلى أماكن طبعهما والصفحات التي اقتبس منها.

ص **١٢٥**: (المسلمون تحت السيطرة الشيوعية لمحمود شاكر).

ص **١٣٣**: (الاتحاد السوفيتي والعالم الإسلامي).

ص **١٦١**: (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي).

○ رابعاً ــ **أخطاء طباعية**: ص **٢٤٥**: ورد اسم عاصمة فرغانة هكذا: اخسكيت، ثم ورد في ص **٥٤٠** أخسكيث وجعلت النسبة إليها الاجنسكيثي. ص **٢٩٨**: يورد تعليقاً لبار تولد فنجد علامة التنصيص الأولى ولا نجد نهاية التنصيص لسقوط القوس. ص **٤٥٩**: « ويقول النسفي أن سمرقند » الصواب « ويقول النسفي إن سمرقند. . » « كما كان خلف كل باباً باب آخر. . . » الصواب « خلف كل باب باب آخر ». ص **٧٠٢**: في فهرس الأعلام: أحمد اليسوي **١٦٩** ــ **٢٧٠** ــ **٢٧٨**، وهو خطأ، إذ الصواب **٣٦٩**، **٣٧٠**، **٣٧٨**.

○ **خامساً ــ اضطراب الترتيب في قائمة المراجع**: خلت قائمة المراجع التي ضمت **٤١** كتاباً وسبع دوريات وثلاثة كتب أجنبية من الترتيب المنطقي، فرقم **٣٣ ياسين أحمد إبراهيم** درادكه، و**٣٤** مذكرة **المجلس الإسلامي الأوروبي**، و**٣٥** آثار الإسلام التاريخية، و**٣٦ عادل طه**، و**٣٧ سعد مصلوح**، و**٣٨** مذكرة **مصطفى مؤمن**، و **٣٩ لويس معلوف**،

و ٤٠ تقي الدين الندوي الظاهري، و ٤١ أحمد سعيد سليمان.

○ سادساً ــ حول أصل أحمد اليسوي: عند حديث المؤلف عن أحمد اليسوي ذكر أن هذا المتصوف والداعية الإسلامي الشهير في آسيا الوسطى مغولي الأصل، فقال: «وهو مغولي الأصل وقد أسلم على يديه مئات الآلاف من المغول»[٥]، وكرر ذلك في مكان آخر فقال: «ولقد كان للطريقة الصوفية الياسوية تأثير خاص على هؤلاء المغول، إذ إن مؤسسها الشيخ اليسوي نفسه من هؤلاء المغول...»[٦].

ولا أعرف المصدر الذي اعتمد عليه الدكتور البار في رده أصل اليسوي إلى المغول، إذ المؤكد أن اليسوي عربي من سلالة **محمد بن علي بن أبي طالب الشهير بابن الحنفية**، وقد أشار إلى ذلك **نجم الدين عمر النسفي**، فقال معرّفاً به: «ايشان حضرت خواجه أحمد يسوي ازنبابر إمام محمد حنفي»[٧]، كما نقل كي لسترنج أن علي اليزدي أشار في كتابه ظفر نامه إلى أن الشيخ أحمد اليسوي من أحفاد محمد ابن الحنفية ابن الخليفة علي[٨].

وورد اسم أحمد اليسوي على غلاف ديوان **حكمت** المنسوب إليه أنه **أحمد بن إبراهيم بن محمود بن افتخار** وليس في هذه الأسماء أي اسم مغولي[٩]، أما في قائمة نسبه التي يحتفظ به بعض من ينتسبون إليه فهو «أحمد بن إبراهيم بن الياس بن محمود بن عثمان بن عمر شيخ بن حسين بن حسن شيخ بن إسماعيل بن افتخار بن موسى بن هارون بن إسحاق بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد القادر بن عبد الجبار بن عبد الله بن جعفر بن محمد ابن الحنيفية ابن أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه»[١٠].

وأما المصادر الغربية مثل دائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف البريطانية والصوفية في الإسلام فتشير إلى أنه متصوف تركي.

ولعل ما يوثق نسبته إلى محمد بن علي عدم وضوح مكان مولده، وهذا يدفع بنا إلى التخمين أن والده هاجر من طبرستان حيث لجأ إليها العديد من أحفاد محمد بن علي كما تؤكد كتب الأنساب التي تشير إلى أن أبناء محمد بن علي ينتشرون في العراق وبلاد العجم، ولم يكن لهم وجود في الحجاز خلال القرون الإسلامية الأولى، ويقرب لنا أمر نسبته إلى آل محمد بن علي ما أشار إليه الدكتور البار في ص ٣٦٨ من وجود قبيلة عربية هاشمية تعرف باسم قبيلة الشيخ موطنهم في غرب تركستان، وفي نسب اليسوي ثلاثة حملوا لقب شيخ مضافاً إلى أسمائهم هم عمر شيخ وحسين شيخ وحسن شيخ، ورغم عدم أهمية هذا الموضوع من ناحية إسلامية إذ لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، إلا أنها ملاحظة جاءت نتيجة لاختلاف ما نعرفه حول نسب اليسوي عما ذكره الدكتور البار الذي جعله من المغول.

خاتمة

وبعد، فإن كتاب الدكتور محمد علي البار يعتبر من الأعمال الجديدة التي تقدم للقارئ العربي صورة عن واقع أقوام من المسلمين غلفهم النسيان وأوشك الجهل بهم أن يكون سمة عامة تطبع القارئ في أنحاء العالم الإسلامي قاطبة رغم عراقة تاريخهم الإسلامي ورغم ما قدموه للفكر العربي الإسلامي على مدى تاريخ طويل، ويكفي أن تكون تلك الأقوام أنجبت علماء من مثل **البخاري ومسلم والفارابي وابن سينا والسرخسي والخوارزمي** وغيرهم.

وأخيراً فإن الكتاب رغم الملاحظات التي ذكرت يعتبر أوفى ما كتب بالعربية عن تاريخ وحاضر المناطق الإسلامية الواقعة تحت النفوذ السوفيتي حالياً، وقد وفر مؤلفه للقارئ مادة علمية غزيرة كانت متناثرة في بطون كتب ومؤلفات ومراجع عربية وأجنبية كثيرة قديمة وحديثة، وأضاف إلى ذلك ملاحظات وآراء شخصية على قدر كبير من الموضوعية والمنهجية.

الهوامش

١ ــ انظر مراجعة حسين علي الرفاعي لهذا الكتاب في: مجلة مركز البحوث (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ع٢ (المحرم ١٤٠٤هـ)، ص ص ٣١٥ ــ ٣٣٧.

٢ ــ انظر مراجعة فيكتور الكك لهذا الكتاب في: عالم الكتب مج ٤، ع ١ (رجب ١٤٠٣هـ)، ص ص ١١٢ ــ ١١٣.

٣ ــ المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ. ــ جدة، دار الشروق، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، ص ٢٧.

٤ ــ المرجع السابق، ص ص ٢٨ ــ ٢٩.

٥ ــ المرجع السابق، ص ٣٧٨.

٦ ــ المرجع السابق، ص ٣٩٣.

٧ ــ انظر تاريخ سمرقند نسخة مكتبة عارف حكمت (٥٣٢ تاريخ) ورقة ٥٩.

٨ ــ بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. ــ بغداد: مطبعة الأديب، ١٩٥٤م، ص ٥٢٩.

٩ ــ انظر ديوان حكمت. قازان، ١٩١٢م.

١٠ ــ وثيقة نسب آل محمد ذاكر بن دانيال شيخ الإسلام لدى أحفاده بالمدينة.





● الكتاب: مشاهدات في بلاد العنصريين. رحلة إلى جنوب إفريقيا وحديث في شؤون المسلمين.

● المؤلف: محمد بن ناصر العبودي.

● الناشر: نادي القصيم الأدبي – بريدة، ط ١، تاريخ (؟) (٤٤٨ صفحة).

إن المؤلف محمد بن ناصر العبودي في رحلته هذه، يفرق بين المشاهدات أو المرئيات، وبين الانطباعات أو التصورات، بين العمل الحسي المدرك بالرؤية أو البصر، وبين العمل الوجداني المدرك بالفكر والمشاعر. وهذا ما أوضحه في مطلع رحلته عن الأوروبيين العنصريين الذين يسودون جنوب إفريقيا من خلال إحساسهم بالتفوق الحضاري. لذلك ستكون رحلته تجسيداً لتلك العقدة الأوروبية، عبر مشاهداته، بينما الكلام عن مضمون العنصرية الفكرية والسياسية سوف لا يكون موضع انطباعاته وتصوراته إلا لماماً. «ونظراً إلى أن الحكم على الشيء فرع من تصوره، وإعطاء فكرة عن تصورات هؤلاء الأوروبيين العنصريين يتطلب الاطلاع على ما يجرونه ويعملونه في بلادهم، فإنني سوف أؤجل ذلك إلى ما بعد مشاهداتي في هذه الرحلة» كما يقول المؤلف. ومع كل ذلك فستظل انطباعاته الفكرية مقتصرة على شؤون المسلمين في إفريقيا، وأوضاعهم الدينية والاجتماعية والعلمية. ومن هنا نبّه المؤلف إلى صيغة عنوان كتابه بقوله: «ولذلك نبهت على ذلك في طرة الكتاب فألحقت في عنوانه: [رحلة وحديث في أوضاع المسلمين]». بينما ستكون مواقفه حيال القضايا العنصرية والسيطرة الأوروبية –كما قلنا– عابرة، سنقف عند بعضها في حينه.

وإن هذه الرحلة، تضيف إلى اهتمامات العبودي الرحلية، عبر أماكن المسلمين في العالم، آفاقاً جديدة، ولكنها تكمل إنجازاته في مجال أدب الرحلات، سواء أكانت من منطلق موضع مسؤوليته في (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)، أم من منطلق إشباع هواياته الرحلية في العالم.

على أن معظم دوافعه للرحلات كانت تلبية لدعوات إسلامية من خارج المملكة، مثل هذه الرحلة التي استجاب فيها لدعوة الأمين العام لاتحاد الطلبة المسلمين في جنوب إفريقيا لحضور مؤتمرهم العام، والاجتماع الإسلامي السنوي الذي سيعقد في (جوهانسبرج) ابتداء من ١٥ شعبان ١٤٠٠هـ.

ولذلك فقد استغرقت هذه الرحلة أحد عشر يوماً.

وإن مثل هذه الرحلات الرسمية، يظل أصحابها مقيدين في مشاهداتهم وتحركاتهم، حسب برامج مرسومة لهم.

وإذا تصورنا أن المؤلف قد تابع مجريات أيامه الأحد عشر خلال رحلة استغرقت كتابتها حوالي أربعمائة وخمسين صفحة، ويدون تحليلات أو وقفات فكرية ودينية وسياسية.. عرفنا مدى ما أقحم في الكتاب من أمور ومشاهدات وإضافات هامشية، كان لها ألا تجد مكانها في هذا الوصف الرحلي.

ويبدو أن المؤلف كان يكتب مشاهداته في حينها، مما يجعل تلك الكتابة تنأى عن التألق الفني والأدبي، وتدنو من الأسلوب الصحفي اليومي. وقد أشار إلى تلك الكتابة اليومية الآنية مرتين من كتابه «إن بعض إخواني حضروا إليَّ في الفندق، فلم أسترح ولم أكتب» ص (٥٣)، «وجلست مع الجالسين أكتب في هذه الأوراق، وكان بجانبي اثنان من البيض صديقان كانا يتحدثان معاً طول الرحلة، فقال لي أحدهما يريد بذلك أن يفتح الحديث: إنني أعجب من كثرة ما كتبته» ص (٢٢٩).

على أن مما يكسب هذا الكتاب فائدته وقيمته هو تجنب المؤلف أسلوب الواعظ، كما عودنا في بعض كتب رحلاته الأخرى. إذ كان يتحاشى الدخول لأعماق قارئه عن طريق ذلك الأسلوب الذي يكاد يخلو منه الكتاب إلا نادراً فيما يقتضيه الحوار بينه وبين مضيفيه. فرغم كثرة التفاصيل والزيادات المفرطة التي لا تتفق مع كتابة أدب الرحلات، إلا أن روح المؤلف العفوية والصدق، وتعبيره عن نفسه ورغباته




★ محمد بن ناصر العبودي ★

وطبيعته، وما يحب وما يكره، وعن انطباعاته لمرئياته.. كل ذلك أضفى على الكتاب جواً شيقاً.

لقد استطاع المؤلف أن يعبِّر عن محوري كتابه ـ العنصرية الأوروبية، وأوضاع المسلمين في جنوب إفريقيا ـ بأسلوب التلميح، والإشارة الخاطفة، والمشاهدة المدعمة بأقوال الآخرين في حواره معهم. بينما كانت إضافاته، وزياداته وحشوه.. متأتية عن التكرار والنقل السريع غير المصفى لكل شيء. فلو تأنى واختار الأفضل، واعتنى بأسلوبه وتعبيره لجاءت رحلته بشكل أجود وأحسن.

ولكنه برع في إعطاء صورة كاملة للطلبة المسلمين وأحوالهم الاجتماعية والدينية والعلمية والصحية والمادية من خلال الوقوف عند مساجدهم، وصلاتهم، وتلاواتهم، ومآكلهم، وملبسهم، ومدى تفقههم في الدين. كما أنه أجاد في نقل صورة التمييز العنصري السائد في تلك البلاد، ويمارسه الأوروبيون البيض بشكل علني.. إذ نقل لنا لوحات عديدة منه في السكن، والمطاعم، والمستشفيات، والجامعات، والمقابر، والمسابح، ووسائط النقل، ومعابد النصارى، والعلاقات العاطفية، وأخبار القتل والجرائم في الصحف وغيرها. كما وفق في دعابته أحياناً حين يقف عند بعض المفارقات معلقاً في الحوار بينه وبين إخوانه المضيفين حول العنصرية والملونين كقوله مثلاً: «يمكنكم أن تصبغوا البناء باللون الذي تريده الحكومة» ص (٥٢). أو قوله مداعباً إخوته المرافقين: «هل للأعشاب ألوان أيضاً؟، أجابوا ضاحكين: نعم. لأنهم يزرعون في مناطق البيض أعشاباً خاصة تصبر على البرد والجفاف، بخلاف الموجودة في مناطق غير البيض، فهي أعشاب طبيعية غير مزروعة، تزدهر في فصل الأمطار، وتجف وتيبس في هذا الفصل» ص (٩٩).

وقد يتألق أحياناً حين يوظف المشهد المرئي في صورة إنسانية موفقة تدين العنصريين. كأن يقول في وصف رأس الرجاء الصالح: «أما هيئة هذا الرأس، فإنها رأس حجري داخل في مياه البحر، له أنف أفطس قصير كأنوف الإفريقيين، ولماذا لا يكون الأمر كذلك وهو إفريقي أصلاً وفرعاً، رغم أنوف البيض المتعصبين الذين يزهون على الإفريقيين بطول أنوفهم» ص (٣٠٠). أو يقول معلقاً على ملتقى المحيطين: «ولكن في هذه البلاد بالذات التي يتعانق فيها المحيطان، لا يتعانق بنو الإنسان، ولا يمتزج فيها الألوان، فلكل لون من ألوان بني الإنسان مرتبة عندهم وشأن تميزه عن بقية الألوان. ألا ما أكثر طغيانك أيها الإنسان، وبخاصة إذا استغنيت فاستكبرت: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾ (سورة العلق، الآيتان ٦ ـ ٧) ص (٢٩٩).

وقد يستغل حواره مع جيرانه في الرحلة، فيستدرجهم في شؤون سياسية تجسد قضية المستقبل السياسي لتلك البلاد. ولا يغفل دور دعاة النصرانية، واستغلالهم الدين في غزوهم الاقتصادي والسياسي. وكان أحياناً يعطي رأيه الديني أو نصائحه، وقد يأخذ بها إخوانه المسلمون، أو يؤيدونه فيها.

كما كان يعير أهمية للمشاهد الغريبة المثيرة، مثل: (حديقة الحيات)، و(الفتاة التي تعيش مع الحيات)، أو مشهد طيران الرجال بالأجنحة، أو متحف جنوب إفريقيا، ورجال (البوشمن)، أو وصف الملونين وبخاصة النساء، ويقارن بينهن في المظهر والجمال، أو الوقوف عند قبائل (الزولو)، أو يجري مقارنات لغوية عن بعض الألفاظ تقتضيها المناسبة، أو قد تجره المقارنة إلى نساء بلاده كقوله: «ومن أهم ما لفت نظري منظر كان يوجد في بلادنا وافتقدناه الآن، وهو منظر النساء اللاتي يحملن حزم الحطب على رؤوسهن وهن يسرعن به إلى بيوتهن» ص (١١٦).

كما كان لا يخفي إعجابه أو تذمره من شركات الطيران في معاملتها وخدمتها لركابها، أو إظهار اهتمام الآخرين به؛ باعتباره ـ فيما يبدو لهم ـ ليس من الملونين؛ وإنما من البيض: في المطاعم والفنادق والأسواق.

وكان ضيق الوقت، وخطط رحلته، وكثرة مشاغله.. تنعكس أحياناً على جو رحلته وحريته وانطلاقه وسلوكه؛ كأن يقول عن (غلام حسين





★ أحمد محمد طاشكندي ★

إبراهيم) الأمين العام للاتحاد: «ثم أرانا بيانات أيضاً عن الشيوعية التي هي العدو الأول للإسلام كما يراها. وقد كان يتكلم كلاماً مفيداً بشكل حماسي متواصل، إلا أن ضيق الوقت منعني من الإنصات إلى كل ما يقوله، مع أن كلامه مقيد وفي محله. ولذلك أسرعت مع عدد من الإخوان المرافقين للفندق لننقده بقية الحساب، حتى لا يحتسب عليَّ هذه الليلة التي سأغادر الفندق فيها» ص (٢٠٧).

ولقد كان الرحالة محمد ناصر العبودي خفيف الظل في هذه الرحلة، غيوراً على إسلامه من غير ادعاء أو افتعال، إنساناً طبيعياً، متمرساً على كل مجريات السفر والرحيل، عارفاً أهدافه من تلك الرحلات.

☆ ☆

- الكتاب: الاستراتيجية النفطية السعودية ومنظمة الأوبك.
- المؤلف: أحمد محمد طاشكندي.
- الناشر: تهامة - جدة. ط (١) ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

يعتبر الاقتصاد السياسي اليوم من الثقافة المعاصرة، التي تهم الناس جميعاً، وبمختلف طبقاتهم وشؤونهم. ويتصدر تلك الثقافة: ثقافة النفط، لما للنفط من استراتيجية عالمية، وهامة في حياة الدول والشعوب السياسية والاقتصادية.

من هنا فإن منظمة الأوبك - منظمة الدول الثلاث عشرة المصدرة للنفط - هي محور هذه الثقافة. فلا تزال وستظل - بحق - موضع جدل عالمي، على جميع المستويات الشعبية والرسمية.. عند رجل الشارع، الذي يسعى وراء لقمة العيش، ولدى الشخص المسؤول في أية دولة من الدول.

وإن النفط الخام، كأغلى سلعة اقتصادية، هو الذي جعل لمنظمة الأوبك تلك الأهمية الكبرى.. كما جعل الكثير من دول العالم تسعى إلى استرضائها حيناً أو تهديدها حيناً آخر.

ولذلك فقد جاء كتاب المؤلف (الطاشكندي) عن [الاستراتيجية النفطية السعودية ومنظمة الأوبك] ترجمة كاملة لكل ما يدور حول تلك الاستراتيجية النفطية، لا سيما وأنه يتحدث من موقع الاختصاص، إذ كان مديراً لمكتب السكرتير العام لمنظمة الأوبك في فيينا في الفترة من نوفبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٩م، إلى أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٣م.. بالإضافة إلى ثقافته الخاصة، ومطالعاته الجادة الدائمة لموضوع سياسة النفط ومنظمته، التي تتصدر المملكة العربية السعودية قيادتها واستراتيجيتها.

وقد زخر كتاب [الطاشكندي] بالعديد من الموضوعات النفطية العامة والجزئية.. الرئيسية والفرعية. وذلك عبر أبوابه الثلاثة، وفصوله الاثني عشر.. التي تشكل ثقافة هذا الكتاب.

ففي الباب الأول [الاستراتيجية النفطية الدولية] نقرأ الموضوعات الفرعية من خلال فصول ستة، هي: تعريف الاستراتيجية النفطية، وسياسات الشركات الكبرى العالمية، ودور الدول المنتجة والمصدرة للنفط، والمفاوضات والتشريعات النفطية، والاستثمارات المالية في أسواق النفط العالمية، وأخيراً النفط أغلى سلعة اليوم.

وفي الباب الثاني [منظمة الأوبك] تتوزع الأجزاء التالية في فصول ثلاثة، هي: دستور وعضوية وأهداف الأوبك، وجهاز منظمة الأوبك، وإنجازات حققتها منظمة الأوبك.

بينما اشتمل الباب الثالث على ثلاثة فصول أيضاً هي: الاتفاقيات النفطية وملاحقها، وتعريفات نفطية، وجداول إحصائية.

ولقد حرص المؤلف على إبراز دور المملكة العربية السعودية في منظمة الأوبك، منذ إنشائها عام ١٩٦٠م، إلى اليوم.. بأنها دائماً تسعى - بكل إمكاناتها وطاقاتها وجهود رجالها المسؤولين - من أجل تحقيق مزيد من





★ د. محمود حسن زيني ★

الرخاء والاستقرار في صناعة النفط الخام ومشتقاته من منتجات النفط الأخرى، في جميع أرجاء المعمورة، وحققت مبدأ المشاركة كمبدأ بديل عن التأميم.

كما أعار المؤلف أهميته للتطور التاريخي الذي رافق المنظمة منذ تأسيسها، ودورها وصمودها حيال الأحداث العالمية الكبرى، ومواقفها من الشركات النفطية العالمية الأخرى التي كانت تمارسها ضد الأوبك، وقد نجحت إلى حد كبير وبشكل مرض لجميع الأطراف. ونفت عن الأذهان الأفكار التي راجت من أن منظمة الأوبك تسعى لخراب ودمار العالم الغربي.. وربما أكدت أن العكس هو الصحيح. وقد دعم المؤلف آراءه بنصوص لقادة غربيين في السياسة والفكر، أمثال الخبيرين الأمريكيين في الشؤون الاقتصادية والعلاقات الخارجية: (روبرت شيريل، وتشارلز بيرسي).

☆ ☆

● الكتاب: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية.

● المؤلف: الدكتور محمود حسن زيني.

● الناشر: نادي مكة الثقافي ـ سنة ١٤٠٢هـ.

هذا كتاب يبدو من فهرسه متكاملاً وليس دراسات، طالما كانت هذه فصولا متفرقة فيما جرى عليه التقليد. وحتى إذا كان استهلاله «مقاييس دراسة الأدب»، مما يدخل في نظرية الأدب أو الموضوع العام للأدب، فإنه يمكن اتخاذه مدخلاً للكتاب وبخاصة إذا كان جانباً منه «العناية بالأدب الإسلامي» (ص٢٧ ـ ٤٦) هو في صلب الموضوع المطروح.

ولكن لنا نظراً ـ بعد هذا ـ به نؤاخذ المؤلف أو نعتب عليه، لأن المتن نفسه أو مادة الكتاب هيكل لا علامة فصل أو باب على أي جزء فيه، مع أننا نرى في الفهرس ما يَبْدهنا بمنهج قسم بعناية.

فثمة ثلاثة أبواب هي على التوالي: «أدب الدعوة الإسلامية» و«تأثير الإسلام في الشعر» و«تأثير الإسلام في النثر في عصر صدر الإسلام»، وكل باب من هذه مقسم إلى فصول لها عناوين أخرى فرعية، وبعض هذه يتفرع عليها عنوانات جانبية.

أي أن المؤلف ـ وهو جامعي مسلح بأسباب العلم قديمه وحديثه ـ يوهمنا عن طريق فهرس الكتاب بكتاب تقليدي متماسك موضوعياً، ويجعلنا نتصور بعنوانه «دراسات في أدب الدعوة الإسلامية» أن ثمة تواضعاً من عالم يريد أن يقلل من جهده.

على أننا لو تأملنا تلك الموضوعات التي نثرت بين دفتي الكتاب ونظمها الفهرس أبدع نظم، لعرفنا أن المؤلف محق في إيثار «دراسات» لأنها في حقيقتها ـ على رغم نوعيتها الواحدة ـ ذات أشكال وأشكال، وغير متكافئة بحيث يتوازن بعضها مع بعض، ومن هنا بدا «تأثير الإسلام في النثر في عصر صدر الإسلام» ـ وهو الباب الثالث ـ كما لو كان إضافة أضيفت بلا عناية أو مشروعاً لكتابة مستفيضة عن الخطابة والكتابة، فهو ثمان وعشرون صفحة فقط!

نعني أنه ـ أي الدكتور محمود حسن زيني ـ لم يشأ أن يحمل نفسه مسؤولية وضع كتاب متناسق عضوياً. أو كأنه أراد أن يقدم لنا خبرته العلمية في صور متلاحقة عن موضوع مستهلك قيلت فيه أطيب الكلمات ـ وكتاب محمد قطب «منهج الفن الإسلامي» ماثل أمامنا ـ ولم يعد أحد يختلف في أن هذا الفن أو هذا الأدب إنما نزوع تلقائي نحو الأفضل.

هو مندوب لهذا العمل على أي حال، ومهما يكن المنهج الذي صدر عنه، والنتائج التي توصل إليها. غير أن التمهيد الذي بدأ به ـ بغير طائل ـ يمكن الاستعاضة عنه بفكرة الدعوة وأبعادها، مع تأكيد مبدأ ارتباط العقيدة بالفن عامة والشعر خاصة منذ بداية الوعي الإنساني. وإن آراء زكي المحاسني ـ في جملتها ـ وراءها دراسات أنثروبولوجية أكثر إثراء للفكرة وأعظم دلالة، مع تقديرنا الكامل لتلك الآراء!

وأما ما وضع تحت عنوان «أدب الدعوة الإسلامية» ـ وهو الباب الأول في

الفهرس ــ (ص ٤٦ ــ ١٢٧) فضيّع بين محاولات تعريف أدب الدعوة وبدايته وبيان بعض خصائصه في خمسة عصور، أولها عصر النبوة وآخرها عصرنا الحديث.

وقد عناه العصر الأول، وحصر خصائصه في ثلاث: الشمولية، القوة، الغزارة أو الكثرة.

ولكن كان للشعر خطورته ودوره في معركة الإسلام، ومن ثم دفع الباحث إلى مناقشة قضية طالما نوقشت وانتهت بنتائج لم تتغير قط.. فكتاب الله لم يذمّ الشعر كله، والأمثلة في السُنّة توضح أن موقف الرسول، صلى الله عليه وسلم، من الشعر كان طيّباً ــ ألم يشجع عليه السلام حسان بن ثابت وألم يثن على لبيد العامري مثلاً؟ ــ ودأب على توجيه إنشائه بما يتفق وروح الإسلام.

وأما ما جاء بعنوان «تأثير الإسلام في الشعر» وهو الباب الثاني في الفهرس (١٢٨ ــ ١٧٠) فإضافة في لا محل.. لأن التصوّر العام للموضوع كان قد اتضح فيما قدّمه المؤلف وقدمه غيره ــ وهم كُثُر ــ ولكن الإعادة إفادة والاستطراد قد يكون نوعاً من التوضيح، ولا سيما إذا زيد شيئاً في باب المناقشات التي توشك أن تكون بيزنطية، طالما اعترف باديء ذي بدء بأن «الإسلام وقف من الشعر والشعراء مواقف إيجابية حازمة ثابتة، فقد رفض لوناً معيناً من الشعر غير الملتزم الهادف إلى تقويض المجتمع البشري... ووقف الإسلام في الوقت ذاته موقفاً إيجابياً كريماً فشجّع الشعر الحسن الملتزم الهادف إلى بناء مجتمع إسلامي يسوده الإخاء والوئام» (ص ١٣٢).

مع تحفظنا البالغ الشدة على استخدامه «مصطلح الالتزام» فيما لم يقصد إليه ملتزمو العصر من الوجوديين والماديين الجدليين!

وتعد قضية الشك في الشعر بعد ذلك ــ وبخاصة بعد الذي قدره ناصر الدين الأسد ــ مقحمة تماماً هنا لعموميتها، ولأنها ليست بالخطورة التي يتصوّرها أو يتصوّرها غيره.. وحتى لو فقدنا بعض هذا الشعر في المجالات الرسمية، فإننا لا نفقده، ولا نستطيع أن نفقده، في الدراسات الفولكلورية!

على أنه يبدو أن رَصْد التأثيرات في الشعر في عصر صدر الإسلام فمقبول، وذلك على أساس أنه تذكرة لما ردّده كل المعنيين بهذا النوع من الدراسة.. فلا جديد إطلاقاً، ولا إضافة علمية يمكن أن تحسب للمؤلف!

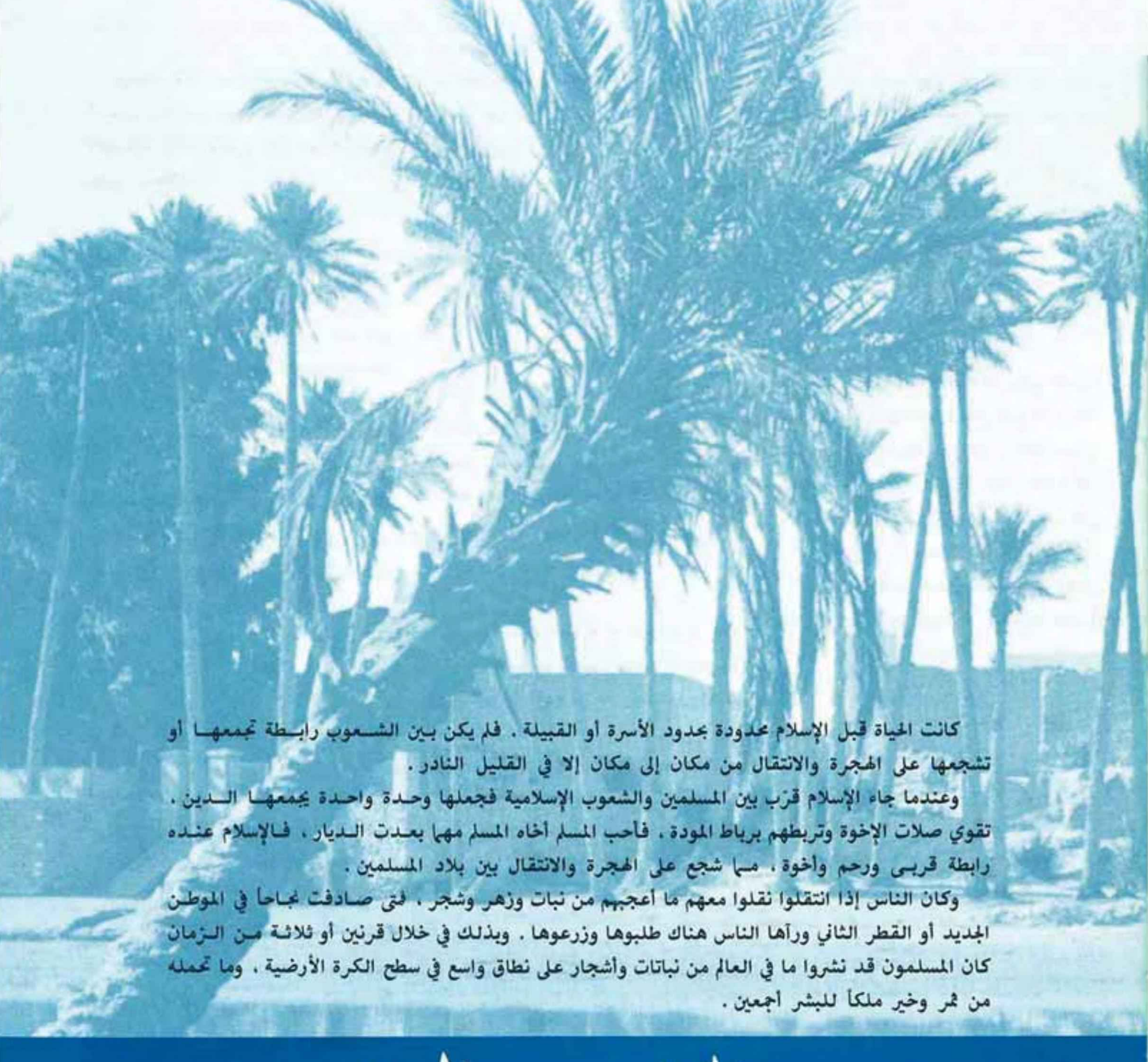
فإذا تركناه إلى آخر جزء في الكتاب ــ وهو عن النثر ــ وفي الفهرس أنه الباب الثالث (ص ٢٨٣ ــ ٣١١) نواجه بما سميناه مشروع كتابة عن الخطابة والكتابة.. وهو لا يعد بالكثير لأن مادة الباب محدودة في جهد المؤلف، ولأنه هو نفسه لا ينظر إلا بقصور إلى ما تجمعه يداه من نصوص وتعليقات.

والنتيجة لجهد المقل قلّة، حتى لو ناطح كلا من شوقي ضيف وحسين نصار، وهما على أي حال يوضعان في مقام الريادة ولهما دائماً فضل السبق في «النثر العربي القديم».

والنتيجة مرة أخرى هذه الدراسات التي لا يمكن أن تشكل كتاباً قائماً على فلسفة أو مستقلاً بوجهة نظر يختلف بها عما رآه زكي المحاسني، وعبد الرحمن رأفت باشا، وموسى ربحان، وعبد الله حامد الحامد.

☆ ☆





كانت الحياة قبل الإسلام محدودة بحدود الأسرة أو القبيلة . فلم يكن بين الشعوب رابطة تجمعها أو تشجعها على الهجرة والانتقال من مكان إلى مكان إلا في القليل النادر .

وعندما جاء الإسلام قرّب بين المسلمين والشعوب الإسلامية فجعلها وحدة واحدة يجمعها الدين ، تقوي صلات الإخوة وتربطهم برباط المودة ، فأحب المسلم أخاه المسلم مهما بعدت الديار ، فالإسلام عنده رابطة قربى ورحم وأخوة ، مما شجع على الهجرة والانتقال بين بلاد المسلمين .

وكان الناس إذا انتقلوا نقلوا معهم ما أعجبهم من نبات وزهر وشجر ، فمتى صادفت نجاحاً في الموطن الجديد أو القطر الثاني ورآها الناس هناك طلبوها وزرعوها . وبذلك في خلال قرنين أو ثلاثة من الزمان كان المسلمون قد نشروا ما في العالم من نباتات وأشجار على نطاق واسع في سطح الكرة الأرضية ، وما تحمله من ثمر وخير ملكاً للبشر أجمعين .

دور المسلمين والعرب في تقدم الزراعة والصناعات وانتشارها في العالم

بقلم : د . عز الدين فراج

لم يقف الأمر عند ذلك ، بل راح علماء المسلمين يدرسون هذه النباتات وأهميتها الاقتصادية والطبية للناس ، فزاد خيرها ونفعها وحسن استغلالها .

فضل المسلمين على البساتين

جاء الدين الإسلامي ديناً ودنيا ، وإيماناً وحكمة ، يدعو إلى ما فيه خير الإنسان والبشر أجمعين . لم يقم هذا الدين بمحو التقاليد السليمة أو بمنع العادات الحسنة ، بل جاء ليهذب ويقوم ما أعوج منها . ولهذا لم يعترض الإسلام لاستمتاع الناس بالحدائق . خصوصاً وقد جاء في آياته الكريمة ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ (سورة القصص ، الآية ٧٧) ، خصوصاً وأن الحدائق متعة لمن قضى وقته في جهد وتعب وكفاح وعمل دائم ، أوصى به الدين الإسلامي لإصلاح المجتمعات على اختلاف ألوانها .

وحينما امتد ظل الدين الإسلامي إلى بعض البقاع التي تغذيها الأنهار مثل دجلة والفرات والنيل وبردى وترويها الينابيع القريبة والبعيدة ، رأى المسلمون ألوان شتى من الحدائق وما فيها من متعة وجمال ، فنقلوا رسومها من مكان إلى مكان ، بعد أن سوى الإسلام بين المسلمين في الفكر والعقل والمزاج والعاطفة ، أو قارب بينها .

وتميزت حدائق المسلمين بأربعة أمور فرضتها التعاليم والتقاليد الإسلامية :

(أولا) اختفت التماثيل من الحدائق الإسلامية بعد أن كانت مظهراً من مظاهر الحدائق الفرعونية والرومانية ، العامة والخاصة .

(ثانياً) كان لكل قصر حديقة خلفية ــ خلف القصر ــ الحريم وربات البيوت ، حتى تصان حرماتهم .

(ثالثاً) للاستمتاع بأية رقعة أرض صغيرة ، برزت في الدول الإسلامية فكرة وجود المدرجات في الحدائق ، للتوسع في مساحة الحديقة من جهة ، ولمشاهدة أكبر مساحة من محتوياتها في دفعة واحدة . ومن حدائق المسلمين انتقلت حدائق المدرجات إلى الحدائق الأوروبية .

(رابعاً) كانت الظروف المناخية في بعض الأقطار التي دخلت الإسلام صعبة وقاسية ، لوجود شتاء قارس البرد أو لطول موسم الأمطار ، فادخل أهل هذه الأقطار رسومات الربيع والنباتات ، ومناظر الربيع ، في صناعة السجاد المنتشرة عندهم تعبيراً عن حبهم للربيع ونباتاته ومظاهره .

ومما ساعد على تقدم الحدائق في بعض العصور الإسلامية مستوى الرفاهية الذي وصل إليه المسلمون لتقدم الزراعة والصناعة والفنون عندهم ، ذلك لأن ارتفاع مستوى المعيشة والرفاهية شيء مرتبط بالمستوى الاقتصادي الذي وصل إليه عصر من العصور ، كما حدث في **بلاد الأندلس** .

الطراز الأندلسي

وتمتاز هذه الحدائق بالجدران العالية التي تشبه الحصون ، ومن أهم وجوهها الذي ينساب في جوانبها ، مع خلوها من التماثيل الآدمية .

وتقسم الحديقة عادة إلى قسمين ، قسم خارجي وآخر داخلي ، **وتوجد بالقاهرة حديقة الأندلس التي تمثل هذا الطراز** . في هذه الحديقة يعتبر الجزء الخارجي بمثابة تحضير للوصول إلى القصر الذي أعد الملك وأسرته بعيداً عن أعين الناس ويمثل القصر **بأشجار الفيكس نتيدا** المتداخلة لتعطي شكل عقود متتابعة على الجانبين ، مكونة دهليزين يؤديان إلى صدر المكان الرئيسي الذي ينساب من أمامه الماء في شكل شلالات وهدارات متتابعة ، على شكل سباع متوثبة تغذي بركة من الفيشاني ، وقد سخر الماء حول البركة ليعطي أثناء انبثاقه شكل أقواس لا تصيب من يمر تحتها بالبلل .

أما **الحديقة الخارجية** فتتوسطها فسقية من الرخام يحيطها ثمانية ضفادع يخرج الماء منبثقاً من أفواهها كما ينبثق من أفواه ثمانية سباع متحفزة داخل الفسقية حول أربعة أعمدة محلاة بتيجان مذهبة كتب عليها (**بسم الله الرحمن الرحيم**) ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . خالدين فيها لا يبغون عنها حولا** ﴾ [سورة الكهف ، الآيتان ١٠٧ ــ ١٠٨] .

كما نسق على جانبي الحديقة الخارجية « كشكين » لكل منهما قبة شكلت من الياسمين الزفر وبجوارها أشجار السرو الممشوقة ، تمثيلاً لمسجد ومأذنة في غرناطة ، وفوق السور الذي كسته فروع الياسمين الزفر وضعت أحواض فخارية كبيرة على مسافات متساوية كتب عليها شعار الأندلس « ولا غالب إلا الله » .

وعندما بدأت **أوروبا في القرون الوسطى** تصحو من غفلتها وغفوتها ، لم تجد أمامها شعوباً جديرة بمحاكاتها والتشبه بها غير الشعوب الإسلامية خصوصاً في الأندلس .

ورأى المسلم في بيئته العربية القديمة حيث الجاه والمال والسلطان أن يستمتع بما حرمته منه هذه البيئة ، صناعياً بما تصبو إليه نفسه من رؤية المطر ، فوفر لنفسه سقوط هذا الرذاذ في الطريق الرئيسي إلى مسكنه ، على جانبي

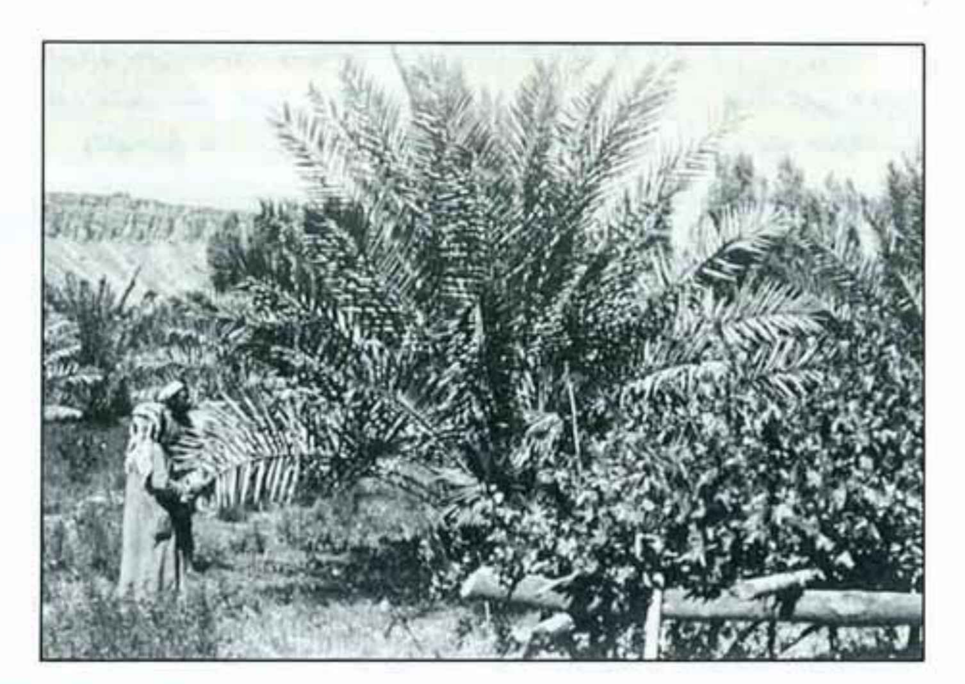
دور المسلمين والعرب في تقدم الزراعة والصناعات وانتشارها في العالم

المدخل ، كما أقام على جانبي هذا المدخل صفين من الأشجار الباسقة توحي بالجلال والعظمة .

فلاحة الأرض وتربية الماشية

أجل ، كان أهل الأندلس من أنبغ الشعوب في فلاحة الأرض وتربية الماشية وغرس الحدائق وتنظيم طرق الري والصرف ومعرفة أحوال الجو ، وكل ما يتعلق بفنون الزراعة وخواص النبات ، وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الأمثال في الجودة والنماء ، وقد نقل العرب من المشرق وشمال إفريقيا إلى إسبانيا كثيراً من المحاصيل والأشجار **كالقطن والأرز وقصب السكر والزعفران والنخيل** الذي ما زالت تزدان به الحدائق والمدن الإسبانية الجنوبية ، **والزيتون والزغدا** فيا بعد ـ حتى اليوم ـ أعظم محاصيل إسبانيا ، وكانت شبه الجزيرة الإسبانية في أيامهم رياضاً نضرة ، وكانت حقول القمح وغابات الزيتون وحدائق **البرتقال والرمان والكروم** ، من أبدع ما ترى العين في وديان الأندلس ومروجها ، **أما نبوغ مسلمي الأندلس في تنظيم وسائل الري والصرف واستجلاب المياه وتوزيعها بالطرق الفنية ، فما زالت تشهد به آثارهم الباقية إلى الآن في وديان الأندلس من القناطر والجداول الدارسة** ، وما زالت ثمة مناطق كثيرة ـ ولا سيما في أحواز **بلنسيه ومرسيه** ـ تقوم في زراعاتها على مشاريع الري الأندلسية القديمة ، **وكان لأهل الأندلس شهرة خاصة في غرس الحدائق وتنظيمها** ، وقد كانت **حدائق الرصافة والزهراء والزاهرة وطليطلة وإشبيلية** تشهد لهم بوفرة البراعة وحسن الذوق ، وكانت روعتها تذكي خيال الشعراء والكتّاب ، وما زالت علامات هذه البراعة حتى اليوم بارزة على جمال الحدائق الأندلسية .

ويجب ألا ننسى أن الفنون الزراعية ، انتقلت على يد الروّاد المسلمين الذين نقلوا بذور القمح إلى فرنسا ، وهم أيضاً الذين نقلوا فسائل النخيل الذي ما زالت تزدان به شواطئ الريفيرا .



وكان علماء النبات الأندلسيين أعظم من نبغ في هذا الميدان ، في العالم الإسلامي ، ويكفي أن نذكر في ذلك **أبا العباس بن الرومية الإشبيلي** المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، (١٢٣٩ م) ، وتلميذه **ابن البيطار** المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ، (١٢٤٨ م) ، وهما يعتبران أعظم علماء النبات والعشابين في العصور الوسطى .

ولدينا من هؤلاء الروّاد عدد من العلماء الأندلسيين ، الذين انتهت إلينا مؤلفاتهم في هذا الميدان ، نذكر منهم **ابن العوام** وهو أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي ، ولكنا لا نعرف كذلك سوى القليل عن حياته ونشأته ، بل لا نعرف متى عاش بالضبط ، وكل ما نعرفه أنه عاش في إشبيلية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، في ذلك العصر الذي مالت فيه شمس الأندلس إلى الغروب ، بعد أن بلغت ذروة التقدم الفكري والحضاري ، وكانت الفنون الزراعية تزدهر بنوع خاص في هذه المنطقة ، منطقة **الوادي الكبير** ، وهي ما زالت حتى اليوم تمتاز بوفرة خصبها ونضرتها ، وقد درس ابن العوام الفنون الزراعية ووضع كتابه (**الفلاحة**) .

وابن العوام يقدم إلينا في مؤلفه « كتاب الفلاحة » عرضاً مستفيضاً للفنون الزراعية مشتقاً من عيون الكتب المتقدمة . وهو يعد الزراعة فناً ، ويقول لنا إن من يريد أن يتخذ هذا الفن صنعة يصل بها إلى معاشه ، ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأهله ، فإنه يجد في كتابه حاجته .

دراسة خواص الأشجار

اهتم علماء النبات المسلمون بالأشجار ذات

القيمة الطبية ، فكانت بجانب الحشائش الطبية في خدمة الطب القديم والطب الإسلامي ، وذخرت بها تذكرة العالم الشيخ **داود الأنطاكي** وعلماء المسلمين ، والآن تستعملها أشهر المعامل العالمية للأدوية الحديثة ، فنذكر على سبيل المثال **مادة « الخلينين »** المستخدمة في علاج ضيق الشرايين والذبحة الصدرية ، والمستخرجة من نبات الخلة ، وهذه المادة وهذا النبات أول من كشفها علماء مصر في القرن العشرين ، وما زالت تصدر نباتات الخلة وبذورها إلى معامل أوروبا من مصر .

وكذلك شجرة الصفصاف ومنها استخرجت المعامل الحديثة مادة الساليسلات التي هي أصل الأسبرين ..

وتحتوي أوراق صفصاف أم الشعور وقلفها على مادة الصفصاف وعلى حامض التانين ، والقلف مر قابض يستعمل طارداً للحمى ، وفي دبغ الجلود . أما **شجر الكافور** ففائدته لا تخفى على أحد ، خاصة أن رائحته تطرد حشرات البعوض الناقلة للملاريا والحمى ، والحمى الصفراء من منطقة شاسعة .. ولصمغ شجر الكافور خاصية قابضة ، ويستعمل من الظاهر والباطن في علاج قروح الأمراض الصدرية ، كما أنه سريع الأثر في شفاء عدوى القراع الإنجليزي . ويستعمل القلف الداخلي لبعض أنواع أخرى من الكافور كضمادة لشفاء لدغ الحية والآلام الروماتزمية . كما يستعمل صمغها في **علاج الإسهال والدوسنتاريا** . ويحتوي **زيت الكافور** على عنصر أساسي يعرف باليكاليبتوس ، ويستعمل كمنبه موضعي ومطهر وطارد للبلغم وضد الانقباضات .

واستعمال العرب لبذور وأوراق مثل هذه النباتات في علاج بعض الأمراض هو الذي دفع معامل الكيمياء والأدوية في البلاد العربية والأوروبية في استخلاص المواد الفعالة وجعلها حبوباً أو شراباً بأسماء تجارية .. وكل ما فعلته أوروبا وأمريكا أنهما انتفعا بتجارب العرب في استخدام النباتات والأعشاب في علاج الأوجاع وبعض الأمراض .

ولشجرة الخيار شمبر خاصية مسهلة ، وكانت تعتبر دواء ناجعاً في أمراض الحمرة والكلى ، ويستخدم قلفها في الدباغة ، ولب أشجارها وقشورها في الطب ، وأزهارها لتعطي الدخان المحلى نكهة خاصة ، وتباع ثماره لدى العطارين لاستعماله كمسهل ، وللب الثمار قيمة كبيرة في بعض البلدان ، ويستعمل لتحضير الملين المشهور باسم **(مربى السنامكي)** .

وللهجليج حالياً أهمية عظيمة إذ تعمل تجارب عليه للاستفادة منه في علاج **البلهارسيا** . وقد نشر في مجلة الطب الاستوائي وجود طريقة عملية مهمة يعتقد أنها ستأتي بنتائج عظيمة لاستعمال ثمرة الهجليج ولحائها وبقية أجزائها في إبادة قواقع البلهارسيا ، وزراعة هذه الأشجار على جوانب الترع وعند أطرافها المقفلة ينتج في هذه الجهات مقادير لا حد لها من الثمار ، يتخذ بديلاً رخيص الثمن وفعالا عن المواد الكيماوية الغالية الثمن التي لا تزال تستخدم حتى الآن . وقد اهتم علماء مصر في الإكثار من هذه الشجرة التي تنمو طبيعياً في أرض مصر ، وبهذا تقدم أكبر خدمة للفلاح المصري لإبادة قواقع البلهارسيا .

ازرع .. ولا تقطع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا قامت الساعة وكان في يدك نواة أو نبتة فلتزرعها » .. إذا كان هذا هو رأي نبينا الكريم في الزراعة حتى آخر دقيقة في الحياة .. فما بالنا لو كان عندنا بقية من عُمر ؟ .. وما بالنا إذا كنا نقطع ولا نزرع ؟ .

ازرع ولا تقطع .. هذا ما أوصى به رسولنا الكريم ، حينما عرض عليه **بنو حارثة** من



دور المسلمين والعرب
في تقدم الزراعة والصناعات
وانتشارها في العالم

الأنصار حاجتهم إلى غابتهم ، إذ قالوا إنها مسرح إبلهم ومرعى غنمهم . فرد الرسول عليه الصلاة والسلام قائلاً : «**من قطع شجرة فليغرس مكانها**» . . فغرست الأشجار التي قطعت من هذه الغابة .

وعن **عبد الله بن حبشي** : قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم** : «من قطع شجرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل عبثاً أو ظلماً من غير حق يكون له فيها ، صوّب الله رأسه إلى النار» .

فضل العرب

كانت إسبانيا قبل العرب على قدر قليل من الرخاء والثقافة في زمن **ملوك القوط** ، ولم يكد العرب يتمون فتح إسبانيا حتى بدأوا في إرساء قواعد الحضارة فيها ، فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيوا الزراعة والأرض الميتة ، ويعمروا القرى والمدن ، ويقيموا أفخم المباني ، ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى ، وكانت الصناعات الإسلامية قد بلغت في إسبانيا أوج عظمتها ، فقدم الأوروبيون من كل مكان إليها لقربها ، للحصول على ما أنتجته اليد العربية الإسلامية ، **وقدم بعض العمال الأوروبيون ليتعلموا على يد الصناع المسلمين المهرة كل ألوان الصناعة العربية والفنون الإسلامية** ، وبذلك انتقلت الصناعة الإسلامية إلى أرجاء أوروبا ، **ويكفي للحضارة الإسلامية فضلاً أنها أدخلت في إسبانيا نبات قصب السكر فقامت صناعة السكر ، وأدخلت أشجار التوت فقامت صناعة الحرير والقطن ، ثم قامت صناعة المنسوجات** .

وبرع العرب في الزراعة براعتهم في العلوم والصناعات ، ولا يوجد في إسبانيا الحاضرة من أعمال الري خلاف ما أتمه العرب . وأدخل





العرب إلى حقول الأندلس الخصبة زراعة قصب السكر والتوت والأرز والقطن والموز . . . إلخ ، وأصبحت إسبانيا التي هي صحراء حقيقية في الوقت الحاضر ، عدا بعض أقسام في جنوبها ، جنة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية الفنية .

وإذا كانت إسبانيا معروفة الآن بدولة مصدرة **للبرتقال** إلى أوروبا ، فيجب أن نذكر فضل المسلمين الذين أدخلوا زراعة البرتقال والحمضيات وقصب السكر إلى الأندلس .

ومن فضل العرب على إسبانيا أنهم أدخلوا نظم الري بالترع والقنوات التي ما زال بعضها باقياً حتى اليوم . . ومنها انتشرت هذه الطرق إلى ما جاورها من أقطار ودول .

واستخدم العرب أيضاً **النواعير** التي كانت تقام على مجاري المياه لرفع المياه إلى مستويات أعلى .

جزيرة صقلية

ولم تكد أقدام المسلمين ترسخ في **صقلية** حتى أقبلوا على الزراعة والصناعة فانتشلوهما بسرعة من الانحطاط الذي كانتا فيه ، وأدخلوا إلى صقلية زراعة القطن وقصب السكر والزيتون ، وحفروا فيها الترع والقنوات التي لا تزال باقية تدل على فضل العرب على الزراعة في هذه البلاد ، وأنشأوا فيها المجاري المعكوفة التي كانت مجهولة قبلهم .

وتقدمت الصناعة في صقلية بفضل العرب ، واستغل عرب صقلية ثروتها الطبيعية ، واستخرجوا منها **الفضة والحديد والنحاس** ، وزرعوا **التوت** ، ومما يرى في نور مبرح رداء من الحرير كان يلبسه ملوك صقلية مطرزاً بكتابات كوفية ، مع تاريخ سنة ٥٢٠ هـ ، (١١٣٣ م) ، ويحمل كل شيء على

القول بارتقاء الزراعة والصناعة على يد العرب في صقلية .

ولا يزال التأثير الإسلامي باقياً حتى الآن في بعض عادات أهل جزيرة صقلية ومظاهر سلوكهم ، فأهل صقلية يلتقون بالأحضان عندما يطول فراق الأحباب والأصدقاء ، ولا تزال أفراحهم يتخللها الغناء والموسيق . أما أحزانهم فيبالغ فيها كما نفعل نحن العرب في بلادنا ، بكاء ونواح وملابس سوداء ، حتى أن أحد المزارعين أطلق النار على ابنته انتقاماً لشرفه ، والمطبخ الصقلي مزيج من الأطعمة الأوروبية والعربية ، نذكر على سبيل المثال عمل « **الكسكسي** » المعروف في شمال إفريقيا ومصر ومختلف أنواع الحلويات .

أما الأسماء العربية فباقية حتى الآن مع التحريف ، ويصفها **الدكتور بوروزو مدير معهد الدراسات الشرقية في باليرمو عاصمة جزيرة صقلية** قائلاً : يبدو التأثير العربي واضحاً في الكلمات المستخدمة في الزراعة والموازين ، مثلاً زاجر (زهرة) ، ومارجيو (مارج) ، وباستكا (بطيخ) ، ونارانزو (النارنج) ، وذاكيا (الساقية) ، وجاليجو (الخليج) ، وروتلوهو (رطل) ، وكانتاروا (قنطار) ، وربو (ربع القنطار) ، وهذه الكلمات لا تستخدم في اللغة الصقلية فقط ، بل في اللغة الإيطالية أيضاً .

إن ظاهرة الكلمات ذات الأصول العربية في اللغة الصقلية تستحق التسجيل ، وهناك دراسة واسعة تجرى حول هذا الموضوع الآن في معهد الدراسات الشرقية في جامعة « باليرمو » .

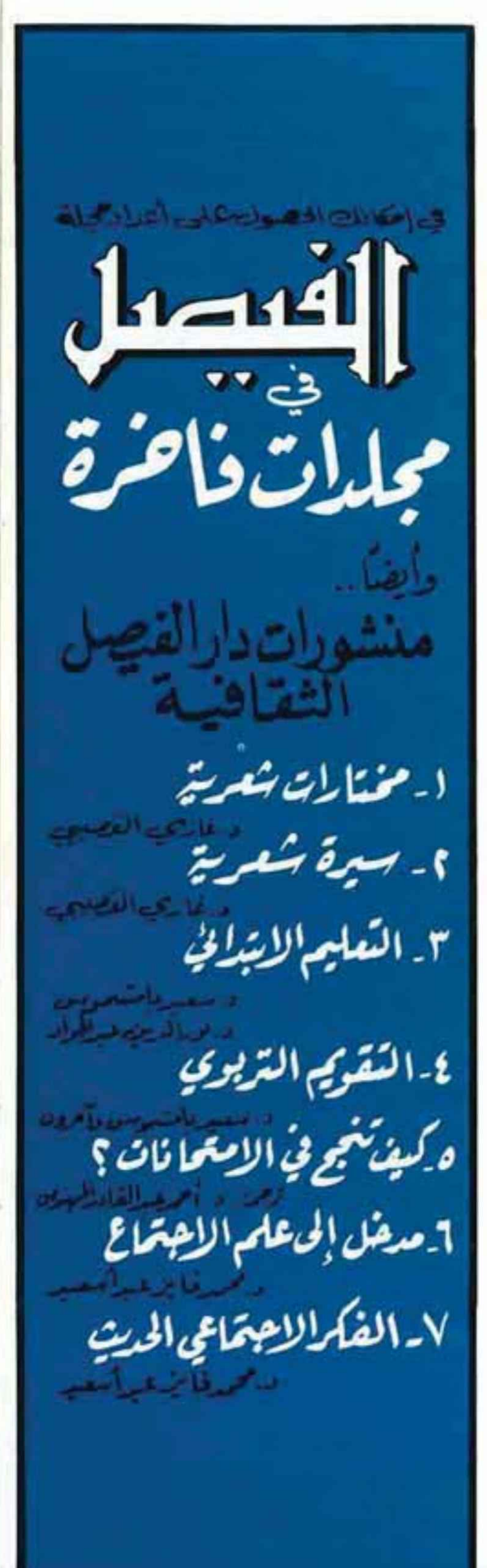
وفي صقلية كلمات كثيرة عربية لا حصر لها ، إما كما هي أو محرفة قليلاً أو كثيراً ، وبدخول **النورمان** انتهى الحكم الإسلامي الذي استمر بين سنتي ٢١٧ — ٤٥٠ هجرية ، أي استمر ٣٣٣ عاماً ، وبقي المسلمون يعيشون مع النورمان ، ووجدوا تقديراً من بعض ملوكهم الذين وجدوا ضرورة للبقاء معهم ، لأن المسلمين كانوا عماد حضارة صقلية ، حتى إن اللغة العربية ظلت إحدى لغات الدولة في صقلية .

وقد وصف **ديورنت في كتابه « قصة الحضارة »** : « وفي الزراعة تفوق ابن العوام الإشبيلي (١١٩٠م) ، تفوقاً عظيماً ونال مركز الصدارة في علم الزراعة ، وحلل في مؤلفه « كتاب الفلاحة » أنواع التربة ومختلف أنواع الأسمدة ، وشرح طرق زراعة ٥٨٥ نباتاً وخمسين نوعاً من أنواع الفاكهة ، وبين طرق التطعيم ، وشرح أمراض وعلاج الأمراض النباتية ، فكان كتابه هذا أكمل بحث في علم الزراعة ، ألف في القرون الوسطى برمتها . . . » ، واستطرد قائلاً :

« والحق أن العرب ضربوا مثلاً في المهارة الزراعية ، تلك المهنة التي كانت ممارستها عندهم منظمة بقانون ، ثم إنهم لم يقتصروا على العناية بالمزروعات بإدخالهم إلى إسبانيا أنواع شتى من النباتات ، وإنما اعتنوا عناية فائقة بتربية القطعان وبخاصة الأغنام والخيل ، وأوروبا تدين لهم بإدخال المنتجات الكبرى وتقريباً جميع أنواع الفواكه الممتازة ، بالإضافة إلى الكثير من المزروعات الأصغر حجماً مثل السبانخ والكراث .

ولا يوجد في إسبانيا اليوم من وسائل للري غير ما أتمه العرب فيها ، وزرعوه في سهول الأندلس الخصبة ، وما أدخلوه من مزروعات مثل قصب السكر ، والتوت ، والأرز ، والقطن . . . إلخ . وأصبحت إسبانيا تحت نظام زراعتهم العلمية حديقة غناء فسيحة ، في حين أنها اليوم صحراء حقيقية ما عدا بعض أجزاء من جنوبها .

دور المسلمين والعرب
في تقدم الزراعة والصناعات
وانتشارها في العالم



العلماء الهنود في البلاد العربية وخدمتهم للعلم في العصر العباسي

بقلم: د. عبدالله مبشر الطرازي



كانت شبه القارة الهندية تنقسم قديماً إلى بلدين كبيرين : هما بلاد الهند وبلاد السند ، فمن كان من الهند لُقّب بالهندي ومن كان من السند لقب بالسندي ، وقد بذل بعض العلماء الهنود جهوداً كبيرة في مختلف فروع العلم في البلاد العربية .. وكان لهم إسهام إيجابي في قيام النهضة العلمية عند العرب في العصر العباسي ، نذكر هنا بعضاً منهم على سبيل المثال .

«منكه» الهندي البغدادي
(ق ٢ هـ)

اعتل الخليفة **هارون الرشيد** علة صعبة ، فعالجه الأطباء ، فلم يجد من علته إفاقة ، فقال له **أبو عمر الأعجمي** : « بالهند طبيب معروف يقال له « منكه » ، فلو بعث إليه أمير المؤمنين ، فلعل الله أن يهب له الشفاء على يده » . فأمر الخليفة بإرسال نفقة السفر إليه وطلبه ، فحضر « منكه » إلى بغداد وعالج الخليفة **هارون الرشيد** فبرأ من علته ، فأكرمه الخليفة وأجرى له مرتباً شهرياً كبيراً ، وكان « منكه » بجانب انشغاله بالطب يقوم بتقديم خدمات جليلة إلى العلم في ميدان الترجمة ، فقد كان في جملة أصحاب **إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي** ، ويقوم بترجمة الكتب الطبية والعلمية من الهندية إلى الفارسية أو العربية ، فمن الكتب التي قام « منكه » بترجمتها **(كتاب منسرد)** وهو في عشر مقالات لبيان الأمراض المختلفة والأدوية اللازمة لعلاجها ، فقد ترجمه بأمر **يحيى البرمكي** ، وصار هذا الكتاب بمثابة « **الكناش** » أي دستور العمل في **مستشفى البرامكة في بغداد** ، كما ترجم بأمر إسحاق بن سليمان الهاشمي كتباً كثيرة مثل **كتاب (شاناق في السموم)** للطبيب « شاناق » الهندي ، **وكتاب (عقاقير الهند)** ، **وكتاب (علاجات الحبالى)** ، **وكتاب (علاجات النساء)** ، **وكتاب (نوقشتل في علاج مائة داء ووصف مائة دواء)** للطبيب « نوقشتل » الهندي ، **وكتاب (المختصر في العقاقير)** ، **وكتاب (أجناس الحياة وسمومها)** للطبيب « راي » الهندي ، **وكتاب (أمراض النساء)** للطبيبة « روسا » الهندية ، **وكتاب (التوهم في الأمراض والعلل)** للطبيب « نوقشتل » الهندي .

وقد شاهد « منكه » ذات يوم في سوق بغداد رجلاً عجوزاً بسط كساءه وعليه عقاقير كثيرة ، وقام يصف للمارة دواء معجوناً عنده ، وكان يقول في صفته إنه دواء للحمى الدائمة ، وحمى الغب ، وحمى الربيع ، ولوجع البطن والصداع ، وتقطير البول ، والفالج والارتعاش ، فلم يترك في البدن مرضاً إلا ذكر أن هذا الدواء المعجون شفاه له ، فضحك « منكه » وقال لمترجمه : « إن كان الأمر كما يقول فلم حملني ملك العرب من وطني وتكلف الكثير ، وإن كان الأمر ليس كما يقول هذا ، فلم لا يقتله الخليفة بحكم الشرع لأنه بقتله له يحفظ حياة ثلاثة أو أربعة أشخاص في اليوم وما هذا إلا فساد » .

الطبيب «بهله» الهندي البغدادي
(ق ٢ هـ)

يعتبر « بهله » الهندي أيضاً من أقدم الأطباء الهنود في بغداد ، أحضره **يحيى بن خالد البرمكي** في عهد الخليفة هارون الرشيد ، فاشتغل بالطب والمعالجة عند الخلفاء العباسيين ، وقد دخل الإسلام بعد إقامته ببغداد ، ورزق بولد سماه « صالحاً » الذي صار طبيباً مثله ، وكذلك كان حفيده الحسن بن صالح بن بهله الهندي طبيباً معروفاً هناك .

الطبيب «ابن دهن» الهندي
(ق ٢ هـ)

كان « ابن دهن » الهندي الحكيم من الأطباء المشهورين ، وقد كان رئيساً لبيمارستان ، أي مستشفى البرامكة في بغداد في عهد الخليفة هارون



العلماء الهنود في البلاد العربية وخدمتهم للعلم في العصر العباسي

الرشيد ، كما اشترك في حركة الترجمة ، وترجم كتباً مهمة في الطب من الهندية إلى العربية ، منها **كتاب (استانكر)** وغيره .

الطبيب «صالح» الهندي البغدادي (ق ٢ هـ)

وُلد «صالح بن بهله» الهندي المسلم في بغداد ونشأ فيها ، وكان طبيباً معروفاً مثله مثل أبيه «بهله» الهندي ، وفي منزلة **ابن بختيشوع الرومي** طبيب القصر ، وقد عالج **إبراهيم بن صالح** ـ زوج العبّاسة بنت المهدي وأخت هارون الرشيد ـ بعد أن قرّر ابن بختيشوع بأنه سيموت بعد ساعات ، وبذلك اشتهر في بغداد كلها .

لما اشتد مرض إبراهيم ، حضر الطبيب ابن بختيشوع إلى الخليفة وأخبره بأنه يحتضر ولا فائدة من معالجته ، وهنا طلب جعفر البرمكي من الخليفة أن يأذن للطبيب الهندي صالح بالكشف عليه ووافق الخليفة ، ثم توجه الجميع إلى دار إبراهيم ، وكشف عليه الطبيب صالح وعالجه وخرج فأخبره بأنه سيكون بخير وعليهم بالصبر قليلاً ، بينما قرر ابن بختيشوع بأنه قد مات ، فلعن الخليفة صالحاً وطب الهند ، فقال الطبيب صالح : يا أمير المؤمنين أنت الإمام وعاقد ولاية القضاء للأحكام ، ومهما حكمت به لم يجز لحاكم فسخه ، وأنا أشهدك وأشهد على نفسي في حضرتك أن إبراهيم إن توفي هذه الليلة أو في هذه العلة ، أن كل مملوك لصالح حر لوجه الله ، وكل دابة له فحبيس في سبيل الله ، وكل أمواله فصدقة على المساكين ، وكل امرأة له فطالق ثلاثاً ، فقال الخليفة هارون الرشيد : حلفت يا صالح بالغيب ، فقال الطبيب صالح : كلاّ إنما الغيب ما لا دليل عليه ولا علم به ، ولم أقل إلا بدلائل بينة وعلم واضح . وبعد قليل تحرك إبراهيم فصاح الطبيب صالح عندئذ : الله . . الله . وبذلك زاد قدر أطباء الهند عند الخلفاء العباسيين وزاد اهتمام العرب بالطب الهندي وترجمة الكتب العلمية الهندية إلى العربية .

الطبيب الحسن الهندي البغدادي (ق ٣ هـ)

كان جده بهله الهندي ، قدم بغداد حسب طلب يحيى البرمكي مع الأطباء الآخرين في القرن الثاني الهجري ، واختار الإقامة في بغداد ودخل في الإسلام ، وكان ابنه صالح أيضاً من كبار الأطباء ، ثم هذا الحسن بن صالح بن بهله الهندي صار طبيباً معروفاً ، وكان من رجال القرن الثالث الهجري .

المحدث أبو الهندي المكي المولى (ق ٢ هـ)

كان أبو الهندي عالماً محدثاً أقام بمكة ثم المدينة ، وقد ذكره **الذهبي** بقوله : أبو الهندي روى عن **أنس بن مالك** بحديث الطير ، وروى عنه **أبو القاسم** ، وكان من رجال القرن الثاني الهجري .

المحدث محمد الهندي الحجازي (ق ٢ هـ)

هو محمد بن حارث البيلماني الهندي ، وقد روى عن أبيه عن ابن عمر ، وروى عنه **محمد بن حارث الحارثي** ، عن محمد بن عبد الرحمن البيلماني الهندي ، وكان من رجال القرن الثاني الهجري ، وقد سكن الحجاز .

المحدث حارث الهندي الحجازي (ق ٢ هـ)

جاء في ترجمة محمد بن حارث البيلماني الهندي بأنه روى عن والده ، وهذا الشيخ حارث البيلماني الهندي الذي يروي عن ابن عمر ، وكان مقيماً بالحجاز ، وهو من رجال أوائل القرن الثاني الهجري .

المحدث محمد البيلماني الكوفي (ق ٢ هـ)

هو محمد بن عبد الرحمن البيلماني الكوفي مولى آل عمر ، وقد روى عن أبيه ، وروى عنه **سعيد بن بشر البخاري ، وعبد الله بن العباس بن الربيع الحارثي ، ومحمد بن الحارث بن زياد الحارثي ، ومحمد بن كثير العبدي ، وأبو سلمة موسى بن إسماعيل** وغيرهم ، وقال البخاري وأبو حاتم والنسائي : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم أيضاً : مضطرب الحديث ، وقال الحاكم : روى عن أبيه عن ابن عمر المفضلات ، وكان من رجال القرن الثاني الهجري .

الفقيه أبو سعيد الهندي البغدادي
(ق ٢ هـ)

كان أبو سعيد المالكي الهندي من كبار المالكية في بغداد، بحيث نقل عنه الأقوال في المذاهب، وكان من رجال القرن الثاني الهجري.

الخازن أبو حارثة الهندي البغدادي
(ق ٢ هـ)

كان أبو حارثة الهندي يتقلد خزائن بيوت الأموال في عهد الخليفة المهدي العباسي، وكان الخليفة محبباً إلى الخاص والعام لأنه افتتح حكمه بالنظر في المظالم وكف عن القتل وأمن الخائف، وإنصاف المظلوم، وبسط يده في العطاء، وقد أنفق جميع الأموال التي كانت في الخزينة والتي تركها **المنصور** وقدرها ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار سوى ما جباه في أيامه، فلما فرغت بيوت الأموال أتى أبو حارثة الهندي فوضع المفاتيح بين يدي الخليفة وقال: يا أمير المؤمنين ما معنى مفاتيح لبيوت فارغة؟ فأمره الخليفة بأن يحتفظ بالمفاتيح عنده قليلاً، ثم أمر عشرين خادماً لجباية الأموال، فوردت الأموال بعد أيام قلائل، فتشاغل أبو حارثة الهندي عن الدخول على الخليفة ثلاثة أيام، فلما دخل عليه قال له الخليفة: ما أخرك؟ فقال: الشغل بتصحيح الأموال الكثيرة التي وردت، فقال له الخليفة: أنت أحمق، كنت تظن أن الأموال لا تأتينا إذا احتجنا إليها، قال أبو حارثة الهندي: إن الحادثة إذا حدثت لم تنتظرك حتى توجه في جمع الأموال. وكان أبو حارثة الهندي من رجال القرن الثاني الهجري.

المؤرخ أبو محمد الهندي البغدادي
(ق ٢ هـ)

أبو محمد الهندي كان عالماً مؤرخاً في القرن الثاني الهجري ببغداد، حدث عن الفرج بشأن أخبار السند في أيام الفتح العربي، وحدث عنه المؤرخ الكبير **علي بن محمد المدائني** الذي يعتبر مرجعاً مهماً عند **البلاذري** الذي أخذ عنه، فقال مثلاً: حدثني علي بن محمد المدائني عن أبي محمد الهندي عن الفرج، قال: لما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند.

المنجم «ما شاء الله» الهندي البغدادي
(ق ٣ هـ)

كان «ما شاء الله» الهندي من المهتمين بعلم النجوم وهو معرفة أحكام الكواكب وتأثيرها في عالم الكون، وهو صاحب المؤلفات العديدة، وكان نزيل بغداد في القرن الثالث الهجري.

الفقيه أحمد بن محمد الهندي
(ق ٤ هـ)

كان **أحمد بن محمد الكرابيسي** فقيهاً كبيراً ومصنفاً، فله كتاب الوصايا، والكرابيسي نسبة لبيع الكرباس أي الثوب من القطن الأبيض، وقد مارس مهنته هذه بعض كبار علماء الإسلام واشتهروا بنسبة الكرابيسي، وكان من رجال القرن الرابع الهجري.

الشاعر أبو الهندي الأسدي
(ق ٢ هـ)

ذكر الطبري شاعراً كان يقيم بالعراق في القرن الثاني الهجري، وكان معروفاً بأبي الهندي الأسدي، ولعله كان من مولى **بني أسد**، ومن أشعاره قصيدة له في مدح أحد القواد العرب، وهو أسد بن عبد الله **في وقعة سان**، وجاء فيها:

أبا منذر رمت الأمور فقستها	وساءلت عنها كالحريص المساوم
فما كان ذو رأي من الناس قسته	برأيك الأمثل رأي البهائم
أبا منذر لولا مسيرك لم يكن	عراق ولا انقادت ملوك الأعاجم
ولا حج بيت الله مذحج راكب	ولا عمر البطحاء بعد المواسم
فكم من قتيل بين سان وجزه	كثير الأيادي من ملوك قماقم
تركت بأرض الجوزجان تزوره	سباع وعقبان لحز الغلاصم
وذي سوقة فيه من السيف خطة	به رمق حافت عليه الحوائم
فمن هارب منا ومن دائن لنا	أسير يقاسي مبهمات الأواهم
فدتك نفوس من تميم وعامر	ومن مضر الحمراء عند المآزم
هم أطعموا خاقان فينا فأصبحت	جلائبه احتواء المغانم

* *

أهميةُ الألقاب عند

من أنفس الفنون المتصلة بعلم الحديث النبوي ، معرفة ألقاب الرواة ، لأنها قد تأتي في سياق الأسانيد مجردة عن الأسماء ، وربما يكون اللقب الواحد مشتركاً يطلق على جماعة .

لذلك ، هرع المحدثون المختصون إلى التنقيب عن أسماء هؤلاء ، والكشف عن أحوالهم . ومن هذا المنطلق عُدَّ باب معرفة الألقاب من أهم البحوث الرئيسية في علوم الحديث ، لأن معرفة ذلك هي المرقاة التي يصعد عليها المحدثون للكشف عن أحوال الرواة ، ويستطيعون بواسطة ذلك التمييز بين القوي من الواهي والمقبول من المتروك . ذلك لأن هذا الصنيع بمعاضدة اعتبارات متعددة وقواعد محكمة ، أحسن تطبيقها المختصون أوصلت إلى تنقية السنّة مما علق بها ، وتصفية ينابيعها الغزيرة فأضت بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا أعمى فكر ، فاقد رشد ، يتخبط في ليل الشك والحيرة ، لا يدري أين يتجه .

لقد منح التنزيل الحكيم أبا القاسم **صلى الله عليه وسلم** حق البيان ، إذ قال **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾**[1] . فمارس أبو القاسم هذا الحق ، فوضح المشكل ، وفصل المجمل ، وقيد المطلق ، وخص العام .. وما لحق بالرفيق الأعلى حتى كان المنهاج واضحاً ، والشعائر والحقوق مبينة ، لا لبس يعتريها ، ولا غموض يشوبها .

ثم لما كانت **السنّة** هي الباب الموصل إلى معرفة أحكام الله تعالى ، وكان المولى تقدست أسماؤه قد تكفل بحفظ الذكر إذ قال **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾**[2] . فقد قيض أيضاً للسنّة عباقرة الباه ، وأفذاذاً موهوبين ، أفنوا أعمارهم في خدمتها ورفع لوائها ، والتشهير بالوضاعين ، والأفاكين ، وإلقاء رواياتهم في يم الإهمال ، ومن أبرز هذه الجهود في هذا الميدان تضافر هممهم على التأليف في الألقاب التي قد يعتورها الخفاء ، ويشوبها الإبهام ، فنقبوا عن أسمائهم وبحثوا عن مكانتهم على ساحة الضبط والإتقان ، والعدالة .

كتب الألقاب

ومن أشهر المؤلفات في الألقاب على وجه الاستقلال ما يلي :

(١) « ألقاب الرواة » ، للحافظ أبي بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي المتوفى سنة (٤١١ هـ) ، قال الكتاني في وصفه : « وهو في مجلد كثير النفع ، بل هو أجل كتاب ألف قبل ظهور تأليف ابن حجر »[3] .

(٢) « مختصر ألقاب الرواة » ، للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي المعروف بابن القيسراني المتوفى سنة (٥٠٧ هـ)[4] .

(٣) « منتهى الكمال ، في معرفة ألقاب الرجال » ، للحافظ أبي الفضل علي بن الحسين الهمداني المعروف بابن الفلكي ، المتوفى سنة (٤٢٧ هـ)[5] .

(٤) « كشف النقاب عن الأسماء والألقاب » ، للحافظ عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي ، المعروف بابن الجوزي ، المتوفى سنة (٥٩٧ هـ)[6] .

(٥) « نزهة الألباب في الألقاب » ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) . وهو أجمع الكتب المؤلفة في الألقاب ، وإن كان أخصرها ، فقد قال بعد ذكر المؤلفات السابقة : « فلخصت جميعها في هذا المختصر ، وأضفت إليها شيئاً كثيراً ، مما فات المذكورين مستدركاً عليهم وطائفة كثيرة ممن حدث بعدهم مذيلاً عليهم »[7] .

وهنا يبرز تساؤل من الأهمية بمكان ، ومضمونه كيف استساغ هؤلاء الأعلام وهم الأئمة المتبعون ، والعلماء الموجهون إشهار الألقاب وإذاعتها مع ما فيها من نبز الناس بأوصاف ربما تكون مكروهة ، يمتعض منها الملقب ، ويشمئز ، وما موقف هؤلاء من الآية المحكمة **﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾** والجواب ما يلي :

لا شك أن الآية محكمة ، وسبب نزولها يبيِّن المراد منها ، فعن **أبي جبيرة بن الضحاك** رضي الله عنه قال : « فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة **﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾** ، قدم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** المدينة وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة ، فكان إذا دعا أحداً منهم باسم من تلك الأسماء ، قالوا إنه يغضب من هذا فنزلت »[8] .

فدل سبب النزول على أن المنهي عنه إنما هو **لقب يشين ، ونبز يعيب ويحمل صاحبه على كراهته ، والتميز من الغيظ عند سماعه ، « فأما**

المُحَدِّثين

بقلم : د . محمد عبد الرحمن الأهدل

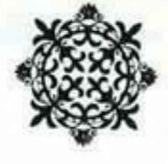
إن كان يحبه ، ويوجب له المدح فهو جائز بشرط الأمن من الإطراء » .

« وقد لقب رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه ، فلقب **خالد بن الوليد بسيف الله ، وأبا عبيدة بن الجراح بأمين هذه الأمة ، وأبا بكر بالصديق ، وعمر بالفاروق ، وعثمان بذي النورين ، وحمزة بأسد الله ، وجعفر بن أبي طالب بذي الجناحين ،** وأشرف من اشتهر باللقب الجميل **إبراهيم الخليل ، وموسى الكليم ، وعيسى المسيح »**[9] .

وأهل العلم تضافرت آراؤهم الفقهية على أن من لقب بلقب يكرهه لم يجز أن يدعى به لهذه الآية ، ولما فيه من الإيذاء وجرح المشاعر المنهى عنها ، واستثنى إذا قصد التعريف به للتمييز بينه وبين غيره لغرض شرعي بغير قصد ذم .. فإن ذلك جائز في نطاق الحاجة « والضرورة تقدر بقدرها » ، فقد سئل **الإمام أحمد** عن مثل هذا فقال : « الأعمش إنما يعرفه الناس بهذا ، فسهل في مثله إذا اشتهر به »[10] .

قال ابن حجر : « وقد سلك **الشافعي** في الموضوع مسلكاً حسناً ، فكان يقول أخبرني إسماعيل الذي يقال له ابن عُلَيَّة ، فجمع بين التعريف والتبري من التلقيب »[11] . والأئمة بُرآءُ من التعيير أو اللمز ، ولكن هدفهم نصح المسلمين ، وصون الشريعة عن ترهات المبطلين ، ونزعات أولي الأهواء ، ونفثات المبتدعة ، ودسائس الزنادقة ، لذلك اعتبر الإسناد من الدين ، لأن للوسائل حكم المقاصد . قال ابن المبارك : « الإسناد من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » . وقال ابن عيينة : « حدث الزهري يوماً بحديث فقلت هاته بلا إسناد فقال : أترقى السطح بلا سلم » .. ؟ ، هذا ولقد نقلت إلينا سنة المصطفى بأسانيد وطرق تعدُّ أدق أسلوب عرفته البشرية لمعرفة صدق الأخبار أو زيفها .

وبنظرة عجلى على الخطوط العريضة للمصطلحات الحديثة ، تتجلى هذه الحقيقة ، وبتلك الجهود المكثفة من أولئك الأبرار الملهمين حفظ الله هذا الدين الخالد ، وصارت قلاع السنَّة صامدة راسخة محمية ، لا تؤثر فيها زوابع الشكوك ، ولا تنطلي عليها بهارج الشبهات .



الهوامش

(١) سورة النحل ، الآية ٤٤ .
(٢) سورة الحجر ، الآية ٩ .
(٣) الرسالة المستطرفة ، ص ١٢٠ ، انظر : تاريخ التراث العربي (١/٣٧٦) .
(٤) نزهة الألباب في الألقاب ، ص ١ ، بتحقيقنا ، تاريخ التراث (١/٣٧٦) .
(٥) العبر للذهبي (٣/١٦٢) ، شذرات الذهب (٣/٢٣١) .
(٦) نزهة الألباب ، ص ٢ .
(٧) المصدر السابق .
(٨) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه ، والحاكم ، وقال : « صحيح على شرط مسلم » ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
(٩) نزهة الألباب ، ص ٧ .
(١٠) مسائل الإمام أحمد ، لأبي داود ، ص ٢٨١ .
(١١) نزهة الألباب ، ص ٨ .

بيت العنكبوت بين القدماء والمحدثين

بقلم: د. خليل أبو دياب

للعلم الحديث دوره البالغ الأهمية في توضيح كثير من جوانب الآيات الكونية التي شاعت في القرآن الكريم. ولا ينكر هذا الدور إلا جاحد أو مكابر. ونحن إذ نقول هذا، لا نعني ـ مطلقاً ـ تلك المحاولات التلفيقية التي حرص فيها أصحابها على التلفيق بين النظريات العلمية التي لم تشبّ عن طوق الظن، والتي ما تزال محل نظر ودراسة وتمحيص، وبين الآيات الكونية المبثوثة في القرآن الكريم. وإنما نعني المحاولات الجادة الرصينة التي استندت إلى العلم في حقائقه اليقينية الثابتة في توضيح ما استغلق من تلك الآيات، على نحو ما نجد عند علماء الفلك والطبيعة الجوية والطب والجيولوجيا وغيرها من العلوم المتطورة.

نظرتان

وتكمن أهمية العلم في هذا الجانب في الفرق بين نظرة القدماء ونظرة المحدثين من أصحاب المنهج العلمي في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم؛ وهو فرق يمكن إدراكه بوضوح من المقارنة بين من ينظر إلى السماء من خلال عدسة منظار مرصد «**بالومار**»، ذات المائتي بوصة، أو الخمسة أمتار، والتي يتمكن من خلالها من رصد مسافة تعجز الوهم، تبلغ نحو ألف مليون سنة ضوئية من الكون المرئيّ، وهي ليست أكثر من جزء يسير من هذا الكون الفسيح المتمدّد الذي يحيط بنا؛ وبين من ينظر إلى السماء بعينه المجردة، فلا يرى سوى بضع مئات من النجوم المتناثرة فوق أديم السماء الأسود في أشد الليالي صفاءً وصحواً.. ولن يستشعر الرائي بعينيه المجردتين جلال الله وقدرة الخالق، ولن يدرك عظمة هذا التدبير المحكم، الذي يسود الكون على النحو الذي يتم له ويتحقق، لو كان ينظر إلى السماء، من خلال تلك العدسة الهائلة أو غيرها مما أحدث العلم.

ومثل هذا الفرق الهائل نلمسه عند أصحاب العلوم الأخرى التي أسهمت إسهاماً فعّالاً في كشف غوامض تلك الآيات. وهو فرق يؤكد دور العلم وأهميته في هذا الجانب، ويدعو إلى قبوله وعدم رفضه، فضلاً عن أن يقف منه موقفاً سلبياً.

وتقع أبصارنا في القرآن الكريم على كثير جداً من الآيات الكونية كقوله تعالى ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿ **بلى قادرين على أن نسوّي بنانه** ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ **ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء** ﴾[4]، وغير ذلك كثير كثير.. ولو أننا نظرنا في هذه الآيات وتأملناها، وحاولنا أن نتعرف أقوال المفسرين القدماء، فيها لوجدناهم يعنون بالجانب اللغوي وحده؛ وهي عناية قد تكون قاصرة إلى حد كبير، لأنها غير قادرة على استكناه أبعاد المعاني التي اتّسعت لها تلك الآيات، التي وردت فيها بعض تلك الألفاظ، على نحو ما نجد في تسوية، البنان وعدم مقارنتها بتسوية **خلق آدم** مثلاً، وعلى نحو ما نجد من إثبات التعجيز عن الصعود في السماء، كما في الآية الأخيرة[5].

نظرة القدماء

ولو أننا ألقينا نظرة على آراء المحدثين من أصحاب هذا المنهج العلمي في التفسير في تلك الآيات لتبيّن الفرق الكبير بين المنهجين، وهو فرق أسهم العلم في ترسيخه لدى المحدثين، فبلغوا غاية جليلة، وأدركوا جانباً مهماً من أسرار تلك الآيات[6].

ومن تلك الآيات التي تكشف العلم الحديث عن بعض أسرارها قوله تعالى ﴿ **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** ﴾[7].

وإذا رجعنا إلى المفسرين القدماء، نتعرف آراءهم في هذه الآية الكريمة فإننا نجدهم يركزون على الإيحاءات المعنوية التي تتمخض عنها الصورة البيانية فيها، على أهميتها، ولا يكادون يبرحونها إلى ما وراءها.

يقول **الطبري**: «مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها، في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها، اتخذت بيتاً لنفسها كيما يكنّها، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه؛ فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم، حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه، أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم»[8].

ويقول **الزمخشري**: «الغرض تشبيه ما اتخذوه متّكلاً ومعتمداً في دينهم، وتولّوه من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة، وهو نسج العنكبوت... وكما أن أوهن البيوت، إذ استقريتها

بيتاً بيتاً ، بيت العنكبوت ، كذلك أضعف الأديـان ، إذا استقريتها دينـاً ديناً ، عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون »[٩] .

أما **الرازي** ، صاحب الباع الطويلة في هذا المجال من بين القدماء ، فقد ناقش الآية من جوانب متعددة ، فصّل فيها القول تفصيـلاً ، ولـكنه بعيد عن أصحاب المنهج الجديد ، وقريب من أصحاب التفسير القـديم ، وإن حاول أن يعمق البحث في بعض جوانبها الدقيقة ليكشف شيئاً من أسرارها الإعجازية . وهو يهدف من ذلك إلى تأكيد حقيقة الشبه بين بيت العنكبوت وبين الأوثان الـتي يتخـذها المشركون أوليـاء مـن دون الله[١٠] .

وعلى الرغم مما نجد عنده من التفصيل فإنه لا يكاد يخرج عن مفهوم القدماء ، ولا يكاد ينفلت من دائرتهم ، بل لعله لم يكن أوضح في تبيـان هذا الجانب من غيره من المفسرين الذين وقفوا عند حـدود الإيحـاءات المعنوية التي تفجرها الصورة الفنية في الآية على نحو ما رأينا عنـد الـطبري والزمخشري .

ويقول **الشوكاني** : « هو مثل ضربه الله لمن اتخذ مـن دونـه آلهـة لا تنفعه ولا تضرّه ، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرًّا ولا برداً »[١١] .

ويقول **صاحب الـظلال** : « إن الالتجـاء إلى تلك القـوى ، سـواء أكانت في أيدي الأفراد أو الجماعات ، أو الدول ، كالتجاء العنـكبوت إلى بيت العنكبوت . . . حشرة ضعيفة رخوة واهنة ، لا حماية لها من تـكوينها الرخوي ، ولا وقاية لها من بيتها الواهن »[١٢] .

ولو مضينا نستقرئ ما انتهى إليه القدماء ، والمحدثون مـن أصـحاب التفسير الذي يقف عند حدود الإيحاءات المعنوية التي تجسّدها هـذه الآيـة لما ألفينا جديداً يمكن أن يضاف إلى ما ذكرنـاه ، فضـلاً عـن أن يغـيّر المفهوم المستقر في أذهانهم عنها وهو ما يتعلق بالإيحاءات البيانية من خلال التشبيه فيها .

نظرة المحدثين

أما المحدثون من أصحاب التفسير العلمي فقد رأى بعضـهم في هـذه الآية رأياً جديداً يختلف عن رأي القدماء الـذي ألمحنا إليـه آنفـاً ، وإن اتفقوا معهم في الإيحاءات البيانية للصورة الفنية ؛ وإن اختلفـوا أيضـاً فيما بينهم ــ أعني أصحاب المنهج العلمي الجديد ــ في توضيح أبعـاد الآيـة ، أو قل في توضيح حقيقة الوهن في بيت العنكبوت . وسنعرض لاثنين فقط من أصحاب هذا المنهج ، هما **الشيخ طنطاوي جوهري والـدكتور مصطفى محمود** .

أما الشيخ طنطاوي جـوهري ــ صـاحب **الجـواهر في تفسـير القرآن** ــ فينقل عن بعض العلماء الذين درسوا العنـاكب أنهم وجـدوا أنها تنسج بيتها من خيوط دقيقة جدًّا ، كل خيط منها مـؤلف مـن أربعـة خيوط أدق ، مؤلف كل منها من ألف خيط ، يخرج كل منها مـن قنـاة مخصوصة في جسم العنكبوت . وهي من الـدقة بحيث لـو ضـمَّ أربعـة بلايـين خيط إلى بعضها لم تكن أغلظ من شعرة . وباجتماع الخيوط أنشأت بيتاً له قوة وتماسك ليكون مسكناً ومحل صيد لها . أما الوهن فهو يظهر في تحليله وتجزئته[١٣] . ونراه يؤكد قوته وتماسكه في مكان آخر فيقـول : « ولما كان بيت العنكبوت أضعف بيت ألهمها الله أن تبحث عن صـمغ وغـراء من أماكنها وأشجارها ، وتلطّخ بها خيـوطها الـتي نسـجتها ، فتـكسبها لزوجة ، فلذلك لا تمزقها الرياح إذا فـاجأتها ، والأعـاصير إذا سـاورتها . وإذا مرّ بها الذباب التقطته بمادّتها اللزجة »[١٤] .

ومن هذا نتبين أن المفسر أثبت قوة وتماسكاً لبيت العنـكبوت يصـمد معها للرياح والأعاصير . وما وهنه وضعفه إلا من تجزئته وتحليله إلى تلك الخيوط الدقيقة . وواضح أن هذا التأويل يناقض الآية الـكريمة ، ويصـادم معناها الذي رمت إليه . فالآية تعقد مقارنة بـين عملـين خـاسرين مـن خلال مثل ضربه الله للذين يتخذون من دونه أولياء يعبـدونهم ويعتمـدون عليهم ، ويرجون عندهم العزة والمنعة ، بالعنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن كان في ظاهره قوياً متيناً ، ولكنه ، في حقيقته ، ضعيف واهن متهافت ، لعـدم استقراره ، ولسرعة انهياره . وهو انهيار لا بدّ أن يـكون مـن داخلـه ، أو نتيجة له ، مثل انهيار أولئك المشركين . ولو كان المقصود من ضعف بيت العنكبوت ووهنه ضعف خيوطه ودقّتها ، وباجتماعها يصبح قـوياً ، لـكان المعنى متناقضاً . إذ كيف يشبّه الله مصير الذين يتخذون من دونه أولياء ، يطلبون العزة لديهم ببيت العنكبوت القوي المتماسك ؟! ولذلك فقد أغرب المفسر في التعليل والمقارنة ولم يوفق .

ولعل الدكتور مصطفى محمـود وفّق فيما لم يـوفق فيـه سـلفه ، وكان أوضح في الدلالة على المعنى المقصود مـن هـذا التشـبيه ، إذ يقـول : « والحقيقة الملفتة للنظر هي وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ، ولم يقل القرآن : خيط العنكبوت ، أو نسج العنـكبوت ، وإنما قـال : بيت العنكبوت . وهي مسألة لها دلالة ولها سبب . والعلم كشف الآن بـالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات ، وأقوى مـن خيط الحرير ، وأكثر منه مرونة . فيـكون نسـيج العنـكبوت بـالنسبة لاحتياجات العنكبوت وافياً بالغرض وزيادة ، ويكون بالنسبة له قلعة أمينة حصينة . فلماذا يقول القـرآن ﴿ **وإن أوهـن البيـوت لبيـت العنكبوت** ﴾ ؟ ولماذا يختم بكلمة ﴿ **لو كانوا يعلمـون** ﴾ ؟ لا بـدّ أن هناك سرًّا . والواقع أن هناك سرًّا بيولوجياً كشـف العلم عنه فيما كشف

★ الرازي ★



★ د. بنت الشاطئ ★



★ د. مصطفى محمود ★



بيت العنكبوت بين القدماء والمحدثين

مؤخراً . فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت ، بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأنينة . **فالعنكبوت الأنثى** هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه ، وهي الحاكمة عليه ، وهي تقتل ذكرها بعد أن يلقحها وتأكله . **والأبناء** يأكل بعضهم بعضاً بعد الخروج من البيض . ولهذا يعمد **الذكر** إلى الفرار بجلده بعد أن يلقح أنثاه ، ولا يحاول أن يضع قدمه في بيتها . وتغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخًّا وكميناً ومقتلاً لكل حشرة صغيرة تفكر في أن تقترب منه . وكل من يدخل البيت من زُوَّار وضيوف يقتل ويلتهم . إنه ليس بيتاً إذن ، بل مذبحة يخيم عليها الخوف والتربص ؛ وإنه لأوهن البيوت لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ . والوهن هنا كلمة عربية تعبِّر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة . وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منه معيناً ونصيراً »[١٥] .

ومن خلال هذا الرأي العلمي الذي أوضحه الدكتور مصطفى محمود تتبين لنا الإيحاءات المعنوية للألفاظ في الآية ، كما نتبين الظلال والألوان الزاهية للصورة البيانية الرائعة فيها .

ومن هذا الاستعراض لمعنى الآية الكريمة وإيحاءات الصورة الفنية فيها عند المفسرين القدماء ، وبمقارنتها بما انتهى إليه الدكتور مصطفى محمود ، يتبين الفرق ، أو يتضح العمق في النظرة إلى الآية بين القدماء والمحدثين من جهة ، ودور العلم في الكشف عن جوانب من أسرار الآيات الكونية التي أشار إليها القرآن الكريم من جهة أخرى . كذلك يتبيّن ما يجنيه الوقوف عند حدود معيّنة ، كالحدود اللغوية ، أو الإيحاءات المعنوية في تفسير الآيات أو تأويلها ، من إضاعة للحق ، أو إفساد للمعنى ، أو طمس للصورة الدقيقة التي ترسمها الآية ، ما دامت ألفاظ الآية تستوعبها ولا تضيق عنها .

وما هو جدير بالذكر أن هذا التأويل أو التفسير العلمي لبيت العنكبوت لم يرق لبعض الباحثين ، فكان أن ثار جدل عنيف ، أو قل زوبعة حول بيت العنكبوت ، إن صحّ التعبير .

بين العلم .. واللغة

عندما نشر الدكتور مصطفى محمود رأيه العلمي في بيت العنكبوت ، لم يرق لكثير من الناس ، ولم يعجبهم أن يجعل ، بالعلم ، بيت العنكبوت قويًّا متماسكاً ، في حين جعله الله مضرب المثل في الضعف والوهن . وكان من أهم هؤلاء المعترضين **الدكتورة بنت الشاطئ** التي نقدته ، مؤكدة خطأه في استناده إلى العلم الذي أكّد بيولوجية العنكبوت . وسنقف هنا عند الجانب اللغوي من نقدها باعتباره الدعامة الأساسية له .

تقول الباحثة : « يعرف المبتدئون من طلّاب العربية أن القرآن جرى هنا على لغة العرب الذين أنّثوا لفظ « العنكبوت » من قديم جاهليتهم الوثنية ، كما أنّثوا مفرد النمل والنحل والدود ، فلم يقولوا في الواحد منها إلا نملة ونحلة ودودة ، وهو تأنيث لغوي لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما وهم المفسر العصري ، والنملة أو الدودة أو العنكبوت ، قد تكون ذكراً كما قد تكون أنثى ؛ وجرى لسانهم كذلك على تأنيث الشمس والأرض والسماء والدار والسوق ، وكل ما يعرف في المصطلح اللغوي بالتأنيث المجازي ، دون أن يتصور من له أدنى اتصال بالعربية ، أن التأنيث هنا يحمل على التأنيث البيولوجي . وقبل أن ينزل القرآن بآيات ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً** ﴾[١٦] ، ﴿ **قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم** ﴾[١٧] ، ﴿ **كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً** ﴾[١٨] ، ﴿ **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها** ﴾[١٩] ... كان أي عربي ونتيّ « من أجلاف البادية » ينطق بها على التأنيث ، فلا نتصوّر أن في ذلك إشارة علمية إلى ما اكتشفه عصرنا من بيولوجيا الحيوان »[٢٠] .

ونحن نرى الباحثة هنا ترفض ما انتهى إليه المفسر العصري من بيولوجية العنكبوت ، وتصرّ على أن تأنيث « العنكبوت » في الآية تأنيث لغوي بحت ، استناداً إلى ما جرى عليه العرب في لغتهم . ونراها كذلك قرنت بتأنيث العنكبوت تأنيثهم للشمس والأرض والسماء والدار والسوق وغيرها من المؤنثات المجازية في لغة العرب . ومن المعروف أن تأنيث هذه الأسماء يختلف عن تأنيث « العنكبوت والنملة والنحلة والبعوضة والدودة » وغيرها .. لأن الأولى مؤنثات مجازية ، وهذه مؤنثات حقيقية ، أو مؤنثات بيولوجية . ومعروف كذلك أن التأنيث والتذكير أصلاً من خصائص الحيوان ، وإطلاقه على غير ذلك يكون على سبيل المجاز[٢١] ، وهو ما يسمى **بالمؤنثات السماعية** التي تخلو من علامات التأنيث الثلاث : التاء والألف الممدودة والألف المقصورة ؛ وهي تتردد بين التذكير والتأنيث على نحو ما نرى في « عين وأذن وجناح وضلع » وغيرها من أعضاء الحيوان ، ومثل « دار وسوق وشمس وسماء » وغيرها . ويرجع بعض الباحثين ترددها بين التذكير والتأنيث إلى فقدان الصلة العقلية بين الاسم ومدلوله الجنسي[٢٢] ، وإن وجدناه في لغتنا ينسب ، في بعض الأحيان ، إلى مختلف القبائل العربية[٢٣] .

وأما قول الباحثة إن تأنيث « النملة والنحلة والبعوضة » في القرآن إنما هو تأنيث لغوي وليس تأنيثاً بيولوجياً ، فما نظن ، وربما يشاطرنا الرأي غيرنا ، أن لديها دليلاً على أن القرآن لم يكن يقصد أنوثتها البيولوجية ، ولا نظن كذلك ، أن تأنيثها اللغوي أو استخدام العرب المؤنث لها ، دليل على مقصد القرآن الأوحد .

ونحن لا ننكر استخدام العرب المؤنث لها ولغيرها من المؤنثات المجازية أو السماعية ، وأن استخدامهم لها قد يكون اصطلاحاً لغوياً ؛ ولكن الذي ننكره ، أن يكون ذلك الاستخدام المجهول ، أو غير المسبّب ، هو

الاستخدام النهائي أو القطعي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه هو الذي يجب أن يقبل وحده ، وألا يبحث عن سبب آخر يؤيده أو يرفضه .

وعلى فرض تأنيث هذه الكائنات لغوياً ، هل يجوز لنا أن ننكر ما أثبته العلم من تأنيثها البيولوجي بحجة أن العرب كانوا يستخدمونها على هذا الوجه دونما نظر إلى وجه آخر محتمل ومعقول ؟ بل إننا نعرف الآن من خصائص بعض تلك الحشرات ، كما في النحل ، أن ذكورها عاطلة عن العمل ، وليس لها من وظيفة إلا مطاردة الملكة عند الإخصاب ، ثم تعيش بعد ذلك عالة على النحل ؛ فالخلية ليس لها إلا ملكة واحدة وعدة آلاف من العاملات وبضع مئات من الذكور . ووظيفة الملكة وضع البيض المخصب الذي ينتج الملكات والشغالة ، وغير المخصب الذي ينتج الذكور . ووظيفة الذكور تلقيح الملكة ثم تموت مباشرة . ولعل في هذا ما يؤكد أنوثة النحل بيولوجياً ، إذ إنها هي التي تبني البيوت ، وهي التي تمتصّ الرحيق لتخرجه من بطونها عسلاً مصفّىً ، شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس .

ومثل ذلك يقال عن **مملكة النمل** وعن البعوضة والعنكبوت . . وغيرها من الكائنات البيولوجية . . فالنملة أيضاً هي العنصر الأساسي الفعّال في مستعمرة النمل ، سواء أكانت ملكة أم غير ملكة . والمستعمرة في العادة تضم ملكة واحدة أو أكثر ، وعدة آلاف من العاملات والذكور . ووظيفة الملكة وضع البيض ، ووظيفة الذكور تلقيح الملكة أو الملكات ثم تموت مباشرة . وعلى هذا لا نستبعد أن تكون ملكة النمل هي التي أمرت النمل أن يدخلوا مساكنهم في آية النمل ، وليس أية نملة من هذه المستعمرة ، فضلاً عن أن يكون أحد ذكور النمل هو صاحب الأمر في هذا الموقف القيادي الرائد .

ومثل النحل والنمل البعوضة ؛ فالبعوضة الأنثى هي التي تقوم بثقب الجلد ودفع سائلها اللعابي في داخله ، وتمتص دم الإنسان وكثير من الحيوان وتضع البيض[٢٤] .

وربما كانت سائر ممالك الحشرات ومستعمراتها تخضع لهذا القانون البيولوجي الذي أحكمه مدبّر الكون ومنظّمه سبحانه وتعالى . وباستقراء هذه الممالك أو المستعمرات الحشرية نتبيّن أن الأنثى هي المسيِّرة والمدبِّرة الرئيسية لها ، سواء أكانت ملكة أم غير ملكة ، مما يؤكد وظيفتها البيولوجية ، ويؤكد بالتالي ما جاء به القرآن الكريم قبل اكتشافات عصر العلم الحديث في حديثه عن النحل والنمل والبعوضة والعنكبوت ، وأن حديثه عنها كان من منطلق وظيفتها البيولوجية ، وليس من منطلق الاستخدام اللغوي البدوي لتلك الكائنات حتى لو وافق ذلك الاستخدام اللغوي .

وعلى هذا فإننا لا نجد مبرّراً لإنكار الباحثة أنوثة العنكبوت بيولوجياً ، التي أشار إليها القرآن الكريم ، وأيّدها العلم الحديث . والذي يدفعنا كذلك إلى اعتبار أنوثتها البيولوجية في الآية ، أنه يجوز ، لغوياً ، فيها وفي النحل ، ومثلها الفرس والبعير والأرنب والضبع وغيرها ، التذكير والتأنيث[٢٥] .

وهذا الموقف من الباحثة يدفعنا لمحاولة دراسة الاستخدامات اللغوية لبعض الألفاظ في ضوء العلم الحديث لنتعرف الفرق في الاستخدام بين اللغة والعلم . وهو فرق قد يكشف جوانب كثيرة من أسرار الآيات في نطاق التفسير مثلاً .

وإذا أردنا مثالا على هذا اللون من الدراسة المقارنة كان أمامنا لفظ **« الذرة »** .

فقد ذكرت المعاجم اللغوية أن الذرة هي واحدة الذر ، وهو صغار النمل . وقال **ثعلب** : إن مئات منها وزن حبة من شعير ، فكأنها جزء من مائة جزء من حبة الشعير . وقيل : الذرة ليس لها وزن ، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة[٢٦] .

وواضح أن غير هذا ما يعنيه العلم الحديث بالذرة التي لها وزن ، بل إن **الإلكترون** الذي هو جزء من الذرة له كتلة أو ثقل يبلغ نحو جزء من ١٨٣٨ جزءً من كتلة ذرة **الهيدروجين** ، أخف الذرات . والذرة نفسها جزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر الواحد ، وهو ما يعبّر عنه بـ **« الانجشتروم »**[٢٧] . وفرق هائل جدًا بين هذا الحجم وبين ما ذكره ثعلب آنفاً ، وغيره من علماء اللغة . وإذا عرفنا أن هذا الجسيم المتناهي في الصغر يتكوّن من جسيمات أخرى لها أحجامها وكتلها وأقطارها ، وهي **الإلكترون والبروتون والنيوترون** ، وهي اللبنات الثلاث التي بنيت منها الذرات ، وأن قطر الإلكترون يبلغ نحواً من جزء من ١٠٠,٠٠٠ جزء من قطر الذرة[٢٨] ، أقول : إذا عرفنا كل ذلك تبيّنًا الفرق الهائل بين الاستخدام اللغوي للذرة وبين الاستخدام العلمي لها . **وإذن فالاستخدام اللغوي قد لا يفي بالمعنى المقصود من بعض الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم ، ولا نقول الألفاظ التي كان العرب يستخدمونها ، وذلك لأنها تخضع لمفاهيمهم ومحمولاتها التي حددت لها ، وتوارثها العرب عن أسلافهم ، كما توارثناها نحن عنهم . أما ألفاظ القرآن الكريم فهي ، وإن اشتركت مع مثيلاتها عند العرب ، قد تحمل إشارات أخرى لا تدركها عقول الناس ، لأنها محدودة ، ومن هنا يتجدد الفهم لبعض الآيات جيلاً بعد جيل ، بفضل ما يمنّ الله عليهم من العلم والمعرفة .**

ولعل من هذا القبيل الألفاظ المستخدمة للدلالة على أفعال الخالق سبحانه من مثل الخلق والتسوية والنفخ والطين في قصة خلق **آدم عليه السلام** ، فهذه الألفاظ لا يمكن أن تفسر من خلال المعاني التي تعطيها لنا المعاجم اللغوية ، « لأن الأمر فيها يرجع إلى الكيفيات المجهولة التي نجزم بحقيقة واحدة منها ، وهي أنها « كيفية » منزهة عن مشابهة أعمال المخلوقين . . . فالمعلوم الذي لا خفاء به قطعاً أنها ليست تسوية باليدين على مثال تسوية المصورين الآدميين ، وأنها ليست نفخاً بالأفواه ، كما

بيت العنكبوت بين القدماء والمحدثين

ينفخ الإنسان الهواء في الطين أو غير الطين ، وأن الروح ليست بالروح الإنسانية ، وليست على أية حال بالكيفية المحدودة بالقواميس والمعاجم . . . كل ما يجوز أن نفهمه من معنى النفخ هو بث قوة الحياة في الطين »[٢٩] .

ولعل في هذا كله دلالة على اختلاف الاستخدام اللغوي عن الاستخدام القرآني لبعض الألفاظ ، وهو اختلاف قد يبطل ما ذهبت إليه الدكتورة بنت الشاطئ . فالتأنيث اللغوي إذن يختلف عن التأنيث البيولوجي ، ولا يمكن أن يكون هو المعنى الحقيقي المراد من استخدام القرآن له ؛ وأننا يجب أن نقبل ، أو على الأقل ، لا نرفض ما يقدمه العلم من معان جديدة تختلف عن المعاني التقليدية التي تحددها القواميس والمعاجم ، ووقف عند حدودها القدماء . ولعلنا نجد في اللغة كثيراً من الشواهد التي تثبت الفرق بين الاستخدام اللغوي والاستخدام العلمي أو البيولوجي ، إن صح التعبير ، ومن ذلك استخدام بعض الصيغ التي تدل على المذكر والمؤنث في آن واحد ، أو بحسب المصطلح اللغوي ، يستوي فيها التذكير والتأنيث . وهذا يستحيل أن يكون بيولوجياً بالنسبة لهذا الاستعمال اللغوي الخاص . ومن ذلك صيغة « فعول » ، أو ما كان من الصفات على فعول ، مثل : صبور وشكور ، نحو : رجل شكور ، وامرأة صبور . وكذلك صيغة « مفعال » ، مثل : امرأة مهذار ، للكثيرة الهذر ، وهو الهذيان وسقط الكلام ؛ وصيغة « مفْعيل » مثل : امرأة معطير ، إذا استعملت العطر أو الطيب . وكذلك صيغة « مِفعَل » ، مثل : مِغشم . حتى إن هذه الصفات إذا لحقتها تاء التأنيث لتدل على المؤنث ، فشاذ لا يقاس عليه . وكذلك صيغة « فَعيل » قد تكون بمعنى فاعل ، أو بمعنى مفعول ، فإذا كانت بمعنى فاعل لحقتها التاء في التأنيث ، وقد تحذف منه قليلاً ، كقوله تعالى **﴿ إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين ﴾**[٣٠] ؛ وإن كانت بمعنى مفعول تحذف منها التاء غالباً إذا تبع موصوفه ، نحو : امرأة جريح ، وعين كحيل . ومن هذه الأوزان التي تنوب عن مفعول : « فِعْل » بكسر فسكون ، مثل : ذِبْح وطِحْن . وكذلك « فَعَل » بفتحتين ، مثل : قَنَص وجَزَر وسَلَب ؛ وكذلك « فُعْلَة » بضم فسكون ، مثل : مُضْغَة وطُعْمة . وهذه الأوزان يستوي فيها المذكر والمؤنث ، وإن كانت سماعيّة وقليلة . ومن ذلك استخدام صيغة اسم الفاعل المذكر للمؤنث عند أمن اللبس ، مثل : حامل وشائل ومرضع وكاعب ومعصر ومغيل . فهذه استخدامات لغوية مذكرة لمؤنثات بيولوجية حقيقية . ومن جهة أخرى فقد حظي المذكر بعلامات التأنيث الثلاث على نحو ما نجد في : علاّمة وراوية وصرورة للذي لم يحج ، وهُمَزَة لُمَزَة ، ويوم ثلاثاء وأربعاء ، وزبعرى للسيّئ الخلق وجمل قبعثرى ، وغير ذلك كثير[٣١] . وهذا يعني أن ثمّ فرقاً كبيراً بين الاستخدام اللغوي وبين الحقيقة العلمية ؛ ولذلك يجب ألا يُحكَّم الاستخدامُ اللغوي في المعنى العلمي إذا ظهر ما يؤيّده ويدعمه ، كما في الآيات التي ذكرناها ، ومنها آية العنكبوت . فهذه إذن قضية الفرق بين حقيقة العلم ونظر الناس السطحي إلى الأشياء ، أو استخدامهم اللغوي البحت .

الهوامش

(١) سورة الواقعة ، الآيتان ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٤٧ .

(٣) سورة القيامة ، الآية ٤ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٢٥ .

(٥) انظر في تفسيرها مثلاً : الطبري ٢٦/٧ ـ ٣١ ، الكشاف ٤٩/٢ ، الفخر الرازي ، ١٧٧/١٣ ـ ١٨٣ ، وراجع تفسير الآيات السابقة في مواضعها من تلك التفاسير وغيرها ، خصوصاً آية القيامة : الطبري ١٧٥/٢٩ وما بعدها ، الكشاف ١٩٠/٤ ، الرازي ٢١٧/٣٠ ـ ٢١٨ .

(٦) راجع مثلاً : محمد جمال الدين الفندي : قصة السموات والأرض ١٣ ، الله والكون : ٢١١ ، ٢٢٧ ، من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ٧ ، عبد الرزاق نوفل : بين الدين والعلم ١٦٤ ، وغيرها في سورة الأنعام ، آية ١٢٥ . وانظر في آية القيامة : خالص جلبي كنجو : الطب محراب للإيمان ٢٦١/٢ ، ٣٠٦ . محمد أحمد الغمراوي : الإسلام في عصر العلم ٢٦٧ .

(٧) سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .

(٨) الطبري ، ١٥٢/٢٠ .

(٩) الكشاف ، ٢٠٦/٣ .

(١٠) الرازي ، ٦٨/٢٥ ـ ٦٩ .

(١١) فتح القدير ، ٢٠٤/٤ .

(١٢) في ظلال القرآن ٤١١/٦ .

(١٣) تفسير الجواهر ، ١٧/٢ .

(١٤) المصدر السابق ، ٤/١ .

(١٥) القرآن : محاولة لفهم عصري ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(١٦) سورة النحل ، الآية ٦٨ .

(١٧) سورة النمل ، الآية ١٨ .

(١٨) سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .

(١٩) سورة البقرة ، الآية ٢٦ .

(٢٠) بنت الشاطئ : القرآن وقضايا الإنسان ، ٣٥٩ ـ ٣٦١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ط٢ .

(٢١) ابن رشد : تلخيص الخطابة ، ٥٦٩ ، تحقيق محمد سليم سالم ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ابن الأنباري : كتاب البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ، تحقيق رمضان عبد التواب ، ص ٣٩ ، دار الكتب ، ١٩٧٠م .

(٢٢) انظر رأي « بروكلمان » في كتاب « البلغة » السابق ، ٤٠ .

(٢٣) البلغة : المقدمة ، ٤١ .

(٢٤) الموسوعة العربية الميسرة : مواد : نملة ، نحلة ، بعوضة ، عنكبوت .

(٢٥) البلغة ، ٦٧ ، ٧٤ ، وانظر كتاب مُحمد الخضر التونسي : الإمتاع فيما يتوقف تأنيثه على السماع ، وكتاب « المذكر والمؤنث » للفراء والمبرد .

(٢٦) اللسان : مادة « ذرر » .

(٢٧) الانجشتروم هي وحدة قياس المسافات الدقيقة كالذرة ، وسميت باسم عالم سويدي ابتدعها هو اندرز جونز انجشتروم (١٨١٤ ـ ١٨٧٤م) ، تخليداً لذكراه .

(٢٨) أحمد زكي : مع الله في السماء ٢٠١ ـ ٢٠٤ ، دار الهلال .

(٢٩) موسوعة العقاد الإسلامية ، ٤٥٣/٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ .

(٣٠) سورة الأعراف ، الآية ٥٦ .

(٣١) البلغة ، ٥٠ ، وغيره من كتب النحو .



تأليف: إدوارد إجناز، رايموند كورسيني

عرض وتحليل: ياسر الفهد

النظم التربوية البديلة

هناك شعور عام، في الأقطار المتقدمة والنامية، على السواء، بأن طرق التعليم التقليدية لم تعد قادرة على مواجهة متغيرات العصر، والإيفاء، بصورة كاملة، بجميع الحاجات التعليمية للمتعلمين، وأن الضرورة باتت تقضي بتعديلها أو استبدالها، ومن هنا تأتي أهمية الكتاب الجديد (النظم التربوية البديلة) لمؤلفيه (إدوار إجناز) و (رايموند كورسيني)، الذي صدر عام ١٩٨١م، باللغة الإنجليزية، في الولايات المتحدة الأميركية.

ومن المتعارف عليه، حديثاً أن مفهوم بديل (alternative) لا يعني الاستعاضة بنظم بديلة عن النظم القديمة، وإنما الاحتفاظ بها، أو العودة إليها، بطرق جديدة، أما في هذا الكتاب، فإن المقصود هو البديل الجوهري عن نظام التعليم التقليدي.

التربية التقليدية

يبدأ المؤلفان بإلقاء الأضواء على خصائص طرق التعليم التقليدية المطبقة في معظم دول العالم، منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر وحتى اليوم. ويمكن إيجاز الخصائص التي يركزان عليها بما يلي:

أ ــ ارتباط التلاميذ بالدوام في المدارس، ضمن مناطق جغرافية محددة.

ب ــ دخولهم المدرسة في أعمار معينة.

جـ ــ انتقالهم من صف إلى صف، كل عام.

د ــ التزامهم بمراعاة معايير سلوكية مقررة سابقاً.

هـ ــ الأستاذ هو الذي يقوم بالدور الرئيسي في التعليم وفق مناهج محددة سلفاً.

و ــ الترفيع من صف إلى صف، يتم بالاستناد إلى حكم الأستاذ.

ز ــ المناهج تتركز حول المواد التقليدية.

ح ــ الوسائل التعليمية الأكثر شيوعاً هي الكتب المدرسية.

ومن جهة ثانية فإن النظام التقليدي يعتمد على افتراضات لم تثبت صحتها بعد. ومن هذه الافتراضات أن هناك كمية كبيرة من المعلومات والمهارات التي يجب على الأطفال أن يتعلموها، وأن الغالبية العظمى من الأطفال تستطيع تعلم هذه الأشياء بشكل أفضل في المدرسة، وأن هؤلاء يتعلمون بسرعة أكبر عندما يوضعون في صفوف متدرجة، تبعاً لأعمارهم. ويشير المؤلفان إلى أن الجمهور بصورة عامة قد بدأ يفقد حماسه تجاه المدارس التقليدية، وإن كان كثير من الآباء ما زالوا يولونها الثقة. ولكن الجميع، دون استثناء، يشعرون بالحاجة الماسة إلى إصلاح أساليب التعليم التي لا تكاد تنطوي على أية نظرية ثابتة، وتقوم على مبدأ إن ما يقوله المعلم هو الأساس.

ويشير الكتاب إلى أنه قد جرت محاولات كثيرة للإصلاح في القرن العشرين. ومن ذلك خطة دالتون وخطة ونتكا وخطة جاري، ولكنها جميعاً منيت بالإخفاق، ولم تستطع الصمود أمام تجربة التطبيق العملي. ولكن هناك طرقاً أخرى أحرزت بعض النجاح، وكثير منها ما زال يُستخدم في هذا القطر، أو ذاك، بنسب متفاوتة من الانتشار، وهي ما يطلق عليها الكتاب اسم (النظم التربوية البديلة)، وهي:

أ ــ التربية الموجهة فردياً Individually guided education: وهي تمثل طريقة موجهة وشاملة لتنظيم بيئة التعليم، في المدرسة



أو المحيط الاجتماعي. وعلى الرغم من أن التأكيد فيها ينصب على دور المعلم، إلا أنها تهتم أيضاً بأدوار الآباء وأعضاء الهيئة التدريسية جميعهم.

وتتضمن الطريقة الجديدة، وهي قابلة للتطبيق في جميع المناهج، سلسلة من العمليات الهادفة إلى تفريد برامج التعليم بشكل نسبي. وهذا يعني تدريس الطلاب في مجموعات صغيرة، لا تدريسهم فرداً فرداً.

وتوفر التربية الموجهة فردياً الفرصة أمام التلاميذ لعمل ما يودون القيام به، وتجعلهم مسؤولين إلى حد ما عن اتخاذ القرارات بشأن تعلمهم. وبتعبير آخر، فإنها تشكل وسيلة للسيطرة على عدة عناصر في البيئة التعليمية، بهدف جعلها ملائمة لوسائل التعليم. وهي تقوم على افتراض أن التعلم يتحسن عندما يقترن إعطاء المعلومات الأساسية بالتطبيق العملي، وكذلك عندما تكون **التغذية الراجعة** Feedback المتعلقة بالتعلم فورية.

ويبين المؤلفان أن هناك اليوم أكثر من ألفي مدرسة تستعمل هذه الطريقة التي تفتح المنافذ أمام تغيير التعليم التقليدي.

ب ـ التربية المفتوحة open education : ليس هناك تعريف حاسم لهذا النوع من التعليم لأن الأمر يختلف فيه، من الناحية العملية بين أستاذ وآخر، إلا أن من سماته الثابتة المرونة والحرية في استخدام المكان، وكذلك تنوع نشاطات التلاميذ، وتغطيتها الجوانب الدراسية واليدوية معاً، وجعلها تنبع من توجهات الأطفال أنفسهم، أكثر مما تنشأ عن توجيه الراشدين لهم. يضاف إلى ذلك أن مدى المواد في التربية المفتوحة أوسع بكثير من مدى مواد الصف التقليدي. أما بالنسبة للدوام المدرسي اليومي فإنه مرن وغير ثابت، ومن جهة ثانية، فإن التفاعل بين الأطفال والمعلمين يثيره الأطفال والمعلمون معاً، لا المعلمون وحدهم.

وتؤكد هذه التربية وجوب توافر التنسيق بين أهداف التربية والحياة اليومية في المدرسة، وكذلك بين الحياة داخل المدرسة وخارجها، كما تشدد على الديمقراطية وحرية التلميذ وضرورة معاملة الفرد باحترام وكرامة. وفي التربية المفتوحة نجد أن اهتمامات التلاميذ هي التي تشكل أساس المناهج. أما دور الأساتذة فيتجلى في إيجاد الفرص لتعلم الخبرات ومراقبة التلاميذ داخل المدرسة وخارجها، واكتشاف اهتماماتهم وطبيعة استجاباتهم.

ج ـ نظام مونتيسوري Montessori system : التربية بالنسبة لمونتيسوري نظام يوفر للطفل كل ما هو مناسب له في بيئة ملائمة محرضة، يتم في رحابها التعليم بواسطة الاكتشاف، ولا مكان فيها للمكافأة والعقاب، وفي رأي هذه العالمة التربوية أن الأستاذ لا يعدو كونه أكثر من مفتاح يقوم بدور الحافز المشجع (Catalyst) وأن كل طفل يملك روحاً ديناميكية داخلية تعبر عن نفسها في البيئة المواتية، بشكل رغبة في التعلم، وهذه الرغبة موجودة أصلاً عند الطفل منذ ولادته. وتؤكد **ماريا مونتيسوري** ضرورة ملاحظة هذا الحافز الداخلي، وتوفير البيئة المشجعة له. وهي تعتقد أن الطفل يستطيع تطوير نفسه ضمن الإطار الاجتماعي المناسب. لذلك ينبغي جعله مسؤولا عن بناء ذاته وتقرير طبيعة برامج تعلمه ومحتواها.

وقد لاقت هذه الطريقة انتقادات عديدة، ويعدّها بعضهم بسيطة ومثالية أكثر من اللازم، ولكن هذا لم يمنع انتشارها في كثير من بقاع العالم.

د ـ التعليم الفردي Individualised education : ونجد الأصول الأولى لهذا التعليم في الأنموذج الديمقراطي للإنسان، الذي ورد في كتاب (علم النفس الفردي) **لأدلر**.

ويدعو نظام التعليم الفردي إلى المساواة الكاملة في الموقف التعليمي المدرسي، بين الآباء والأطفال والجهاز التدريسي، وفيه يقدم الراشدون التسهيلات والخدمات (بما في ذلك التعليم والتوجيه)، دون أن يكون لهم الحق في حث التلاميذ على الدراسة بالمكافأة والعقاب، في حين يبقى لهؤلاء التلاميذ الحق في أن يتعلموا أو لا يتعلموا. أما المناهج فتضم مواداً نظرية ونشاطات اجتماعية ودورات إبداعية. وقد أثبتت الدراسات نجاح هذا النوع من التعليم، فالتلاميذ بموجبه يتعلمون المواد النظرية بمدة أقل، ويصبحون أكثر تهيؤاً للحياة، وتغدو حياتهم المنزلية أكثر سعادة. إنه أسلوب يهدف إلى إرضاء الوالدين وخدمة المجتمع وحفز قدرات التلاميذ إلى حدودها القصوى، وإلى جعلهم أكثر شعوراً بالمسؤولية.

هـ ـ النماذج العلاجية النفسية psychotherapeutic education : وهي تتضمن عدة طرق لمساعدة الطلاب على مساعدة

أنفسهم على التعلم، اعتماداً على أساس الحب والتفاهم بدلا من التقسير وإثارة حافز المتعة عوضاً عن التهديد به، وبعض هذه الطرق ما يساعد على التكيف الاجتماعي والوقاية من الإصابة بالاضطرابات السلوكية والعاطفية، ومن بينها **طريقة التربية الواقعية** Reality education التي تعلم التلاميذ كيف يغيرون سلوكهم، حتى يصبحوا قادرين على تلبية مستلزماتهم، وذلك انطلاقاً من القناعة بأن تعاسة الناس إنما تنشأ بصورة رئيسية عن عدم قدرتهم على سد حاجاتهم.

و ـ **التربية السلوكية** behavioutal education : وتدور هذه الطريقة حول ثلاثة محاور:

(١) **التلميذ**: وما يجب أن يتعلم فعله.

(٢) **الأستاذ**: الذي يوجه أفعال التلاميذ.

(٣) **البيئة الصفية**: وهي تركز على تحليل المواقف التي يُظهر فيها التلاميذ سلوكيات جديدة. وهذا التحليل يتضمن: سلوك التلاميذ، وأفعال الأساتذة الموافقة لها، ومظاهر البيئة التي يقع فيها السلوك الجديد.

ويعتقد مؤلفا الكتاب أن الطرية السلوكية في التربية لم تحرز نجاحاً كافياً، لأن العلماء السلوكيين ليسوا، أصلاً، مربين، وإنما علماء نفس. وقد تكون السلوكية وسيلة لحفز الفكر، ولكنها لا تصلح أساساً يُعتمد عليه في صفوف المدارس.

وهكذا تنتهي الفصول الخاصة بالطرق التربوية الجديدة التي تستعمل الآن في بعض دول العالم لتكون بديلة، في المستقبل، عن طريق التعليم التقليدية. وسوف يثبت الزمن مدى نجاعة الطرق الجديدة، وما إذا كانت حقاً مؤهلة لتحل محل النظام التربوي الحالي المطبق في معظم دول العالم.

التربية والمستقبل

وينتقل بنا الكتاب بعد ذلك إلى فصل خاص عن المستقبل وعلومه، في نطاق البحث عن مستقبل التربية. ويشدد المؤلفان على ضرورة إجراء أبحاث حول الاتجاهات المستقبلية للتربية، تقوم على العقلانية والعلمية. إن التربية أداة هامة لصنع المستقبل، وكثير من المشكلات الاجتماعية يمكن حلها بتطوير التربية، وتعد المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى بمثابة مختبرات يتم فيها اختبار أساليب مواجهة حاجات المجتمعات المتغيرة. وعلى الرغم من أن المؤلفينْ لا ينكران بأن المدارس في الوقت الحاضر، لا تخلق الثقافة بقدر ما تعكسها، فإنهما يأملان أن تتمكن هذه من أداء دور هام في تكييف القرارات الاجتماعية المختلفة التي سيتخذها المربون في المستقبل.

وفي محاولة معرفة المستقبل وتحديد مساراته واتجاهاته المحتملة، يذكر الكتاب عدة طرق للوصول إلى ذلك:

○○ **التنبؤ الأفقي** linear projection : وتقوم هذه الوسيلة على أساس توقع الاتجاهات، عندما نفترض أن المستقبل سيكون شبيهاً بالماضي، من عدة وجوه.

○○ **الاستقراء الجدلي** dialectical extrapolation : ويعني التحرك من البيانات المعطاة إلى إطلاق الأحكام المنطقية بشأن المستقبل، أي أنه يعتمد على الاستنتاج من الوقائع.

○○ وهناك مفهوم حديث قاد إلى تطويره، البحث عن نظم بديلة في التربية، ونقصد به مفهوم **التأثير العرضاني** cross influ-ence وهو لا يرمي إلى تفحص البدائل المستقبلية في التربية فحسب، وإنما أيضاً سبر التطورات التي تقع في المجالات الأخرى التي لها تأثير في التربية، كالفيزياء والكيمياء الحيوية.

ويتناول الكتاب المشكلات التي تعيق التوقع الصحيح في شتى المجالات، ويذكر أمثلة تاريخية على توقعات لم تتحقق، ومنها ما يتعلق بالحادثة التاريخية المعروفة المتعلقة باكتشاف **كولومبوس** لأميريكا. وكان مستشارو ملك إسبانيا قد أجمعوا على أنه من المستحيل على كولومبوس أن يقوم برحلته، فجاء الواقع مغايراً لما توقعوا.

توقعات تربوية

على الرغم من صعوبة التوقع في بعض الحالات، فإن المؤلفينْ يقدمان عدة توقعات، بشأن مستقبل التربية، مبنية على معطيات وبيانات محددة، وتدور هذه التوقعات في مدارات أربعة، هي: أ ـ الهدف، ب ـ البنية، جـ ـ الإجراء، د ـ المناهج.

ففي مجال **الهدف**، سيكون هناك وضوح أكبر في الأهداف التربوية، كما سيجرى إعادة تقييم للمطامح التربوية والاجتماعية.

أما في **المجال البنيوي**، فيتوقع المؤلفان بأن التضخم المالي سيؤدي إلى رفع تكاليف التعليم، كما أن التفجر السكاني وارتفاع

أعداد المتعلمين سيقودان إلى زيادة المسؤوليات الملقاة على كاهل المؤسسات التربوية، ولا سيما أن **دراسة الطفل يتوقع أن تبدأ، في المستقبل، في سن أبكر من سن القبول الوسطية الحالية، وربما يكون ذلك في سن الثالثة**. ومن التوقعات الأخرى تحسن الرعاية الصحية للتلاميذ، وسوف يتجلى ذلك في مظاهر عديدة، منها إمكانية اختبار حالة الطفل قبل ولادته، ومنها كذلك تقديم خدمات اجتماعية له في سن الثانية. وهذا طبعاً سينطبق على الدول المتقدمة أكثر من انطباقه على الدول الأخرى.

ويتوقع الكتاب أيضاً بأن التعليم سوف يميل نحو التفريد، أي نحو أخذ حالة كل تلميذ على حدة، كما سيحدث توسع في تعليم الكبار، إلى جانب التوسع في التعليم الأساسي.

وفي المجال (الإجرائي) سيكون هناك تركيز على **(كيف نعلم؟)**، وليس فقط على **(ماذا نعلم؟)**. وسوف ينصب التأكيد على الخبرات الخاصة للتلميذ، فقد أثبتت التجارب أن التلاميذ يتعلمون بشكل أفضل، عندما يقومون هم أنفسهم بتوجيه خبراتهم، ولو جزئياً، بدلا من أن تكون هذه الخبرات مفروضة عليهم من الخارج.

ويعتقد المؤلفان أن مدارس القرن الواحد والعشرين، لن تكون صيدليات للحقائق أو مستودعات للأجوبة، بل إن التلاميذ سيكون لهم أدوارهم، وسيجري تشجيعهم على طرح الأسئلة والانغماس في عملية استكشاف المشكلات. أما النجاح والفشل الدراسيان، فسوف يُقاسان بمقدار التحصيل الفردي، وحسب وضع كل تلميذ، لا بالمقارنة مع الآخرين.

أما في مجال المناهج، فسوف تزداد أهمية مهارات الاتصال الرئيسة، كالقدرة على التعامل مع الكلمة المنطوقة والمدونة، وسيتم تعليم التلاميذ كيفية اتخاذ القرارات وتحديد نوع المعلومات التي يحتاجونها، حتى يصبحوا قادرين على اتباع الخيارات المنطقية، وسينطبق ذلك بصورة خاصة في المجال المهني، إذ إن الطالب سوف يُدرَّب على اتخاذ القرار، بشأن المهنة التي تناسبه.

ويتوقع المؤلفان أيضاً، بتزايد الاهتمام بالبيئة ومشكلاتها، وبالأخطار التي تهدد مستقبل الإنسان والأرض، وبدراسة طرق إعادة التوازن بين المخلوقات والبيئة، وهذا ما يشار إليه **بالتعليم** البيئي. كما سيكون هناك تأكيد على فن نقل الأفكار بوضوح، وعلى تنمية القدرة على تحليل ما يُرى ويُسمع ويُقرأ في مجتمع غني برموز اللغة. وبعد ذلك يتناول المؤلفان المشكلات التي يتوقع أن تواجه التربية في المستقبل، ومنها:

★★ **البحث عن الحافز**: إن الطلاب المعوقين وغير الموهوبين، لن يجدوا في المستقبل، في رأي المؤلفيْن، حوافز كافية تدفعهم إلى حث الخطى والتحمس للتعليم، لأن قوانين الضمان الاجتماعي في الدول المتقدمة ستوفر للمعوقين والعجزة كل شيء تقريباً في المستقبل. ومن جهة ثانية، فإن الطلاب الموهوبين سيدركون بأن المجتمع سوف يصل بعد عشرين سنة إلى الحدود القصوى للنمو، بحيث لن يعود هناك مجال لمزيد من البذخ والرفاهية. وهكذا فإن المؤلفيْن يعتقدان أن على المربين أن يجدوا مصادر تشجيعية جديدة لحفز الشباب على الالتحاق بموكب التعليم.

★★ **غموض مغزى تكافؤ الفرص**: يشير الكتاب إلى وجود التباس بشأن حقيقة العدالة والمساواة المطلوبين في التعليم، ويتساءل عما إذا كان هذا يعني، مثلاً، أن يقوم تكافؤ فرص في الدراسة، بين المعوقين والموهوبين، وما إذا كان يتوجب على المجتمع ذي الموارد المحدودة أن يوفر التعليم لجميع المعوقين!

وهكذا، فإن هناك حاجة لإعادة النظر في المغزى الحقيقي لتكافؤ الفرص التعليمية، وهذا يشكل أحد التحديات التي تواجه تربية المستقبل.

★★ **تحديث التعليم**: إن قدراً من المعلومات التي يكتسبها الطلاب تصبح قاصرة مع الزمن عن مجاراة اتجاهات المستقبل، فلا بد والحال كذلك من الجمع بين اكتساب الطالب الأفكار والمفاهيم، وبين تعرفه الاستراتيجيات اللازمة لجعله قادراً على العيش والتكيف في فترة التغير الاجتماعي. إن المعارف تتجدد، والمعلومات تتشعب باستمرار، والتطورات العلمية تتتابع دون انقطاع، والتحدي الكبير يتمثل بإيجاد نوع من التعليم قادر على مواجهة هذا ا لوضع المتغير.

تعقيب

بعد أن اطلعنا على معظم الخطوط الرئيسية في كتاب (النظم التربوية البديلة)، نود تقديم الملاحظات التالية:

(١) لقد ترجمنا كلمة (Education) في هذا الكتاب، ترجمة

حرفية ونقلناها إلى العربية بمعنى (تربية)، مع أن معناها هنا بالذات، أقرب إلى التعليم منه إلى التربية. فالمطلوب اليوم نظم جديدة في التعليم، دون أن يستدعي ذلك بالضرورة تغيير مماثل في المبادئ والأسس التربوية العامة.

(٢) إن الطرق البديلة التي أوردها الكتاب، يمكن تطبيقها، في الوقت الحاضر، أو في المستقبل القريب، في الدول المتقدمة. أما في الدول النامية، فإن الإمكانات المتاحة، المالية منها والفنية، لا تسمح بتطبيقها الآن أو غداً، إلا بصورة جزئية محدودة. وسيمر وقت طويل قبل أن يصبح تنفيذها، على نطاق واسع، ممكناً.

وعلى كل حال، فإن كثيراً من المبادئ والأسس التي تتضمنها النظم المقترحة، يمكن الاستفادة منها على الفور في مدارسنا.

(٣) لم يضع الكتاب، من بين الطرق البديلة، طريقة واحدة أحرزت نجاحاً كاملاً، ولو كانت هناك مثل هذه الطريقة، لحلت تدريجيًا محل النظام التقليدي. لذلك نستطيع القول إن طرق التعليم التقليدية ما زالت لها اليد الطولى حتى الآن.

(٤) إن أي نظام بديل ناجح في المستقبل، لا بد أن يفيد من مزايا جميع الطرق البديلة المعروضة والمقترحة اليوم، وكذلك من مزايا النظام التقليدي نفسه. ويبدو لنا أن من أهم هذه المزايا:

أ ــ أن يركز النظام الجديد على عنصر الفهم والإدراك، بدلا من حشو ذاكرة التلميذ بكميات كبيرة من المعلومات.

ب ــ أن يكتفي التلميذ، في مرحلة ما قبل التخصص، بالمعلومات العامة والمعارف الأساسية التي تقتصر على الخطوط الكبرى دون التفصيلات الدقيقة التي تشكل عبئاً على ذاكرته، دون أن تعلق في ذهنه لفترة طويلة. وعندما يبدأ هذا مرحلة التخصص يمكن حينئذ أن يوغل عميقاً في التفصيلات المتعلقة بتخصصه. وبتعبير آخر، فإن المعلومات المعطاة للتلميذ ينبغي أن ترتبط بما يحتاجه فعلاً في حياته الدراسية والعملية، ومن الخطأ اتخامه بتفصيلات غير هامة على حساب الحقائق الجوهرية.

جـ ــ يجب الاهتمام بعناصر الحرية والمتعة والاختيار اهتماماً بالغاً، فالطفل يتعلم بشكل أفضل عندما يستمتع بمادة الدراسة ويكون حرًا في اختيارها.

د ــ لا بد من إدخال العمل اليدوي والتطبيق العملي، على نطاق واسع، إلى جانب التعليم النظري، في أية طريقة تعليمية بديلة.

(٥) علينا أن نعمل، ما أمكن، على إلغاء القيود الزمنية في الدراسة، بحيث يستطيع الطالب الموهوب أو المتفوق اجتياز الصفوف حسب مقدرته الخاصة، دون عوائق زمنية، وكذلك الأمر بالنسبة للطالب المتأخر دراسياً، والذي ينبغي أن يبقى في صفه، حتى إتقان مواد دراسته، وإلى أن يغدو قادراً على الانتقال إلى الصف التالي، دون أن يعد ذلك رسوباً.

(٦) لقد أشار الكتاب إلى بعض الأسباب التي تضعف ميل التلاميذ إلى التعليم في الدول المتقدمة. ويبدو لنا أن هذه الأسباب غير كافية، وتكتنفها بعض الشكوك. وعلى كل حال، فهي غير قائمة في الدول النامية، ومنها **الدول العربية**، بسبب اختلاف ظروفها. وفي هذه الدول مشكلة من نوع آخر تتعلق بالحافز، ولم يأت المؤلفان على ذكرها. ونقصد بها مشكلة تردي المردود المادي للعمل الفكري، بالقياس إلى مردود العمل اليدوي. وهذا العامل يعد في رأينا من بين أهم التحديات التي تواجه تربية المستقبل.

يوجد اليوم الكثيرون من أصحاب الأعمال اليدوية البسيطة كالجزارين والبقالين والنجارين وسماسرة العقارات، ومعظمهم أميون يفتقرون إلى القدرة على القراءة والكتابة، يكسبون أجوراً عالية جدًا تفوق بدرجة كبيرة أجور حملة الماجستير والدكتوراه، ممن وصلوا آناء الليل بأطراف النهار وقضوا السنوات العجاف موغلين في بطون الكتب، سعياً وراء العلم والمعرفة.. فأي حافز سيجد الآباء لإرسال أطفالهم إلى المدارس، في ضوء هذا الوضع الشاذ العجيب؟ وكيف سيتحمسون لتعليم أبنائهم في ظل الخوف على مستقبلهم المادي والمعاشي؟!

صحيح أننا جميعاً ننادي بمبدأ العلم من أجل العلم، إلا أن الضغوط المادية والمعاشية في حياتنا المعاصرة، تجعل بعض الناس يفضلون تدريب أبنائهم على بعض الحرف اليدوية، منذ صغرهم، بدلا من إرسالهم إلى المدارس. وهذه حقيقة لا نستطيع نكرانها.

إن مشكلة تدني أجور العاملين في حقل العلم والفكر لا يمكن أن يحلها المربون، بالطبع، وإن كان من واجبهم المناداة بحلها، ولكن الدولة والمجتمع برمته هما المسؤولان عن ذلك. وصحيح أن الطريق إلى الوصول إلى سلم جديد للأجور، يعيد للعمل الفكري قيمته الحقيقية، هو طريق طويل وشاق جدًا، إلا أنه لا بد من عمل كل ما يمكن للبدء في السير فيه، خدمة لمستقبل التربية والعلم والثقافة.

الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ

تأليف : د. عبد الهادي التازي ○ عرض وتقديم : أحمد المكينسي

يعكف **الدكتور عبد الهادي التازي** على وضع موسوعة عن تاريخ المغرب الدبلوماسي ، تقع في عدة مجلدات . وفي هذا الإطار ، صدر لهذا الباحث المغربي كتاب جديد بعنوان **« الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ »**[1] ، يتطرق ـ لأول مرة ـ إلى موضوع غني وظريف ، لا يستغني عنه المؤرخ والأديب والدبلوماسي .

وقد استهدف المؤلف من كتابه هذا ، الحديث عن نوع خاص من المخاطبات ، ويتعلق الأمر بالرسائل التي كانت تكتب بواسطة الرموز والأشكال المتفق عليها بين المرسل والمرسل إليه ، وتقرأ أيضاً حسب ذلك المتفق عليه ، أي « التعمية وكشف المعمي » ، أي ما يعرف في لغة العصر الحاضر باسم **« الشيفرة »**[2] .

يتضمن الكتاب إلى جانب التقديم موضوعات متعددة منها :

« رسم للحروف الداودية ، الرمز عن طريق الحرف ، طريقة السفير ابن الدريهم ، نماذج القلقشندي ، الرموز عن طريق الكتابة ، كتمان السر عن طريق المادة المكتوب بها ، حول إهمال ابن خلدون ، فواتح السور في القرآن الكريم ، استعمال الشيفرة بديار المغرب أيام الأدارسة ـ أيام المرابطين والموحدين ـ عهد بن مرين ، الكتابة السرية على عهد السعديين ، الكتابة السرية على عهد العلويين ، الخط الفاسي أو القلم الروحي ، وثيقة مغربية ترجع لبداية القرن .

ويورد صاحب الكتاب أن جانب الكتابة السرية من الجوانب المشرفة في تاريخ الدبلوماسية المغربية القديمة ، وأنه تقليد متوارث له أصول تضرب في جذور التاريخ .

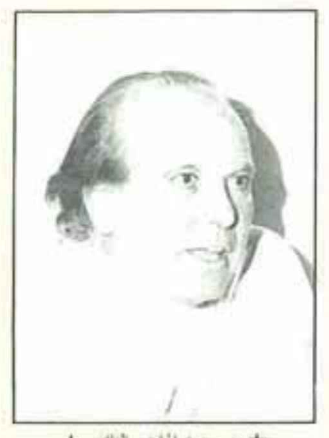
لقد فكر الإنسان قبل مئات السنين ، إن لم أقل قبل آلاف السنين ، في طريقة لنقل المعلومات منه إلى من يريد أن تقتصر عليه تلك المعلومات ، فسمعنا عن حالات معينة **للإغريق والرومان والفرس والصين والمصريين القدامى** . . ولكن كل ذلك لا يعدو أن يكون « حالات » ، لم تتبع بدراسات تحليلية . . . ولقد كانت الجهة المتميزة التي مارست هذا النوع وأعطته ما يستحقه هي الجهة العربية ؛ **فالعرب كانوا هم السباقين الذين وضعوا الأسس الأولى للترميز والتعمية ، وقدموا أمثلة حيَّة لما سنّوه من قواعد .**

ويضيف الدكتور التازي قائلاً : « لقد انطلقت الأمة العربية منذ ظهور معجزة الإسلام عبر الجزيرة العربية ، في اتجاه هذا العالم الفسيح الأرجاء ، بين **سمرقند والمغرب ، عبر أرض الشام وآفاق العراق وفارس ومصر والأندلس ،** وكان عليها أن تلتقي مع عدد كبير من التيارات والحضارات ، علاوة على ما كان يتوفر عليه لسانها من غنى وبذخ ، ويتوفر عليه خيالها من صفاء وعطاء ، وكل هذا ضاعف من الحاجة إلى اتباع وسائل للمخاطبات السرية لبلوغ الأهداف » .

وقد تحدث **ابن النديم** في فهرسته عن **أبي بكر أحمد بن علي الوحشية**[3] ، الذي ألَّف كتاباً حول « ألفبائية سرية » بعنوان **« شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام »** .

ويذكر الدكتور التازي ضمن النماذج العربية ، أبا بكر محمد بن يحيى الصولي[4] في مؤلفه « **أدب الكاتب** » الذي يخص هذا النوع من **الكتابة المعماة** بتعبير فارسي هو كلمة « **الترجمة** » أي « الكتابة بالإشارة » ، وليست الترجمة تعني نقل الكلام المعمي ، وذلك مثل أن يطلق على الألف ؛ فاختة ، والياء ؛ صقراً ، والتاء ؛ عصفوراً ، وهكذا دواليك ، وربما جعلت أمام كل حرف من حروف الهجاء التسعة والعشرين منزلة من منازل القمر التي تصل هذا العدد ، ويجعل القمر نفسه تماماً للتسعة والعشرين ، فإذا أردت أن تكتب « أنا » تكتب الشرطين : سعد الأجنبية ـ الشرطين ، فإذا أردت أن تتبعها بقولك ف ـ ج كتبت : الذراع ـ الشرطين ـ الجبهة ـ الهفقة ، فإذا أردت أن تتبعها بكلمة « إليك » ، كتبت : الشرطين ـ سعد بلع ـ القمر ـ سعد الذابح . . وهكذا .

وهناك من المفكرين كذلك **حمزة بن الحسين الأصفهاني**[5] صاحب كتاب « التنبيه على حدوث التصحيف » ، **والحسن بن عبد الله بن سهل العسكري**[6] الذي أسهم هو الآخر في هذا الموضوع بكتابه « ديوان المعاني والنظم والنثر » ، وأخيراً ، يثير المؤلف الانتباه إلى **أبي الحسن إسحاق بن وهب** (القرن الرابع الهجري) الذي أفرد حيِّزاً خاصاً بـ « **الكتابة الباطنة** » ضمن تأليفه « **البرهان في وجوه البيان** » .



★ د . عبد الهادي التازي ★

ويرى الدكتور التازي أن **الأصفهاني** الذي أشرنا إليه مقدماً ، من أقدم من تكلم في استخراج المعميات أو المضمرات . وقد خصص في كتابه المشار إليه آنفاً باباً بكامله لطريقة استخراج المخاطبات بالإشارة ، وهو يبدأ بتقديم أمثلة من الكلام الشعري المعمي ، حيث يحملك على ضبط أوزان الشعر أولا قبل أن يأخذ في إحصاء حروف بالحذق والذوق حتى تقف على جنس الوزن . . والأصفهاني يعتمد أيضاً على التعبير عن الحروف بأسماء لطيور يختارها الإنسان . . « فإذا وجدت غراباً يتكرر مع عصفورة ، وعصفورة تتكرر مع غراب علمت أن أحدهما ألف والآخر لام . . إلخ » ، ولا نقصد بعض الحروف بالتدبير دون البعض ، فإنك إن فعلت ذلك طال عناؤك ، وانتقض عليك تدبيرك ، وليس يخرج شيء من الكلام العربي عن تأليف الحروف الثمانية والعشرين . . « وربما دبرت البيت المعمي ، وساعدتك الحروف على ما ترسمها به ، وارتج عليك فيه حرف واحد فيضطرك ذلك الحرف إلى نقض ما دبرته واستئناف تدبير ثان . . إن الفكر يهجم على الحقيقة إن آثرت الصبر عليه » .

بعد هذا التذكير من طرف صاحب الكتاب بالاهتمام العربي بالترميز والتعمية وإعطاء أمثلة عن ذلك يتناول الدكتور التازي « **الحرف الداودي** » ، الذي كتب بشأنه يقول : « . . وهكذا فحوالي سنة (٤٦٨ هـ ـ ١٠٧٦ م) ، وجدنا تقييداً يتعلق بالسحر ، وكان يرمز لبعض الكلمات مثل « **أشيون** » بواسطة الحروف الداودية ، التي تحمل أحياناً اسم : الحرف الريحاني » .

إثر ذلك يقوم المؤلف بالتمييز بين صنفين من الرمز ؛ **الرمز عن طريق الحرف ، والرمز عن طريق الكتابة :**

★ نموذج الصنف الأول ، يمثله تيار **الوزير أبي القاسم جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن شيث** ، المتوفى عام ٦٣٥ هـ ـ ١٣٢٨ م .

★ أما نموذج الصنف الثاني فيمثله **الكلاعي**[7] الذي خصص فصلاً بكامله في كتابه : « **احكام صنعة الكلام** » ، للحديث عما سماه « **بالموري** » لأن باطنه على غير ظاهره ، حيث ذكر أن منه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لعجوز : « إن الجنة لا تدخلها عجوز » ، يريد أنهن

يعدن شواب ، وقال صلى الله عليه وسلم لأخرى : « أزوجك هو الذي في عينه بياض ؟ » ، يريد ما حول الحدقة .

بيد أنه رغم هذا التعدد في أصناف الرمز يرى التازي أن ما يمس بصلة أكثر إلى ما يصطلح عليه اليوم باسم « الشيفرة » ، هو ما تصدى له بالدراسة والتطبيق سفير وأديب موصلي معروف هو **أبو الحسن تاج الدين علي بن محمد بن عبد العزيز بن الدريهم .**

أما عن الاهتمام المغربي ، فقد ظهر ذلك جلياً لدى الدولة المرابطية والموحدية والمرينية والسعدية ، وكذلك الحال بالنسبة للدولة العلوية ، وهنا يورد التازي مثالا في الموضوع عن « القلم الفاسي » الذي ابتكر واستعمل لهدفين اثنين :

● **أولا :** الاختصار بحيث يمكن تقليص مساحة الورق لإجمال ما تحصل في شكل أو شكلين على نحو ما نجده في[8] .

● **ثانياً :** تعمد تعمية الأسرار على العامة في الميراث .

هذه المقدمة تعتبر بمثابة تمهيد قام به صاحب الكتاب لدراسة الوثيقة المغربية بهذا الشأن التي احتفظت بها خزائن بعض الموظفين السامين ، الذين انتظموا في سلك الدولة منذ النصف الثاني من القرن الماضي ، والتي تقدم في الحقيقة صورة عن مناهج المخاطبات بالأشكال والرموز في الفترات الماضية ، لقد أنجزت هذه الوثيقة في وقت وشيك على توقيع معاهدة الحماية[9] ؛ وهي تعطينا فكرة عن إدارة المغرب آنذاك والدول التي كان يتعامل معها آنذاك ، والدكتور التازي يفيض كثيراً في عرض الظروف التي كانت تحيط بالمغرب ، في تلك الفترة ، وظروف كتابة هذه الوثيقة ، تمهيداً لعرضها كنموذج للمراسلات السرية المغربية . وأخيراً ، يلحق المؤلف بهذه الوثيقة ثلاث وثائق أخرى ، تتعلق **أولاهما** بحدود المغرب ، **وثانيتهما** تتعلق بتعيين الأمين السيد أحمد التازي مشرفاً على البريد بفاس ، أما **الثالثة** والأخيرة ، فتخص النظام الداخلي لوزارة الخارجية المغربية .

يبقى في الأخير أن نشيد بالكتاب المذكور ، فبالإضافة إلى طرافته ، فإنه من دون شك يثير اهتمامات الباحثين إلى هذا الجانب المهم من جوانب الدبلوماسية العربية بصفة عامة ، والمغربية بصفة خاصة ، التي لم تنل حظها بعد من الدراسة والبحث ، بالإضافة إلى ذلك يعتبر الكتاب عملاً علمياً كبيراً يعرف بوثائق مغربية لم يسبق أن نشرت من قبل ، ومن هنا تكمن أهميته الفكرية .

الهوامش

(١) من منشورات « المعهد الجامعي للبحث العلمي » ، الرباط ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، صدر عن مطبعة « المعارف الجديدة » (١٢٦ صفحة) ، من الحجم المتوسط ، وعدد الصور (٢) ، والرسوم عددها (١٦) ، انظر : (الحركة الثقافية في شهر) ، مجلة « **الفيصل** » ، عدد ، (٨٢) ، ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤ م ، السنة السابعة ، ص (١٧) .

(٢) « الشيفرة » « La Cryptographie » ، وثيقة عن بعض موظفي الدولة في النصف الثاني من القرن الماضي ، عدد (٨٩) ، مجلة « **الفيصل** » ، أغسطس (آب) ١٩٨٤ م ، ذو القعدة ١٤٠٤ هـ ، السنة الثامنة ، ص (١٥٤) ، « كتب وردت إلى المجلة » .

(٣) أحمد النبطي « ابن وحشية » من أهل العراق ، عاش بين ٢٤١ هـ ـ ٨٥٥ م ، القرن التاسع الميلادي ، عالم نبطي ، له مؤلفات عديدة في الكيمياء والعلوم منها : « الفلاحة النبطية » .

(٤) الصولي : أديب وشاعر ، تعلم العربية على أئمة اللغة ، واشتهر بلعب الشطرنج ، فتقرب به إلى الخلفاء العباسيين ، فنادم الراضي والمكتفي والقادر ، توفي بالبصرة عام ٣٥٥ هـ ـ ٩٤٦ م ، له : « الأوراق » في أخبار آل عباس وأشعارهم ، و « أخبار أبي تمام » ، وعدة دواوين ، بالإضافة إلى الكتاب الذي اشتهر به المشار إليه بمقالنا .

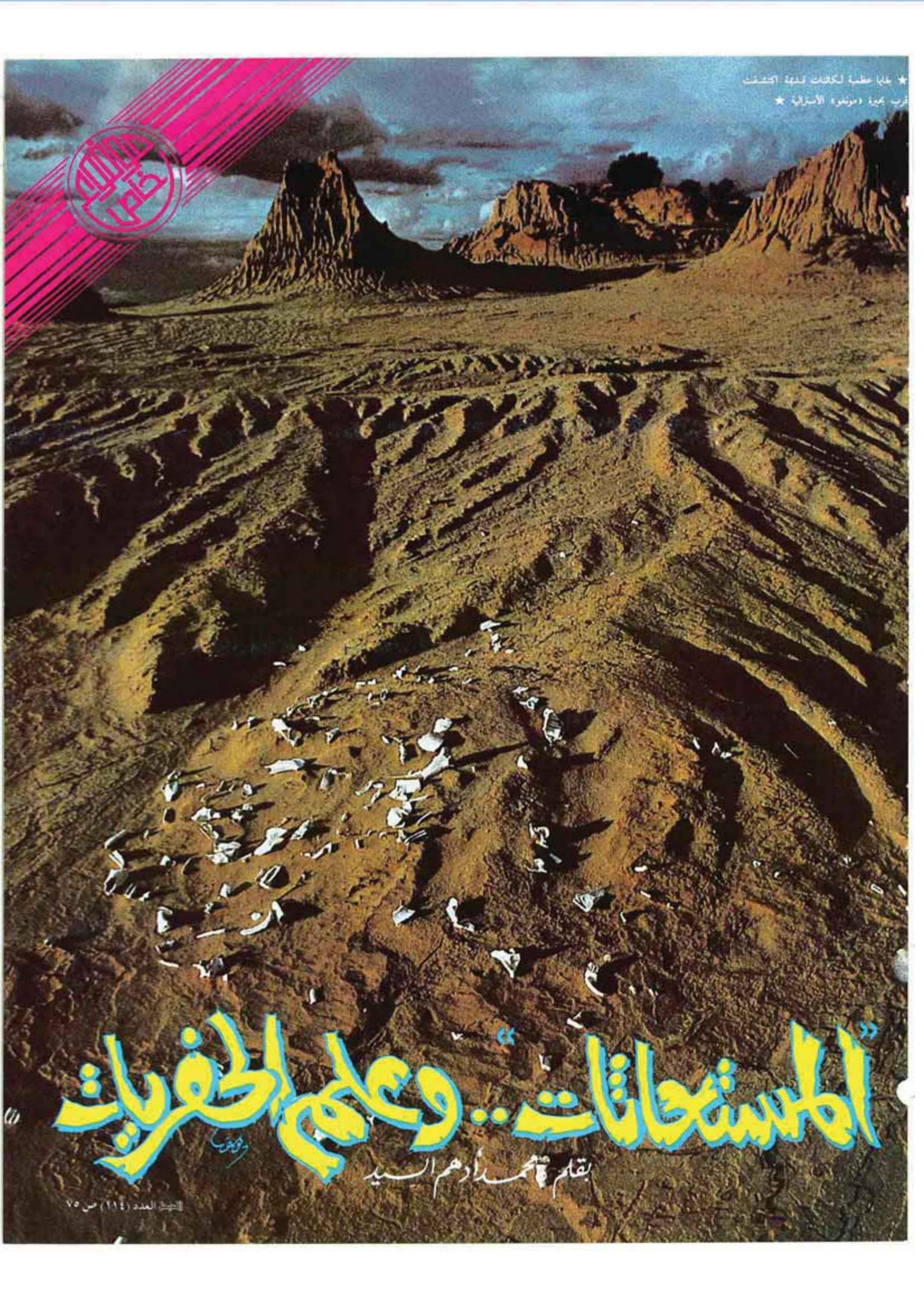
(٥) أديب وعالم فارسي كثير الأسفار . كان يقيم ببغداد وأصفهان ، وكان يتعصب للفرس ، عُني بدرس اللغة الفارسية ومقارنتها باللغة العربية . من مصنفاته كتاب « الأمثال على أفعل » ، ويدخل فيه الشعرية والنثرية . كتاب « أصفهان وأخبارها » ، تاريخ « سني ملوك الأرض والأنبياء » ، وفيه الكلام على العرب قبل الإسلام ، وعلى المصريين والفرس واليونان والروم على عناية بتحقيق سني الولادة ، ووصل فيه إلى عام ٣٥٠ هـ ـ ٩٦١ م ، تاريخ وفاته .

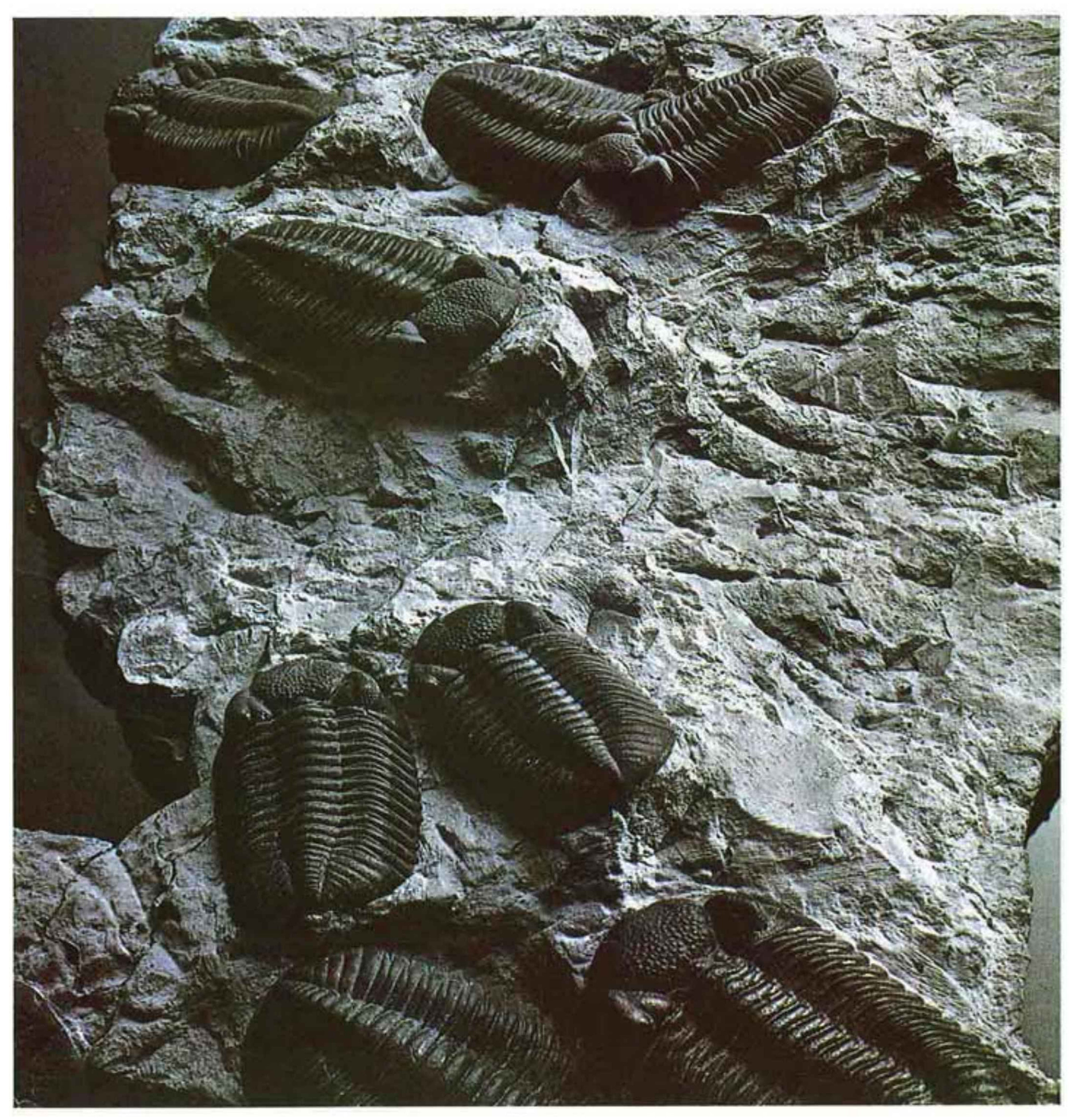
(٦) أبو الهلال الحسن العسكري ، أديب وشاعر ، نسبته إلى عسكر مكرم ، تعلّم على خاله أبي أحمد العسكري ، له الكتاب المذكور بمقالنا ، ذكر فيه كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ ، وجمهرة « الأمثال » ، و « الفروق » في اللغة ، وديوان شعر ، توفي بعد عام ١٠٠٥ م .

(٧) سليمان بن موسى ، أبو الربيع الحميري ، محدث ومؤرخ وحافظ ، أديب ، شاعر ، وخطيب ، من أهل بلنسية (الأندلس) ، من مؤلفاته « الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا » ، توفي حوالي عام ٦٣٤ هـ ـ ١٢٣٧ م .

(٨) « Sténographi »

(٩) وقعت الحماية الفرنسية على المغرب بفاس ، في ٣٠ مارس (آذار) ١٩١٢ م .


★ بقايا عظمية لكائنات قديمة اكتشفت
قرب بحيرة «مونغو» الأسترالية ★
"المستحاثات".. وعلم الحفريات
بقلم محمد أدهم السيد



★ مجموعة من المستحاثات لثلاثي الفصوص الذي انتشر في الحقبة الأولى ★

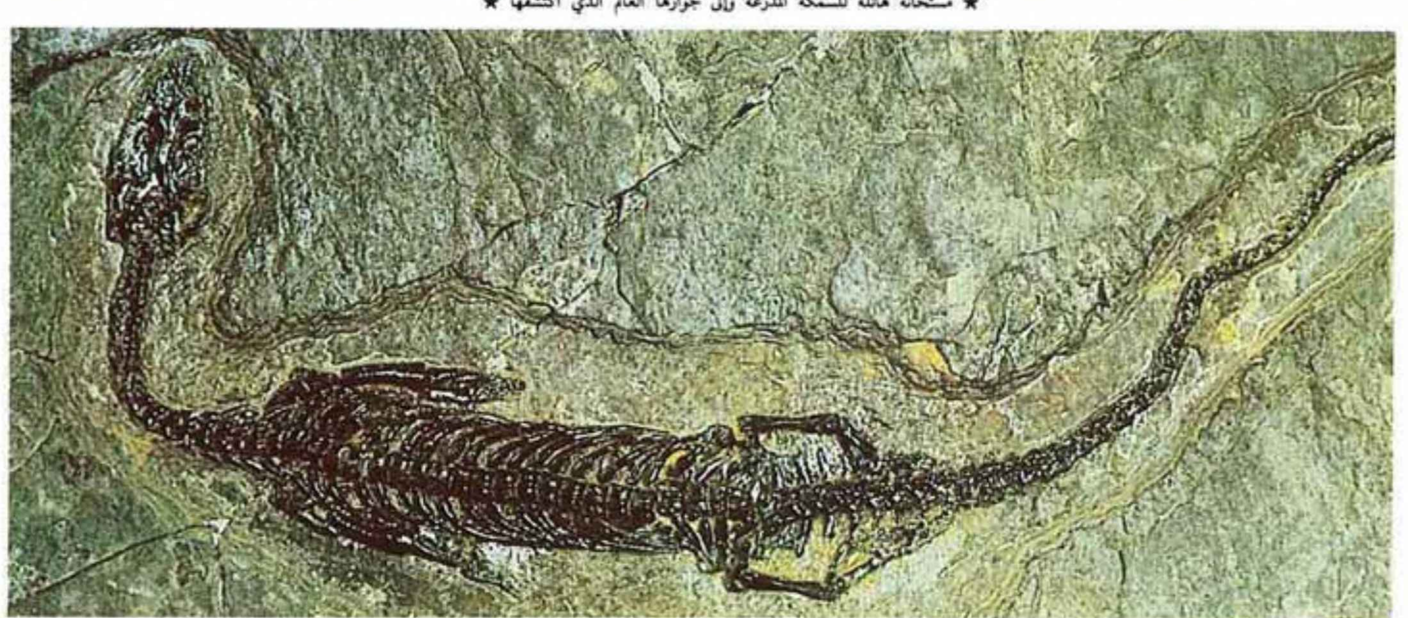
كيف كانت الحياة على سطح الأرض قبل ملايين السنين ؟.. وما أشكال وأحجام وأنواع الحيوانات والنباتات والكائنات الأخرى التي عاشت على سطح هذا الكوكب العجيب في ذلك الزمان البعيد ؟.

سؤال بسيط في عصرنا الحاضر إلى حد ما ويعرف جوابه الصغير قبل الكبير .. لكنه في زمن مضى ووقت انقضى كان لغزاً عويصاً وسرًا محيرًا وقف أمامه العلماء طويلاً مفكرين باحثين دون أن يجد أحد منهم حلاً أو جواباً شافياً عليه أو ردًا مقنعاً يشبع فضولهم وفضول الناس البسطاء والمتابعين الخبراء.

وكيف يعرف العلماء الحقيقة ويجيبون من يسأل ويستفسر وهم لم يشهدوا الوقائع بأنفسهم ولم يروا بأعينهم كيف كانت الحياة قبل أن يولد آباؤهم وأجدادهم بملايين السنين .



★ مستحاثة هائلة للسمكة المدرعة وإلى جوارها العالم الذي اكتشفها ★



★ حفرية لإحدى الزواحف من فصيلة «الأريوزور» عاشت منذ ٢٠٠ مليون سنة على سطح الأرض ★

ظهور علم المستحاثات

ففي عام ١٧٩٠ م ، بدأت فكرة المستحاثات وبقايا الكائنات المنقرضة تلمع في أذهان العلماء والباحثين . . وعلى رأسهم عالما التاريخ الطبيعي الفرنسيان **لامارك وجيوفري سانت ايلير** **(LAMARK & GEOFFRY St. HILAIRE)** بعد أن تم اكتشاف مجموعات هائلة من العظام المتحجرة الضخمة على شواطئ **أوهايو** في فيلادلفيا .

ولم يمض وقت طويل حتى تعددت الاكتشافات وتوالت وبدت للأعين هياكل ونماذج لكائنات غريبة وحيوانات هائلة عجيبة .

وكان من الصعب حفظ كل هذه الأشياء وعدم تنظيمها وربطها والتفكير بماضيها والأزمنة التي انتشرت فيها .

فكان ظهور **علم المستحاثات** أو الحفريات أمراً حتمياً ونتيجة طبيعية لوقائع الأحداث وتطورات الأمور . إذ بواسطته اكتشف العالم كله تاريخ أرضنا وكوننا البعيد وعرف العلماء أحقاب أرضنا الجيولوجية وأزمانها وكائناتها



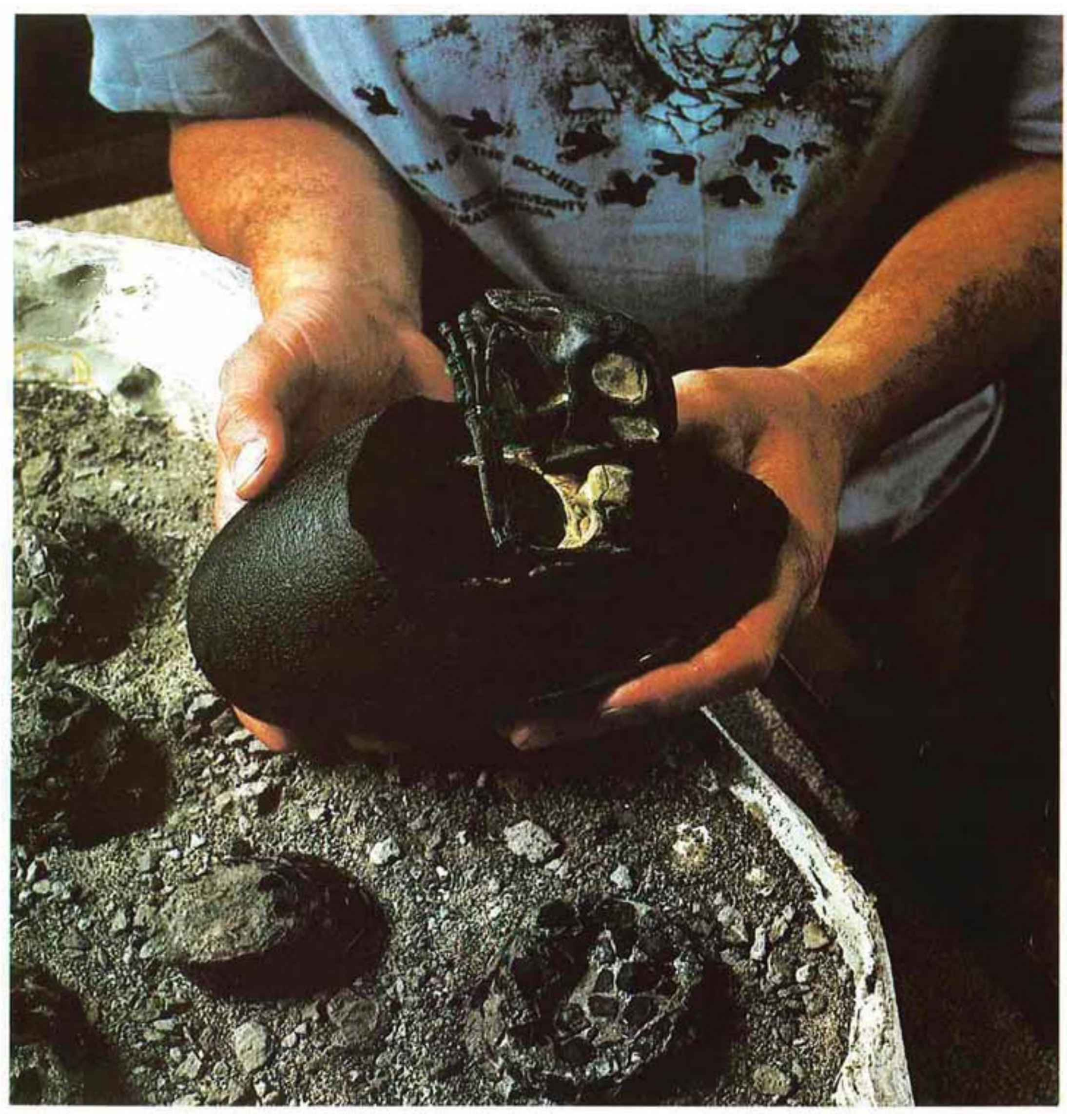
★ مستحاثة اكتشفها العالم «كارل لورليش» لإحدى النباتات المائية وهي تلتهم سمكة ★

الخيالية الهائلة التي لم تقع عليها عين إنسان وهي حية بعد.

علم الحفريات

لطالما تساءل الناس حديثاً واستفسروا عن ماهية علم الحفريات وما الغرض من وجوده؟

وبغض النظر عن المعرفة السطحية التي يلم بها بعض الناس العاديين ببعض جوانب هذا العلم.. إلا أننا نجد في الواقع أن معظم الناس لا يملكون فكرة صحيحة شاملة عن علم الحفريات والغرض من دراسته. فالكثير من هؤلاء يعتقد أن علماء الحفريات وجدوا فقط ليقوموا بالكشف عن العظام المتحجرة أو الأشجار المتفحمة بغية حفظها في المتاحف وعرضها أمام الناس كشواهد حاضرة وبقايا متهالكة لكائنات عاشت واندثرت في عصور يعجز العقل عن التفكير بقدمها وتاريخها.. ولا يشك أبداً بوجود بعض من يعتقد بسخافة هذا الأمر وعدم أهميته سيما وأن هذه الأشياء



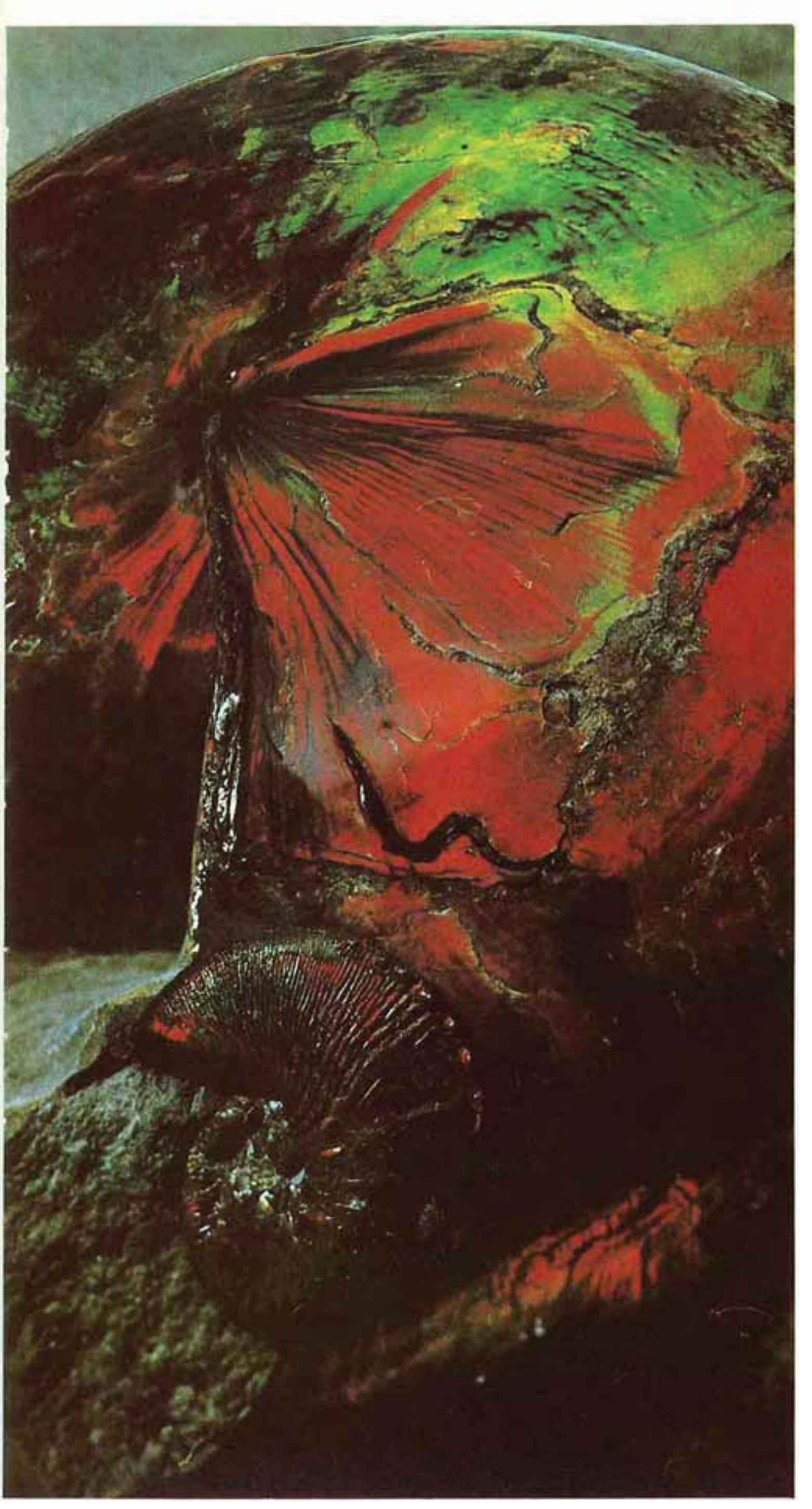
★ فرخ ديناصور محترق داخل بيضته المتفحمة ★

(باعتقاد هؤلاء) لا تمس حياتنا اليوم من قريب أو بعيد.

ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك تماماً.. فهذه الآثار تدخل في تاريخنا وتاريخ أرضنا القديم الذي ربما عاد وتكرر ـ اليوم أو غداً ـ على سطح كوكب آخر في الفضاء البعيد أو القريب كتيتان* مثلاً (قمر زحل الأكبر).

وإن إلمامنا بتاريخنا القديم جداً يعني إلمامنا بتاريخ الكون وخفاياه ومعرفتنا لأشكال الكائنات الأسطورية العجيبة والهياكل البشرية القديمة ومقارنتها مع الهياكل الحالية لنكتشف التطور الذي حصل على خلايانا وهياكلنا عبر آلاف السنين، ولا يخفى ما لهذا الأمر من أهمية وفائدة اليوم.

وعلم الحفريات أو علم الإحاثة أو السلالات (PALEONTOLOGY) كلمة مشتقة من اجتماع عدة كلمات يونانية هي (PALAIOS) وتعني قديم و (ONTOS) وتعني شيء أو يكون و (LOGOS) وتعني دراسة.. فيكون معناها مجتمعة دراسة الأشياء القديمة أو بمعنى آخر دراسة الكائنات القديمة أي علم الحفريات.



★ الأمونيت ★

أهداف هذه الدراسات

إن لدراسة الكائنات القديمة (التي عاشت على سطح الأرض واندثرت قبل آلاف السنين) عند العلماء أهداف أساسية متعددة (بغض النظر عن الفوائد والأهداف الأخرى الجانبية التي تجنيها مثل هذه الدراسة)، تتوزع في زمرتين رئيستين.. وهي:

١ ـ أهداف جيولوجية: وهي معرفة شكل الأرض كما كانت قبل ملايين السنين ورصد التطورات التي حصلت على قشرتها وجوها حتى وصلت إلى شكلها الحالي الذي نعرفه عليها اليوم.. بالإضافة إلى فصل العصور الجيولوجية عن بعضها ودراسة تاريخ نشوء الطبقات وتحديد أعمار الصخور الأرضية وتوزعها وتوضعها ضمن القشرة السطحية (**علم السلالات الطبقي**).. والكشف عن البيئات البيولوجية الحفرية القديمة (**علم الأحياء الطبقي**).. ومعرفة الشكل الصحيح لتوزع الحفريات القديمة وأشكال حياتها وأماكن انتشارها وتوزعها (**علم السلالات البيوجوغرافي**).

٢ ـ أهداف بيولوجية: ومنها معرفة أشكال الكائنات المنتظمة القديمة وطرق حياتها وأسرار خلاياها وأسباب انقراضها والكشف عن علاقاتها الاجتماعية الخاصة وأصلها وتسلسل انتشارها وظهورها وتاريخ انقراضها.

وكل الأهداف السابقة (بيولوجية وجيولوجية) مرتبطة بعضها ببعض.. فبمعرفة تاريخ وفاة أحد الكائنات تم معرفة عمر المنطقة التي عاش فيها هذا الكائن وعمر الصخرة التي دفنته بالضبط.

وبتحديد أعمار الصخور يتم تحديد عمر الأرض.. وبمعرفة عمر الأرض وأعمار الكائنات والصخور القديمة تم توزيع الأحقاب الجيولوجية التي حدثتنا عن تاريخ أرضنا القديم وتسلسل الحياة عليها. والأمثلة كثيرة والشواهد عديدة، ولا سبيل إلى حصرها في هذه الصفحات القليلة.. فذلك الأمر يتطلب كتباً وكتباً كثيرة.



★ مستحاثة غريبة لحيوان يلتهم حيواناً آخر ولم يبق منهما سوى جمجمة الأول وعظمة من الثاني ★

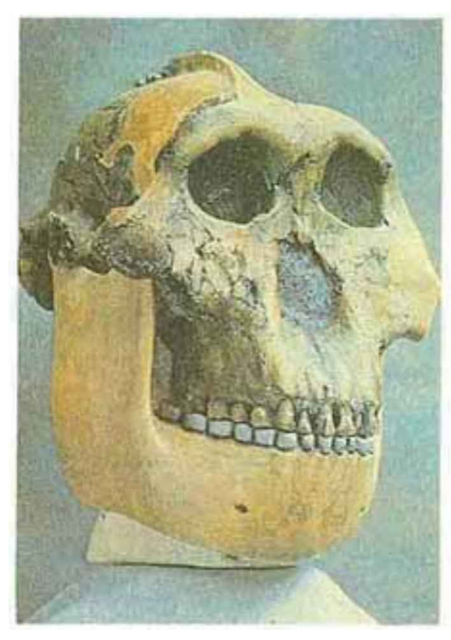
ماهية المستحاثات

لعل أول سؤال يخطر على ذهن القارئ وهو يطالع هذا الموضوع عن المستحاثات وعلم الحفريات هو .. ما المستحاثة (FOSSIL) ، والمستحاثة المميزة ؟ وبماذا تفيدنا ؟ وكيف يحصل العلماء عليها ويميزونها عن باقي الصخور والعظام التي يعود تاريخها إلى زمن قريب ؟

وللإجابة على مثل هذا السؤال الذي يضم فيما يضم عدة أسئلة متداخلة متشابكة ترتبط جميعاً بروابط متينة وجذور ثابتة يعود تاريخها إلى سنين بعيدة ، نقول :

إن المستحاثة (كل ما طمر في باطن الأرض وكان حيًا فيما سبق) [FOSSIL] كلمة أجنبية مستمدة من كلمة [FOSSILIS] اللاتينية التي تطلق على كل شيء استخرج ويستخرج من باطن الأرض من عظام .. وبقايا كائنات حية ونباتات قديمة أو صخور طبع الزمن عليها هياكل وأشكال لكائنات عاشت واندثرت قبل قرون عديدة .

فالمستحاثة لا يقتصر وجودها في بقايا الكائنات القديمة فحسب ، بل تشمل كل شيء حمل أثراً لكائن حي قديم خمد ذكره وغاب شكله وانقرض نوعه .



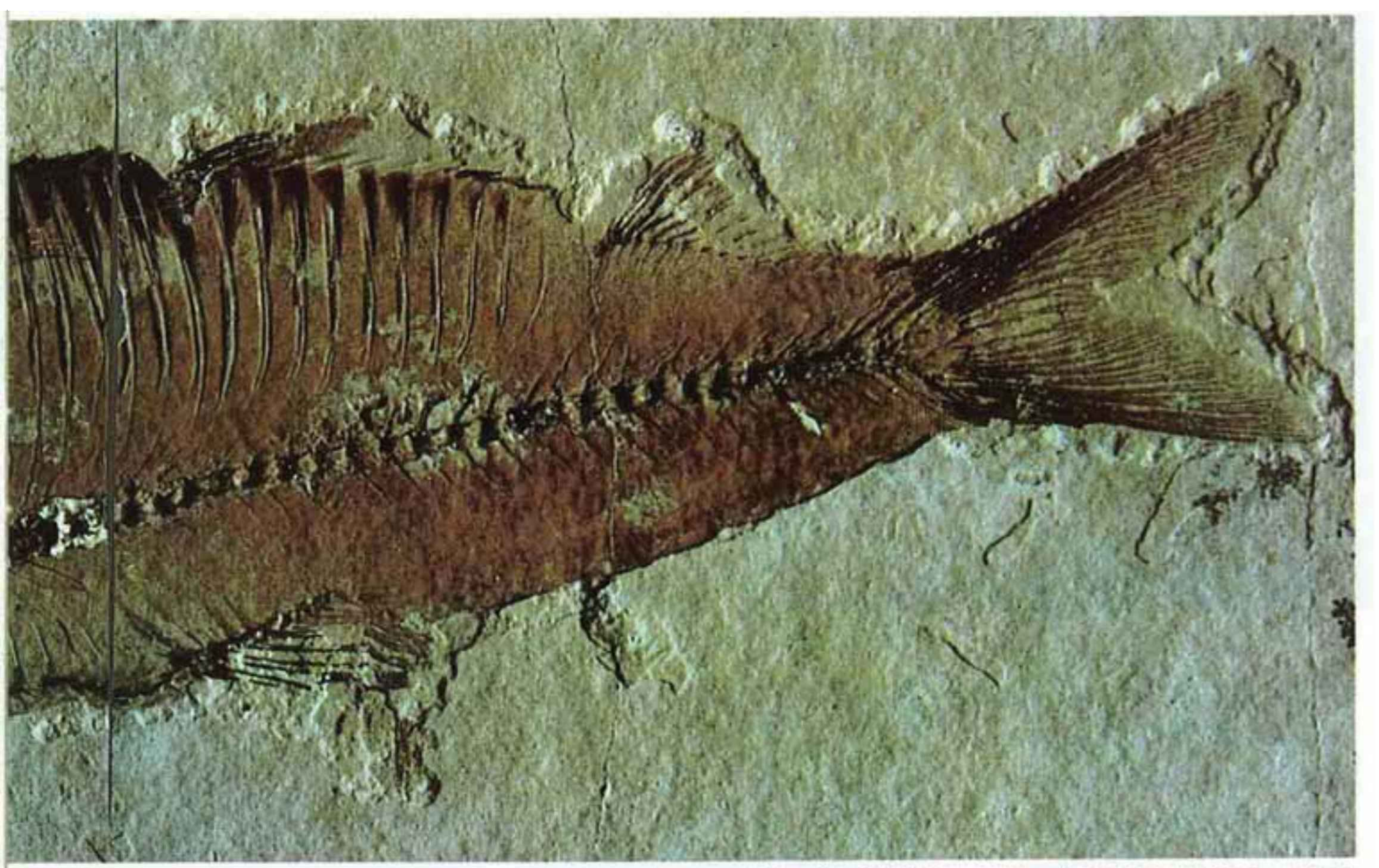
★ جمجمة قديمة اكتشفت في حفرة عمرها أكثر من مليون سنة ★

فسلاسل الأجنحة والقواقع والآثار التي طبعتها الحشرات والطيور القديمة على طبقات الصخور .. وآثار أقدام **الديناصورات** والنمور ذات الأسنان المقوسة .. وأنياب الماموث الضخمة والحادة .. وأسنان الاريوبس (من الحيوانات البرمائية الأولى التي انتشرت على البر قبل زمن الديناصور) .. والممرات المحفورة في الأراضي ذات التربة الطينية ، التي تركتها الكائنات الزاحفة القديمة ... كلها جميعاً (دون استثناء) مستحاثات لا تقل أهمية أبداً عن الهياكل العظمية الضخمة والأشكال الحجرية الصلبة التي تنتشر بوفرة اليوم في متاحف العالم .

وبواسطة هذه المستحاثات التي تشكل العصب الرئيسي لعلم الحفريات استطاع العلماء دراسة التحولات والتبدلات الرئيسية والثانوية التي طرأت على هياكل وصفات الحيوانات والنباتات والكائنات الأخرى الحية منذ بداية نشوء الحياة على سطح الأرض قبل نحو أكثر من ٥٠٠ مليون سنة وحتى يومنا هذا .

وبواسطتها أيضاً استطاع علماء الطبقات تحديد أعمار الصخور وتوزيع الأحقاب الجيولوجية بشكل مناسب .. وبات بمقدورهم معرفة الصلة التي تربط صخرتين غريبتين تعودان إلى حقب واحد وزمن واحد رغم بعد المسافة بينهما .

ولا تقل المستحاثة المميزة أهمية عن غيرها من المستحاثات .. بل على العكس .. وهي بقايا لكائن حي ظهر مع بداية حقب وانتشر خلال زمن هذا الحقب ثم انقرض في نهايته .. فأصبحت بقاياه دليلاً يشير إلى عمر الصخرة والمنطقة التي دفن فيها والحقب الذي ضمهما سوية ، كالأسماك المدرعة وعديمات الأرجل



★ من أغرب المتحجرات التي اكتشفت في العصر الحديث: سمكة كبيرة تأكل سمكة صغيرة ★

والسجلاريا والغرابتوليت (من معاليات الجوف) التي تميز الحقب الأول.. والديناصورات التي تميز الحقب الثاني.. وغيرهم. ويميز العلماء بين المتحجرات وغيرها من الهياكل العظمية والآثار الحديثة بسهولة.. بواسطة تحديد عمر الصخرة وشكل الهيكل أو الأثر المكتشف.. تساعدهم في ذلك معلوماتهم الثابتة والهامة عن الأحياء وأشكالها والتطور الذي أصابها منذ آلاف السنين.

نظرة إلى التاريخ

وقبل أن نسترسل في الحديث عن المتحجرات وأنواعها وغرائبها نتوقف قليلاً لنقدم فكرة عامة عن تاريخ كرتنا الأرضية وأحقابها الجيولوجية وكائناتها القديمة البائدة والحية، لنعرف بذلك أين يقع الإنسان في تاريخ هذا الكون الرهيب؟!

قسم العلماء تاريخ الأرض إلى خمسة أحقاب رئيسية تختلف عن بعضها زمناً وشكلاً ومضموناً، وهي:

●● **البريكامبري** (أو ما قبل الكامبري): ويقصد بها الفترة التي تلت ولادة الأرض وشهدت تبرد القشرة الأرضية الأولى ونشوء البحار والمحيطات.. وما إلى ذلك. والعلماء حتى اليوم يجهلون الكثير الكثير عن التطورات والوقائع التي شهدتها الأرض في تلك الفترة القلقة من تاريخها العريق. ولكنهم **يتفقون تماماً، على أي حال، أن الحياة لم تكن موجودة أبداً في تلك الحقبة البعيدة من الزمان.**

●● **الحقب الأول** (الكامبري): **ويميز فيه العلماء خمسة عصور، هي على التوالي من الأقدم إلى الأحدث:**

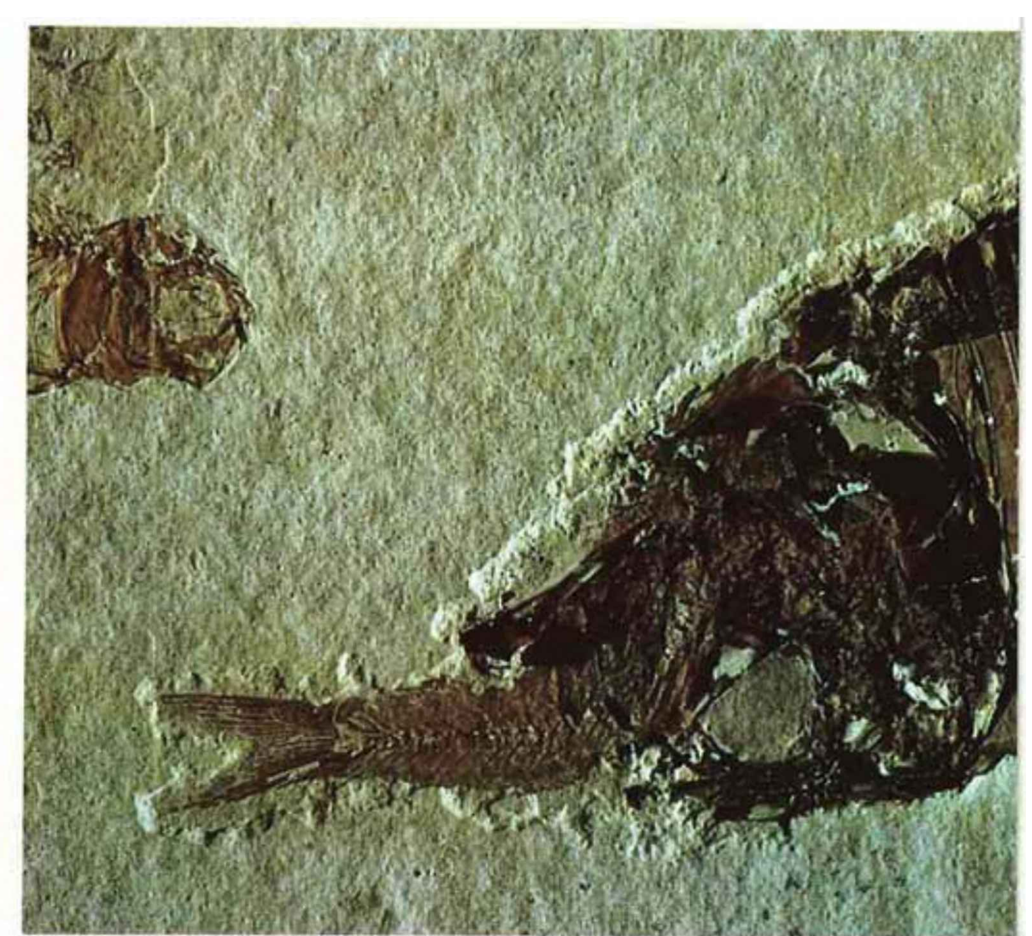
(١) الكامبري. (٢) السيلوري.
(٣) الديفوني. (٤) الكربوني.
(٥) البرمي.

وقد انتشرت الحياة في هذا الحقب بشكل واسع.. فظهرت معظم صفوف اللافقاريات (كعديات الأرجل والحشرات المجنحة).. كما ظهرت أيضاً غابات شاسعة من النباتات الضخمة كالسراخس والسيجلاريا.

●● **الحقب الثاني:** ويميز العلماء فيه ثلاثة عصور أساسية، **هي الترياسي، والجوراسي، والكريتاسي.**

وقد شهد هذا الحقب انقراض بعض الكائنات التي ظهرت في الحقب الأول **(كالأسماك المدرعة) وظهور الديناصورات المائية والطائرة وبقية اللافقاريات (كالرخويات ورأسيات الأرجل) كما شهد ظهور النباتات الزهرية من عاريات البذور. أدى سوء الطقس وتحول الجو في أواخر هذا الحقب إلى انقراض الديناصورات والكثير من الكائنات التي كانت تعيش آنذاك.**

●● **الحقب الثالث:** **مع بداية هذا الحقب بدأ ظهور الثدييات الحديثة والطيور وكثير من وحيدات الخلية كالنموليت من**



★ هيكل عظمي منذ (٢٦٠٠٠) سنة اكتشف قرب بحيرة مونغو الأسترالية ★

الفلسيات ولم تمر فترة طويلة حتى ظهرت النباتات الزهرية من مغلفات البذور وأصبحت الحياة شبيهة بما عليه الحال اليوم.

ويقسم العلماء هذا الحقب إلى أربعة عصور تنطوي في منظومتين أساسيتين، هما:

★ **منظومة الباليوجين**: وتضم عصري **الأيوسين والأوليغوسين**.

★ **منظومة النيوجين**: وتضم عصري **الميوسين والبليوسين**.

●● **الحقب الرابع**: وهو الحقب الذي نعيش فيه اليوم.. ويقسم إلى: **البليستوسين والهولوسين**.

وقد شهد هذا الحقب فيما يزعمه العلماء **ظهور الإنسان** وانقراض الماموث بسبب الامتداد الجليدي الذي تعرضت له كرتنا الأرضية في بداية هذا الحقب. كما اتخذت الأرض في هذا الحقب شكلها الحالي وانحسر البحر إلى حدوده المتعارف عليها اليوم. وترعرع الإنسان على اليابسة، فأصبحت له قرى وممالك وحكومات ودول.. ومستعمرات.. ومستوطنات.. و.. و.. إلخ.

كيف تكونت المستحاثات؟

هناك عدة طرق لتكون المستحاثات تختلف من حيث الشكل والوسيلة والمبدأ والعصر الذي شاعت فيه. وتتعلق أشكال هذه الطرق والوسائل بطبيعة الحياة السائدة آنذاك وطبيعة المناخ الجوي المحيط ووضعية ونوعية الأرض التي ضمت الكائن الحي إليها بعد موته. **ويمكن أن نميز من بين هذه الطرق:**

★ **الدفن**: وهو من أكثر الوسائل انتشاراً.. وخاصة على امتداد الحقبين الثاني والثالث. فقد خبأ لنا جليد مناطق شمال سيبيريا الثلجية جثثاً سليمة عديدة لحيوانات الماموث الضخمة ووحيد القرن يعود تاريخها إلى أواخر العصر الجليدي. كما عثر العلماء على بقايا لأجسام بشرية دفنت على شكل مومياءات حقيقية في طبقات وحفر ذات طبيعة جليدية.

والغريب أن هذه المومياءات احتفظت بتفاصيل أصحابها الدقيقة وأشكالهم الحقيقية كما كانت قبل آلاف السنين.

★ **التحجر**: وهو النموذج الطبيعي والشكل الواسع للحفريات.. وعن طريق مستحثاته عرف العلماء الديناصورات وغيرها من الكائنات البائدة القديمة التي حفظ لنا التاريخ أشكالها على هيئة هياكل عظمية متينة وقوية لم تتآكل على مر الزمن بفعل الطبقة الخارجية الطبيعية التي تحميها. فعندما يموت الحيوان أو الكائن الحي ويدفن في التربة التي عاش ومات عليها تتحلل وتختفي جميع أجزائه الرخوة (كالجلد والعضلات وأجهزته الهضمية والتنفسية والأوعية الدموية ذات الطبيعة الرخوة) ولا يبقى سوى هيكله العظمي الذي يقاوم التآكل وتتصلب أجزاؤه وتتحول بمرور الزمن ومساعدة الماء والأملاح والمواد المعدنية

المحيطة (كالطباشير والجير والسيليكا) إلى شكله المتين الذي نجده عليه اليوم.

★ **التفحم:** يعود تاريخ نشأة هذه الطريقة إلى عصور قديمة جداً.. فالفحم الحجري ما هو إلا بقايا لأشجار ونباتات ضخمة (كالسجلاريا و لسراخس) ـ كانت تنتشر بوفرة على سطح الأرض على امتداد العصور الأولى من الحقب الأولى (الكامبري) ـ تعرضت للهلاك في أواسط العصر الكربوني وتحللت كل عناصرها المكونة لها فيما عدا الكربون بعد أن غطتها طبقات هائلة من الطمي.

ومع مرور الزمن تحولت هذه الأحياء النباتية الضاربة في القدم إلى شكلها الكربوني الغريب الذي نراها عليه اليوم والذي ندعوه بالفحم الحجري.

★ **الترسيب:** تكتسب بعض الكائنات التي تقضي حياتها في المياه الغنية بالأملاح المعدنية ميزة فريدة تظهر فائدتها بعد مرور ملايين السنين. فهي تغطى بعد موتها بطبقة رسوبية كتيمة ومتينة تقوم بحماية الكائن من الفناء وتحافظ على هيكله وشكله الخارجي.. وتبقى على الأجزاء الصلبة في جسمه.

وتتشكل هذه الطبقة نتيجة لترسيب المواد والأملاح المعدنية (التي تحملها المياه المحيطة) على سطح هذا الكائن وتصلبها. وهي كما نرى طريقة تشبه إلى حد كبير التحجر.

وهناك عدة طرق أخرى تشبه الطرق الرئيسية السابقة إلى حد ما.. نذكر منها التضمين.. والتشكيل.. والطابع.. وغيرها.

علم الحفريات البشرية

علم السلالات:

يعود تاريخ دراسة السلالات والأجناس البشرية إلى أقدم العصور، فقد درس **قدماء المصريين** منذ عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، أشكال القبائل والعشائر المجاورة لبلادهم التي قاموا باحتلالها خلال غزواتهم لتلك المناطق.

كما رسم **قدماء اليونان** صورة مفصلة لأشكال وطبائع الشعوب التي قاموا بغزوها، والشعوب الأخرى التي كانت تجاورهم وتقوم بينهم صلات تجارية متينة. وكذلك فعل **مؤرخو الرومان**.

ولكن العلماء فقدوا اهتمامهم بهذا العلم طوال فترة **العصور الوسطى**، ولم تظهر علائم وبوادر الاهتمام بعلم الحفريات والسلالات البشرية من جديد في العصر الحديث إلى الوجود، إلا قبل أكثر من مائة عام أو أقل.. فلم تكن فكرة علماء النهضة عن السلالات البشرية حتى ذلك الوقت قد اكتملت بعد.

في عام ١٨٥٦ م، انطلق أول شعاع مضيء في سماء هذا العلم، بعد أن اكتشفت إحدى ورشات العمل في مغارة مظلمة من مغارات **وادي نياندرتال** (NEANDER-TAL) الكثيرة (بالقرب من مدينة **دوسلدورف** الألمانية الغربية) هيكلاً عظمياً متآكلاً لإنسان مر دهر طويل على موته.. حتى تغير شكله وطمست صفاته، وأصبح في أسوأ حال.

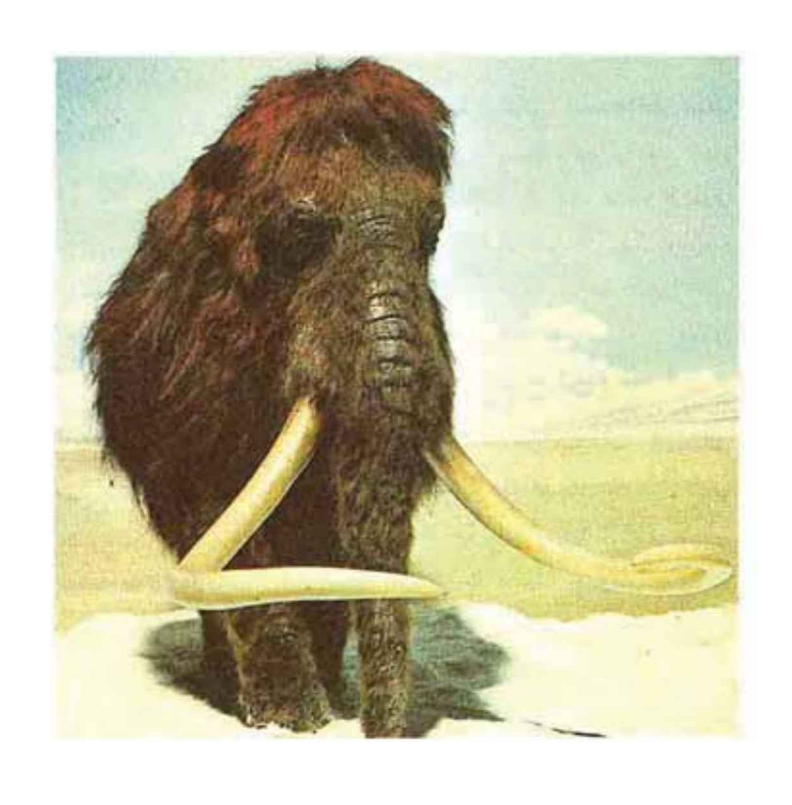
ولم يلتفت الناس في بادئ الأمر إلى الواقعة كثيراً ولم يولوها الاهتمام الذي تستحق، حتى أعلن بعض العلماء الذين انكبوا على دراسة هذه البقايا المشوهة وتفصيل أجزائها.. أن الجمجمة كانت أقدم مما كان هو متوقع. فقد كان تاريخها يعود إلى أكثر من (١٥٠) ألف سنة.

ولم يمض وقت طويل حتى اكتشف العلماء أن الهيكل هو بقايا لإنسان من جماعة **النياندرتاليين** التي انتشرت في مناطق شاسعة من إفريقيا وآسيا وأوروبا قبل حوالي (٢٠٠) ألف سنة.

وازدادت معرفة العلماء أكثر بإنسان نياندرتال في عام ١٨٩١ م، عندما عثر البحاثة في منطقة **ترنيل** (TRINIL) الأثرية في **جاوة** (JAVA) على جمجمة أقدم لإنسان نياندرتال يعود تاريخها لأكثر من (١٦٠) ألف سنة.

وانكب العلماء على دراسة القضية من كل جوانبها وتفرغوا للبحث بين طيات الأرض عن كل جديد يضيء طريقهم المظلم.. فتوالت الاكتشافات سريعاً تفتح أبواباً جديدة في هذا العلم.

في عام ١٩٠٧ م، اكتشف العلماء **فك ماور** (MAUER) الشهير في منطقة **هايدلبرج** الألمانية.. وفي السنوات التي تلت ١٩١٠ م،



★ شكل تخيلي للموث الذي قضى عبر تاريخ جليدي ★

كشف النقاب عن عشرات الهياكل الإنسانية التي تعود إلى أزمنة متفاوتة وجماعات وقبائل بشرية مختلفة .

وعثر العلماء عام ١٩٢٩م ، على **إنسان بكين** في الصين (بالقرب من منطقة **تشو - كو - تين**) الذي عاش على أرضنا قبل أكثر من (٤٥٠) ألف سنة . وبعدها بثلاثين عاماً وصلت يد العالم الدكتور **ليكي** إلى **إنسان تنجانيقا** الذي ظهر على سطح الأرض قبل أكثر من مليون سنة في جنوب إفريقيا . . وعاش في تنجانيقا والمناطق المجاورة لها . . وما زال البحث جارياً حتى الآن لكشف الغوامض التي تحيط بتاريخ الإنسان القديم .

المستحاثات الحية

درج العلماء على تسمية بقايا وآثار بعض الكائنات الحية بالمستحاثات الحية ، كالآثار التي تركتها أقدام الديناصورات وحيوانات الماموث والإنسان قبل ملايين السنين (فوق مروج طينية رخوة تحولت مع مرور الزمن إلى كتل صخرية صلبة) . ولكن يبدو أن هذا الاصطلاح اتسع معناه فأصبح يشمل أشياء أخرى أغرب وأطرف .

من ذلك مثلاً موضوع الكائنات القديمة المنقرضة التي أخذت تظهر من جديد اليوم في أدغال إفريقيا !! فمنذ أكثر من خمسة أعوام وسكان مناطق **الكونغو** وبعض المناطق الإفريقية الداخلية الأخرى ، يرددون روايات غريبة حول كائنات عجيبة تسرح في أدغالهم المجاورة ، وتهاجم منازلهم وتنشر الذعر في كل أنحاء الغابة تقريباً . . ولدى التحقيق بالموضوع (وعلى ضوء المعلومات التي أدلى بها بعض الشهود العيان) تبين أن هذه الكائنات كانت تشبه إلى حد كبير الديناصورات !! . فهي ضخمة جداً وتملك ذيلاً قويًا وطويلاً ورقبة فارعة تنتهي برأس صغير نسبياً . . وتلتهم النباتات وأحياناً اللحوم .

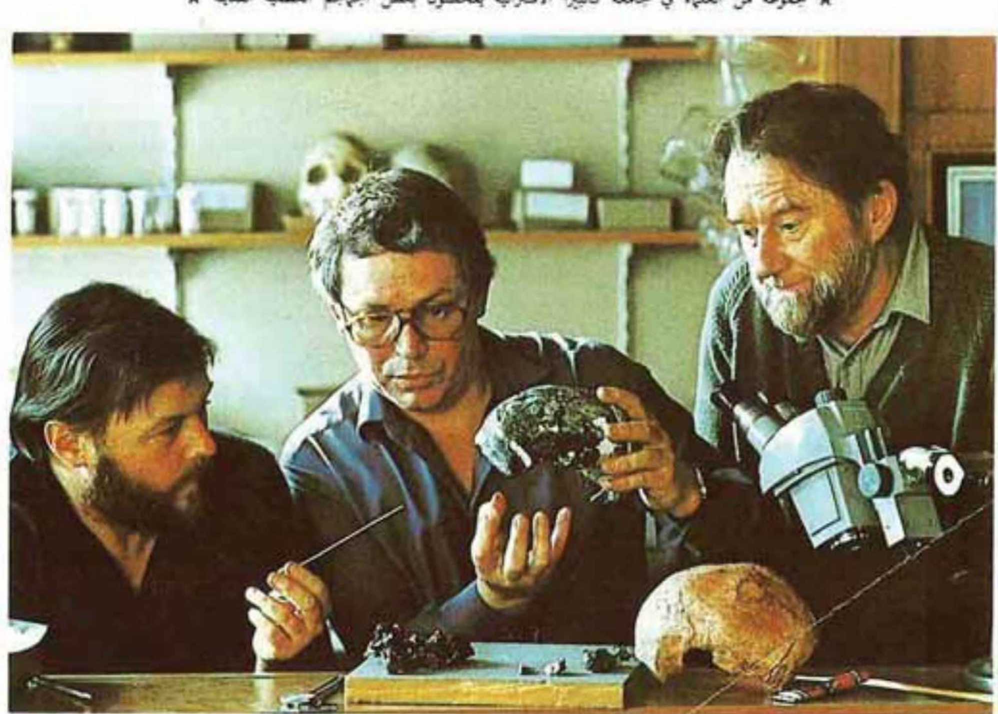
ولكن العلماء (الذين درجوا على أن الديناصورات انقرضت تماماً عن الوجود منذ (٦٠ مليون سنة مضت) لم يقتنعوا بما تحدث عنه العامة الذين يظنون خيالاتهم على الأرض أحياناً أشباحاً وأرواحاً شريرة .

وأتت النتائج الفاشلة للبحث الذي قام به عدد من العلماء (ممن دب الشك في نفوسهم) في أدغال إفريقيا لتؤكد اقتناعهم . . وتثبت للعالم صحة الحقيقة التي اعتاد الناس على سماعها . . وهي أن الديناصورات انقرضت تماماً عن الوجود منذ (٦٠) مليون سنة ، ولا سبيل للتفكير بوجودها بيننا اليوم .

قصة أخرى مشابهة وقعت أحداثها (وما زالت تتصاعد حتى اليوم) في **جبال التبت الصينية** ، وبطلها هذه المرة لم يكن ديناصوراً منقرضاً بل كان وحشاً غريباً هائلاً ، جسمه أقرب إلى الغوريلا بكثير . والقصة هنا أكثر غرابة وأكثر حيرة من سابقتها . . فهذا الكائن رآه الكثير الكثير من الناس واستطاع العلماء أن يعثروا على آثار أقدامه فوق أحد المروج الثلجية ، ولكنهم عجزوا حتى اليوم عن اصطياده . . وهو لا يزال حرًّا طليقاً يهاجم الحيوانات الوديعة والمتوحشة ويسطو على قطعان الماشية في أعالي قمم التبت الثلجية ، فينشر الذعر في قلوب الناس ، ويبث الفوضى بين صفوفهم .

ومن هذه القصص المثيرة نجد اليوم الكثير في كل مكان . . . ولكنها مهما كثرت وتعددت تبق في عداد التخمينات والتخيلات حتى يثبت الناس أو العلماء وجود مثل هذه الكائنات فعلاً بتصويرها أو القبض على أحدها مثلاً . . وهو أمر يبدو مستبعداً بل مستحيلاً . . في وقتنا الحالي على الأقل .

★ مجموعة من العلماء في جامعة كانبيرا الأسترالية يفحصون بعض الجماجم العظمية القديمة ★



الهوامش

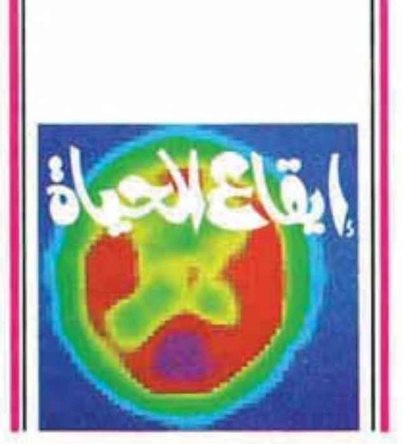
★ أثبتت آخر التقارير الواردة من سفن الفضاء الصاعدة التي ترافق قمر زحل الأكبر تيتان أن هذا القمر يمر بالمراحل الجنينية الأولى التي مرت عليها كرتنا الأرضية في بداية تكونها وتشكل تضاريسها قبل أكثر من أربعة ملايين سنة .

وهذا يعني أن تيتان يشهد اليوم بوادر الحياة التي شهدتها الأرض في مرحلة بعيدة من الزمن . . وليس غريباً أن يتحول هذا الكوكب الواعد في عصر مقبل وزمن قادم إلى كرة زرقاء مأهولة . . كما هي الأرض اليوم .

★ ★ ★

مراجع البحث (العربية والأجنبية) :

- موسوعة المعرفة .
- اكتشاف الحياة .
- الديناصورات .
- NATIONAL GEOGRAPHIC MAGAZINE - VOL 168, No 2, AUGUST 1985
- THE ANIMAL KINGDOM





لماذا تتآخى الأسماك في تشكيل السرب

أكثر من نصف الـ (٢٠.٠٠٠) نوع المعروفة من الأسماك، تنظّم أنفسها في حياتها البحرية لتعيش في جماعات تشكل أسراباً schools غاية في الدقة، حفظاً لنفسها وبقاءً لنوعها، وقد يقل أفراد السرب ليتكون من أقل من (٣) أسماك، أو يكثر ليشكل سحابة كبيرة سابحة تحت الماء تتكون من أكثر من (مليون) سمكة.

ينزلق السرب باندفاع سريع في أعماق المياه، بحركات متكاملة منسجمة، وأبداً لن تصطدم السمكة بالسمكة كيفما تحرّك السرب واتجه، وبعض الأسماك يشعر أنه ملزم أن يعيش في أسراب فيقضي حياته كلها في تشكيل لا يبرحه، والبعض الآخر مخيّر. فإما أن يعيش في أسراب أو يعيش فرادى، حسب حاجاته المعيشية وظروفه ومزاجه اللحظي الآني، وفي كلتا الحالتين تكون القدرة على الحياة في السرب غريزة فطرية وليست مكتسبة، فهي تخلق مع الأسماك منذ الولادة.

ولكن ما الميزات التي توفرها حياة السرب المعقدة للأسماك؟ وكيف تستطيع ترتيب تشكيل السرب، وتدبير أموره بهذه المهارة والدقة؟

لقد لاحظ العلماء أن الأسماك التي تحيا في أسراب تكون أطول عمراً وأخصب تناسلاً وذرّية! كما لاحظوا أن معظم الأسراب تتكوّن من أسماك صغيرة الأحجام نسبيًّا، وهي عموماً أسماك ضعيفة مطاردة تُفترس على الدوام، وتساعد الحياة في السرب على تقليل فرص تعرض الأسماك الضعيفة للافتراس، وذلك بعدّة وسائل.

ويساعد سرب الأسماك على جعلها هدفاً غير مرئي في مواجهة العدو، بسبب انعكاس ضوء الشمس على مياه البحر.

فإذا ما هاجم مفترس سرباً من الأسماك استبدت به الحيرة.. كطفل دخل محلاً مليئاً بالحلوى، كما أن هذا التكتل السمكي، يحرم الأسماك المفترسة مثل أسماك القرش وأسماك البركودة (سمك بحري ضخم ضار) من عنصر مفاجأة الفريسة مما يضطره إلى التردد في اتخاذ القرار في أيها يأكل أولا، إضافة إلى تشتت تفكير المهاجم المفترس من جرّاء اضطراب السرب النشط الصافق، والبريق اللامع، الذي يحدث نتيجة لهروب آلاف الأسماك السريع في كل الاتجاهات دفعة واحدة.

ووسائل الهروب الدقيقة المنتظمة هي سبب آخر من أسباب سلامة الأسماك التي تعيش في أسراب، والأسماك المهاجَمة من مفترس حتى في لحظة خوفها وذعرها، لا ترتبك ولا تحدث الفوضى في السرب ولا تصطدم سمكة بسمكة، بل تهرب الأسماك مبتعدة عن نقطة المهاجمة بأقصى سرعة لا تتعدى الجزء من الثانية، وتنتشر وتتوزع في كل الاتجاهات كانتشار أضواء الألعاب النارية في السماء، أو أنها تتراجع تراجعاً خاطفاً سريعاً محسوباً عندما يقترب المهاجم منها ثم تعيد تنظيم السرب بعد ابتعاده عنها!!

ولكن كيف يحافظ السرب على سلامة الأسماك ويطيل من أمد حياتها؟ ثم كيف يتم تنظيم هذه الوسائل؟

يقول العلماء الباحثون إن السرب لا يتبع في تحرّكاته قائداً واحداً كما في أسراب الطيور مثلاً، ولكن السمكة في السرب تحسب على الدوام متوسط السرعة واتجاه أقرب جاراتها إليها، فتكيّف حركاتها تبعاً لحركاتها معتمدة في ذلك على منظومتين من الأعضاء الحسّية: (١) العيون. (٢) خطين جانبيين ممتدين على طول جانبي جسم السمكة تحت الجلد مباشرة يحتويان على خلايا شعرية دقيقة جدًّا تتحسس من أقل حركة للماء تنشأ عن التيار المعاكس الذي تحدثه السمكة المجاورة، وهنا يقول علماء الحياة إن السمكة تبقى في السرب عندما يبطل عمل العيون أو الخطين الجانبيين ولكنها تبتعد عن السرب إذا ما تعطّل عمل الاثنين معاً.

وقد كشفت الصور الجوية الحديثة عن حقيقة جديدة، وهي إن الأسماك المفترسة تسبح أيضاً في تشكيلات سربية فتنظم نفسها في أسراب لتهاجم وتفترس بفعالية أكبر، تماماً كما تنظم ضحاياها نفسها على الهروب، وأسماك «التن» ذات الزعانف الزرقاء ــ كمثال ــ تسبح في انحناء دائري وتتقعّر باتجاه حركتها لتلتقط كل واحدة منها سمكة من السرب المهاجم، وليغرفوا كل الأسماك القادمة في اتجاههم، والسمكة الهاربة من سمكة تونة تلتقطها سمكة تونة أخرى، وهكذا، بحيث تصبح كل سمكة مفترسة في وضع يمكنها من افتراس السمكة الهاربة التالية، وهكذا.

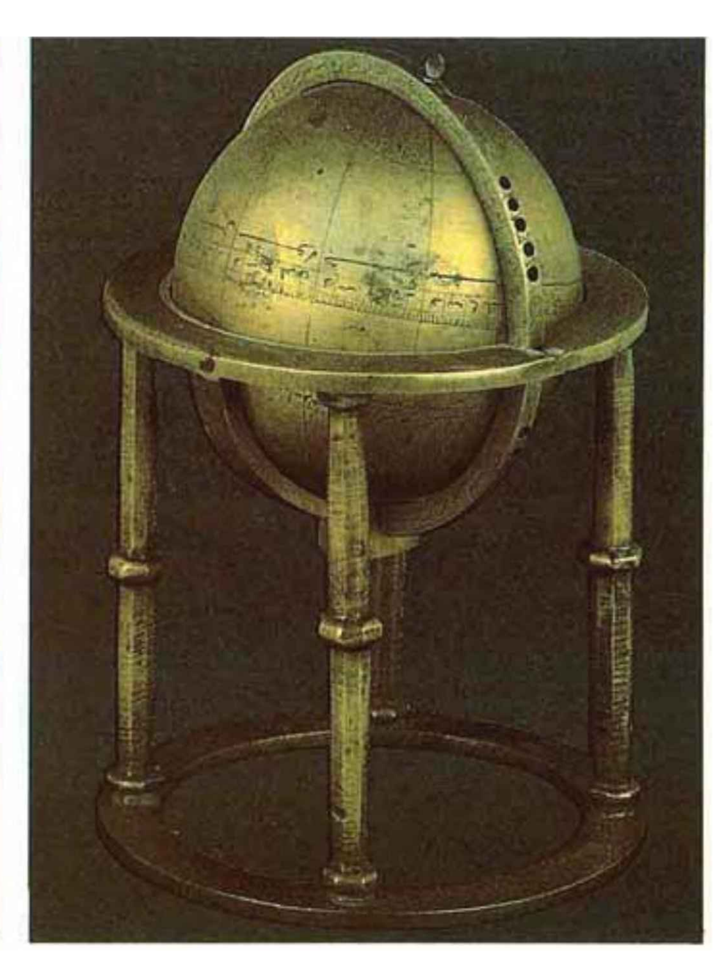


★ ملعقة نادرة من الزجاج ليس لها إلا مثيل واحد في العالم كله ★

الفنون الإسلامية تتألق في دبي

بقلم: كامل يوسف حسين





مرة واحدة في العمر ، لا تتكرر ، يصادف المرء حادثاً بذاته أو واقعة بعينها ، فيشعر في أعماقه أنه يعيش لحظات ترفرف بعيداً عن أفق الزمان والمكان ، وحين ترحل فإنها لا تمضي إلا بعد أن تمس قرار الروح ، وتأخذ بمجامع القلب.

الكثيرون في دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة ساورهم هذا الشعور ، وهم يشاهدون كنزاً حقيقياً من كنوز الفن الإسلامي ، يَمثُل بين أيديهم في قاعة العرض الرئيسية بالمركز التجاري الدولي ، مختزلاً صميم العبقرية الإسلامية في الإبداع ، في شتى الفنون ، في معرض الفنون الإسلامية ، الذي ما كان يمكن أن ينقضي ، إلا وقد تأثر به كل من شاهده.

وهذه الأعمال المعروضة هي جزء من نسيج تاريخنا الحي ، رحلت عنا في غفلة من الزمن ، لتعود إلينا في مزاد أقامته شركة سوثبي العالمية ، خصيصاً لبيع القطع الفنية ، البالغ عددها أربعمائة واثنتي عشرة قطعة أصلية بالمزاد العلني.

ومن قلب هذا كله ، انبعث إصرار على الاحتفاظ بهذه الجوانب المهمة من تراثنا وتاريخنا للأجيال العربية المقبلة حدا بالمسؤولين عن المتحف السعودي والعماني والقطري ، وغيرهم من الشخصيات العربية والإسلامية ، إلى المشاركة في المزاد ، تحقيقاً لهذا الهدف ، رغم احتدام المنافسة وارتفاع الأسعار.

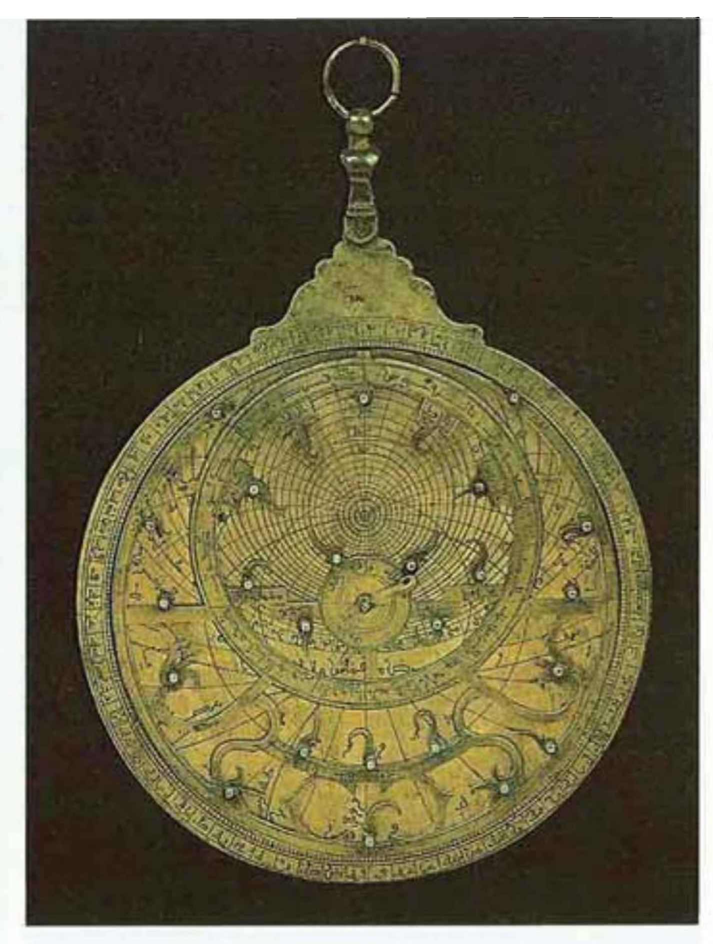
عطر الماضي

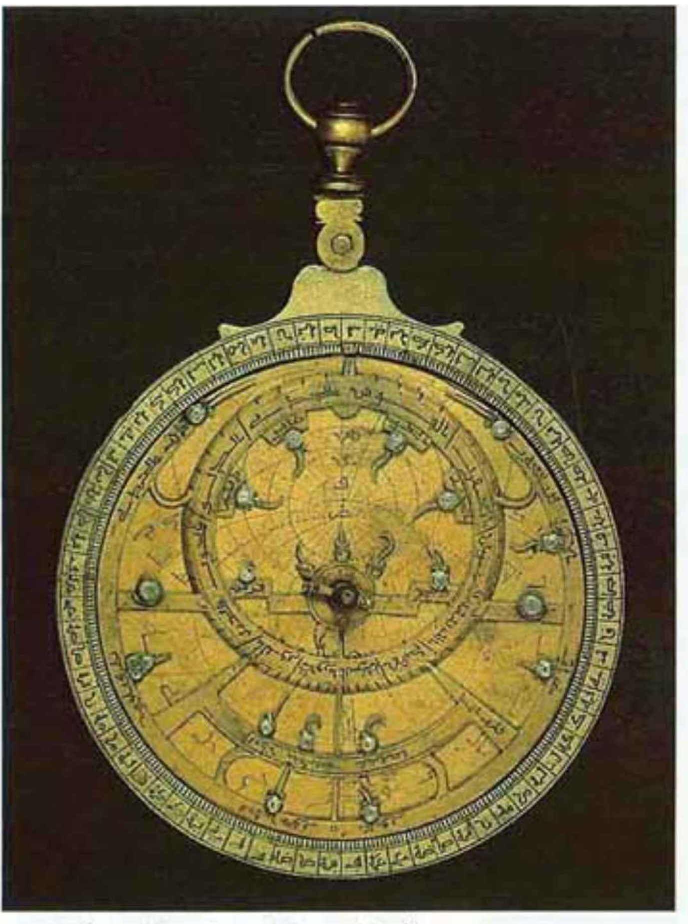
لم يبالغ **جاك فرانسيس** ، رئيس دائرة الفن الإسلامي في شركة سوثبي ، حينما وصف معرض الفنون الإسلامية في دبي بأنه الحدث الأضخم من نوعه في العالم.

والحق أنني حينما ذهبت إلى المركز التجاري في بر دبي ، على بعد يتجاوز ثلاثين كيلومتراً عن داري ، كنت مدفوعاً إلى جوار الفضول الطبيعي بالرغبة في مشاهدة مجموعة الأسلحة التقليدية العربية الإسلامية في المعرض ، واعتقدت أني سأمضي ساعة أو نحو ذلك في قاعة العرض . وأبداً لم أحلم بأني سأقضي ثلاثة أيام كاملة من أيام المعرض الستة في متابعة المعروضات والمزاد والحوار مع مجموعة الخبراء المختصين في الفنون الإسلامية ، الذين استقطبتهم دبي طوال فترة المعرض.

المعروضات

ما إن يلج المرء قاعة العرض الهائلة بالمركز التجاري ، حتى يلاحظ على الفور أن أيدي خبراء العرض قد لملمت الأنوار والأضواء على اختلافها من القاعة بأسرها ، ونثرتها ، كقطع الماس ، نقاطاً وهاجة من نور ، تركزت على المعروضات ذاتها ، بشكل مباشر ، فيما انسابت في أجواء القاعة موسيقى عربية وشرقية أصيلة ،





★ من الأعمال النحاسية الدالة على العبقرية الإسلامية في الفلك ★

وفي الأركان تعددت أجهزة الفيديو ، التي تعرض فيلماً مدته عشرون دقيقة لجميع القطع المعروضة ،مع تعليق وصفي وإيضاحي من جانب مسؤولي شركة سوثبي على هذه القطع .

ولأغراض الوصف والتبسيط، لا الحصر، يستطيع المشاهد تقسيم الأعمال الفنية الـ ٤١٢ إلى ثماني مجموعات محددة .

الأعمال الفنية

ففي صدر القاعة من جهة المدخل ، تصافح عين المشاهد مجموعة نادرة من الأعمال الفنية ، تشمل أولا **تسعة من حوامل القرآن الكريم** ، القابلة للطي ، صنع معظمها من خشب الجوز ، تنتمي غالبيتها زمنياً إلى القرن التاسع عشر للميلاد ، حلّيت جوانبها الخارجية بتشكيلات بالغة الدقة والرهافة من الأصداف ، وقوّمت أسعارها للحامل الواحد بما يتراوح بين ٨٠٠ إلى ١٢٠٠ دولار .

وتشمل مجموعة الأعمال الفنية كذلك على ألوان شتى من **الصناديق** ، منها ما أعد للكتابة ، وما خصص للمجوهرات ، أو لحفظ المصاحف الشريفة ، منها ما هو عربي وعثماني وهندي الصنع ، وكسيت إما بالصدف أو عظم السلحفاة . وتعود هذه الصناديق زمنياً إلى فترات مختلفة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وقوّم الواحد منها بما يتراوح بين **ستة آلاف إلى اثني عشر ألف دولار** .

أما مجموعات **الأدوات النحاسية** ، التي ضمها المعرض ، فقد صنعت على الطراز المملوكي ، وتعود إلى القرن التاسع عشر ، ومصدرها **سورية ومصر** ، **وتشمل الأباريق ، الأحواض ، المباخر ، المزاهر ، المصابيح ، الصواني ، الأطباق ، والكراسي المزخرفة** . ولعل أكثرها إثارة للاهتمام **كرة فلكية** من النحاس الأصفر ، ارتفاعها ١٧ سم ، وتعود إلى القرنين ١٩ ــ ٢٠ ، وقوّم ثمنها بما يتراوح بين ١٠٠٠ دولار إلى ١٥٠٠ دولار ، وكرة سماوية أخرى من النحاس الأصفر أيضاً ، بارتفاع ١٨ سم ، تعود إلى القرن السابع عشر ، قفز بها قدمها إلى سعر قوّمته إدارة شركة سوثبي بما يتراوح بين ٦ إلى ٩ آلاف دولار . **وأسطرلاب** لنصف الكرة السماوي ، مغربي الصنع ، من النحاس الأصفر ، يعود إلى القرن السابع عشر ، وقوّم **ثمنه بما يتراوح بين ١٥ إلى ٢٠ ألف دولار ،**

وآخر مغربي الصنع من النحاس الأصفر ، أكبر بما يقرب من ضعف الأول ، فقوّم بما يتراوح بين ٢٥ إلى ٣٥ ألف دولار ، ثم مجموعة من الحلي النادرة ، ترجع إلى القرن ١٨ ، قومت بما يتراوح بين ٢٥ إلى ٣٥ ألف دولار .

وتلفت الأنظار ، بصفة خاصة ، **ملعقة زجاجية** ، تعود إلى القرن ١٦ مصدرها **نيسابور** ، وارتفاعها ١٩ سم ، وتقول إدارة سوثبي إنه لا يوجد في العالم كله إلا ملعقتان من هذا النوع ، وربما لهذا السبب قوّمت هذه

الملعقة بما يتراوح بين ١٥٠ إلى ٢٠٠ ألف دولار .

الأسلحة

أما **المجموعة الثانية** ، التي احتلت صدر عمق القاعة بكامله تقريباً فهي مجموعة **الأسلحة الإسلامية والعربية التقليدية** .

وتشمل هذه المجموعة ، أول ما تشمل ، عدداً محدوداً من **الخناجر العربية المذهبة** ، تعود زمنياً إلى صدر القرن الحالي ، تراوحت أسعارها بين ٧٠٠ إلى ١٦٠٠ دولار للخنجر الواحد ، تليها مجموعة من الخناجر والسكاكين العثمانية والهندية ، يعود معظمها إلى القرن الماضي . . إضافة إلى مجموعة من **المسدسات الجزائرية والقوقازية والعثمانية** ، محلاة بالفضة والذهب ، وتعود في غالبها زمنياً إلى القرن الماضي ، وقُوِّم المسدس الواحد منها بما متوسطه خمسة آلاف دولار .

وعرضت مجموعة محدودة من **البنادق المغربية والعثمانية** الفاخرة ، منها بندقية طويلة مغربية جيِّدة ، من نوع **« سنافونس »** ، تعود إلى حوالي عام ١٨٣٠ م ، وقوِّمت بما يتراوح بين ١٥٠٠ إلى ٢٥٠٠ دولار ، يصل طولها إلى ١٧٧,٥ سم .

أما **السيوف** فقد عرضت منها مجموعة كبيرة ، لعل في مقدمتها السيوف العربية ، التي يستلفت النظر من بينها سيف ، وصف بأنه غير عادي ، يصل طوله إلى ١٠٣ سم ، حليت قبضته بالفضة وغمده بحلقات زخرفية جميلة ، وحفرت عليه الكلمات التالية : **بسم الله الرحمن الرحيم ـ نصر من الله** . وقوِّم هذا السيف بحوالي أربعة آلاف دولار .

ومن السيوف كذلك تميزت مجموعة كبيرة من **السيوف العثمانية** المعروفة باسم **« اليطغان »** . وتعود إلى القرنين ١٨ ، ١٩ قوِّم الواحد منها بما متوسطه ٥ آلاف دولار . إضافة إلى **سيوف تركية** أخرى ، منها سيف مصدره البوسنه ، يرجع إلى القرن الماضي .

أما **البلطة** الوحيدة في المعرض كله فهي بلطة **قاجارية** ، مصنوعة بكاملها من الفولاذ ، تعود إلى القرن الماضي ، **قوِّمت** بما يتراوح بين ٦٠٠ إلى ٩٠٠ دولار . ويأخذ نصلها شكل هلال صنع من الصلب المسقي ، وحليت بالذهب على الطريقة الدمشقية .

وشملت مجموعة **الدروع** أولا ترساً فولاذياً فارسياً مطعماً بالفضة والذهب مع خوذة تناسبه ، ويعودان إلى أواخر القرن ١٨ ـ بداية القرن ١٩ ، ثم خوذة فولاذية فارسية وواقية ذراع مع ترس يبلغ قطره ٥٠,٢ سم ، وتعود هذه القطع إلى القرن الماضي . تلي ذلك ثلاث خوذ فولاذية فارسية ، تعود إلى القرن التاسع عشر ، وأخيراً عرض **ترس هندي** صغير بقطر ٣١,٢ سم ، وزخارف هندية مميزة ، صنع بالكامل من الفولاذ ويعود إلى القرن الماضي ، وقوِّم هذا الترس وحده بما يتراوح بين ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ دولار .



★ مجموعة ثمينة من الخناجر مع أغمادها ★

النقود

فإذا ما انتقلنا إلى مجموعة **النقود** ، ألفينا

★ مجموعة من الخناجر المشرقية العتيقة ★

أنفسنا بإزاء قدر هائل وشديد التنوع من قطع العملة ، تتراوح مكانياً بين **إسبانيا** في أقصى الغرب **والهند** في أقصى الشرق ، وزمنياً بين صدر الإسلام والقرن الماضي .

وفي البداية ، يلفت النظر بشكل خاص **درهم** من الفضة ، ضرب أيام **الحجاج بن يوسف** ، نقش على وجه لفظ الجلالة ، بالخط الكوفي ، وعلى الوجه الآخر صور مختلفة ، وصف بأنه بديع السك ، بالغ الندرة ، وقوّم بحوالي ٢٥٠٠ دولار .

وعرضت من **النقود الأموية والعباسية** مجموعة لفتت الأنظار ، من بينها بصفة خاصة المجموعة التي تحمل رقم ١٧٢ ، وهي تضم **٦ دنانير ذهبية** ، تعود في تاريخ ضربها إلى الأعوام ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٦ هـ ، أي صدر الخلافة العباسية ، ووصفت بأنها بديعة للغاية ، وبعضها شديد الندرة .

وعرضت كذلك نقود ضربت في **شمال إفريقيا** ، **غرناطة** ، **عمان** ، **الهند** ، **مصر** ، وغيرها من أرجاء دار الإسلام .

البُسُط والسجاجيد

لما **المجموعة الرابعة** ، والأكثر عدداً من ناحية والأغلى قيمة بحسب تقويم خبراء الشركة صاحبة المزاد ، فهي **مجموعة البسط والسجاجيد** ، حيث ملأت باقي جدران القاعة في معظمها إضافة إلى قواطع خاصة نصبت لها . وندرك مدى ضخامة هذه المجموعة ، حين نعرف أنها تحمل الأرقام من ١٩٢ إلى ٣١٥ من بين إجمالي ٤١٢ عملاً فنياً ، هي إجمالي ما يضم المعرض من كنوز إسلامية .

وحتى لا يظن القارئ بنا مبالغة في تقدير قيمة هذه الأعمال ، يكفي أن نشير إلى عدد محدود من الأمثلة ، منها **سجادة توم كابور** كبيرة نادرة من الحرير والخيط المعدني ، يبلغ طولها ٥٤٩ سم ، وعرضها ٣٧٥ سم ، ومجموع عقدها يزيد على ٢٥ مليون عقدة ، قوّمتها الشركة العارضة بما يتراوح بين ١,٥ ـ ٢ مليون دولار ، وحينما بلغ أعلى سعر لها في المزاد ١,١ مليون دولار ، رفضت الشركة بيعها ، وسحبتها بالفعل من المزاد .

وعلى سبيل المثال أيضاً ، نشير إلى سجادة **مشهد صابر** ، البالغ طولها ٤١٤ سم وعرضها ٣١٦ سم ، التي تحتوي على ٢٠ مليون عقدة ، وقوّمت بما يتراوح بين ٤٥٠ إلى ٥٠٠ ألف دولار . وعلى وجه العموم ، فقلما تدنى ثمن أي سجادة إلى أقل من ٥٠ ألف دولار .

الأثاث

وشملت **المجموعة الخامسة** الخاصة بالأثاث مقاعد مطعمة وموائد مكفتة ومكاتب ، ومجموعات فريدة من المرايا المصرية والسورية تعود إلى القرن الماضي ، إضافة إلى باب زنزباري يعود إلى وقت ما بين القرنين الثامن عشر ، والتاسع عشر .

لوحات فنية

وتنوعت **المجموعات الثلاث الباقية** ما

بين فنون زخرفية شرقية وأوروبية بينها منحوتات وثلاث لوحات شرقية هي :

- لوحة فناء عربي **لأوجين جيرارديه** قوّمت بحوالي (٨٠) ألف دولار .
- لوحة شارع في القاهرة **لفريدريك جودول** قوّمت بحوالي (١٢) ألف دولار .
- لوحة عرب يصطادون بالصقور **لجورج واشنطن** قوّمت بحوالي (٣٥) ألف دولار .

وشملت كذلك مجوهرات وساعات وأقراط وقلائد حديثة الصنع غلب عليها التطعيم والترصيع بالماس والياقوت ، بينها تاج عريق للرأس من اللؤلؤ والماس يعود إلى منتصف القرن الماضي قوّم وحده بـ ٤٥ ألف دولار .

وفي إطار هذه المجموعات ، برزت مجموعة حلي وتحف هندية من تركة **مهراجا بارودا** ، أهمها على الإطلاق عصى للمشي في المراسم ، تعود إلى أواخر القرن الماضي ، قدّرت وحدها بحوالي (٧٠) ألف دولار .

أحاديث مع الخبراء

إلى جوار عرض القطع الفنية على امتداد ثلاثة أيام قبل المزاد ، قام مجموعة من الخبراء المختصين في شتى جوانب الفنون والإبداعات الإسلامية بإلقاء مجموعة محدودة ، ولكنها قيّمة حقًّا ، من المحاضرات ، حرصوا فيها على التركيز على الحقائق الأساسية في الموضوعات التي تناولوها من ناحية ، وعلى تبسيط الاصطلاحات واللغة الفنية المستخدمة في التناول من ناحية أخرى .

كانت المحاضرة الأولى التي ألقاها **روبرت إلجود** خبير الأسلحة والدروع بشركة سوثبي ، والمحاضر في **برج لندن** ، والمعروف بدراساته المتخصصة المنشورة في عدد كبير من الدوريات العالمية ، حول **« الأسلحة التقليدية العربية والإسلامية »** .

وألقى الخبير **سمير شما** محاضرة عن **« النقود الإسلامية »** ، **ونادا شالديكوت** محاضرة عن **« الحلي المغولية »** ، **وجاك فرانسيس** محاضرة عن **« الأبسطة والسجاجيد »** ، **ونيكولاس راينر** محاضرة عن **« الحلي الحديثة »** ، **وجاك فرانسيس** محاضرة أخرى عن **« انتعاش الأعمال الفنية المعدنية على الطراز المملوكي في مصر وسورية خلال القرن الماضي »** .



★ سيوف عثمانية من نوع اليطغان ★

وكانت ساعات ما بعد هذه المحاضرات فرصة لعدد من اللقاءات الخاصة لنا مع عدد من هؤلاء الخبراء .

وحرص الخبير سمير شما ، الذي عايش التطورات في مجال الفنون الإسلامية على امتداد أكثر من ربع قرن على إلقاء الضوء على "رضعية الراهنة للآثار الإسلامية ، من خلال الوقائع والحقائق والأرقام ، فضرب مثلاً محدداً لوضعية العملات والنقود الإسلامية ، بالإشارة إلى أنه بالرغم من قتامة الصورة في هذا المجال ، تبدو لنا في غاية الوضوح ، إذا ما تذكرنا أن **الاتحاد السوفيتي** وحده يمتلك ٤٠٠ ألف قطعة من النقود الإسلامية الذهبية والفضية ، **والسويد** على سبيل المثال بها حوالي ٤٠٠ ألف قطعة فضية عربية وإسلامية .

ويقول إن الكثير من التحف العربية والإسلامية جرى الاستيلاء عليها خلال الحملات الاستعمارية وما صحبها من عمليات نهب منظمة ، والنقود والمسكوكات كانت أكثر الآثار تعرضاً لهذا النهب ، لأنها هدف طبيعي ، ولسهولة حملها ، وتحفل متاحف أوروبا وأمريكا ومحال الآثار بها بآلاف القطع القيّمة ، التي غادرت العالم الإسلامي عن هذا الطريق ومن خلال التهريب أو الاحتيال على الملاك الأصليين .

ويضيف إن هذا كله لا يعني إطلاقاً المساس بأية جهة تنظم مزاداً كالذي تقيمه سوثبي ، لأن الشركة في النهاية تقوم بعمل تجاري مشروع في النور ، لتجميع المعروضات بأثمان غالية أصلاً ، وإعادة بيعها ، في إطار تجاري ، يتيح لأصحابها الأصليين استردادها



★ مسدسات عثمانية نادرة ★



وللأجيال الجديدة الاطلاع على تراثها وفنون أجدادها .

ويعرب الخبير شميًا ، في الوقت نفسه ، عن تفاؤله حيال ظهور حركة جديدة في العالمين العربي والإسلامي ، قوامها جيل جديد من الهواة المتحمسين ، الذين يدفعون الكثير لاسترداد آثار الأجداد ، ويشير إلى أن في مقدمة الرواد الكبار الذين مهدوا الطريق أمام هذا الجيل الجديد من الهواة شخصيات عربية بارزة لها حضورها وتأثيرها ، مثل **الشيخ ناصر الأحمد** وزوجته الشيخة **حصة** مديرة المتحف الإسلامي بالكويت ، حيث يحتفظ الشيخ ناصر بالمتحف حالياً بمقتنيات غالية الثمن ، جمعها طوال ما يزيد على ربع قرن ، وقدمها للمتحف كنوع من الإعارة الدائمة .

ونوّه الخبير كذلك بما تبديه المتاحف الوطنية الخليجية من حرص على جمع التراث الوطني ، مشيراً بصفة خاصة إلى جهود المسؤولين عن **المتحف الإسلامي بالرياض ومتحف جامعة الملك سعود بالرياض أيضاً وجامعة أم القرى بمكة المكرمة** . وأشاد بالتجربة القطرية في هذا الصدد ، وقال إن **متحف قطر** اشترى قبل ١٠ سنوات مجموعة أثرية بحوالي ٤ ملايين ليرة لبنانية ، أصبحت تقدر الآن بحوالي ٥٠ مليون درهم من دراهم الإمارات .

ويؤكد الخبير شميا في ختام الحوار معه على أن هذه الجهود المبذولة في هذا الميدان هي من قبيل الواجب الوطني ، لأنها في جوهرها محاولة من الأبناء لاسترداد مفردات تراث وتاريخ الآباء والأجداد .

أما الخبير **موريس لوتشي** ، الذي تمتد خبرته في شؤون التحف والمصنوعات اليدوية الإسلامية عبر ثلاثة عقود من الزمن ، فقد حرص على أن يلقي الضوء بصفة خاصة على **الوضعية الراهنة في مجال فنون الأبسطة والسجاجيد** .

قال : إن ذات الثروة الحقيقية مستمدة من الجوهر الداخلي الأصيل لهذه الأعمال ، حيث إنها نتاج قدر هائل من العمل على مستوى رفيع من المهارة . **والسجاد الإسلامي في مقدمة هذه الأعمال** ، ولعلنا نلاحظ أن هناك سجاجيد صغيرة الحجم نسبياً تضم ملايين العقد ، أحكمت كل منها في ربطها يدوياً وفق تقاليد فنية ــ مهنية تراكمت عبر القرون .

ويقول الخبير لوتشي : إنه بات من الضروري إعادة إحياء الفهم الصحيح لفن ومهنة إبداع العقدة في السجاد ، عن طريق الوصول بأكبر قدر من الوضوح إلى فهم القيمة الجوهرية لكل عمل على حدة ، على أساس سبعة مستويات لتقويم العمل على الأقل .

ويضيف : إن الدراسات التقليدية في هذا الميدان سادتها رغبة الأكاديميين في تحليل الأعمال المختلفة وتحديد عمرها الزمني ، وذلك في إطار قدر هائل من التفاصيل عن المواد الخام والأصباغ والأساليب الفنية المستخدمة . غير أن هذا التيار المحترم قيمته الآن ، في ظل معطيات ثورة المعلومات الراهنة ، التي تطرح علينا ركاماً هائلاً من المعلومات ، يختنق تحته عشق هذا الفن والولع به . ومن هنا فإن الحاجة ماسة إلى نوع من الدراسة تكون بمثابة خلاصة تركيبية لكل هذا توازي في عبقريتها دراسة **أرثر أوفام بوب** الكلاسيكية عن فن العقدة الإسلامية .

ويمضي إلى التحديد ، فيقول : إن مستويات التقويم السبعة لهذا اللون من الإبداع الفني تشمل الأعمال ذات الطابع التجاري ، وتلك القابلة للاندراج في مجموعات يحتفظ بها الهواة ، والمهارة الحرفية ، والإبداع الفني ، ثم الاستثمار الفني ، وتحويل العمل إلى ثروة ، وتحويله إلى ثروة فائقة .

ويقول الخبير لوتشي ، مختتماً ملاحظاته : إن هناك الآن العديد من البرامج التقويمية التي يجري تنفيذها الآن بالفعل ، للهواة والمحترفين على السواء ، لعل في مقدمتها البرنامج الذي ينفذ في **لوكسمبورج وسويسرا** من خلال تعاون **دار لوكسمبورج وفيني** للخبرة الفنية

والاستشارات ودار سكوربيون للاتصالات والمطبوعات .

أصالة الفن الإسلامي

بقدر وضوح الإسهام العربي في تيار العبقرية الفنية الإسلامية ، وبقدر التبلور الواضح للإبداع الفني الإسلامي بما لا يدع مجالا للتشكيك أو النفي ، أو الإنكار ، فإننا نجد بعض التيارات ، وخاصة ما يلتف منها بـرداء الدراسات الاستشراقية ، التي تحاول أن تطفئ هذا النور ، عبثاً ، بأفواه أصحابها .

ولعل أصداء هذه التيارات هي التي انعكست في سؤال وجهته صحافية أميركية إلى خبير السلاح روبرت إلجود ، وقوامه علامة الاستفهام التالية : **إذا كنا في غمار الحديث عن الفن الإسلامي نشير إلى المؤثرات الفنية لشبه القارة الهندية ووسط آسيا وغيرهما من المناطق ، فلماذا إذن نتحدث عن «فن إسلامي» قائم بذاته ولا نتحدث عن الفنون بحسب انقسامها جغرافياً ؟**

وفي معرض الرد على هذا السؤال حرص روبرت إلجود على ان يؤكد أنه **لا سبيل إلى المماراة أو التشكيك في وجود وأصالة وعبقرية الفن الإسلامي ، كفن قائم ومتميز عن غيره من الفنون ،** فنظرة واحدة إلى أي عمل فني كافية للقول بما إذا كان عملاً فنياً إسلامياً أو لم يكن كذلك ، ذلك أن الروح الإسلامية صهرت في بوتقتها الهائلة ، وفي إطار عبقريتها الكبرى الممتدة من **جبال البرانس** عند التخوم بين **إسبانيا وفرنسا** وحتى **سواحل الصين** ، العديد من التكتل والتجمعات البشرية والعرقية ، وجعلت جميع أفراد هذه التجمعات إخوة . ومن الطبيعي أن كل تجمع من هذه التجمعات وضع قدراته في خدمة الكل الإسلامي الواحد ، **لكن النتاج الكلي لهذه العملية بأسرها في شتى ألوان الفنون استوحى قناعات وتأثيرات . واتخذ أشكالا وتجليات ذات طابع ديني وروحي وفلسفي وجمالي محدد ، نبعه المباشر والواضح هو الإسلام .**

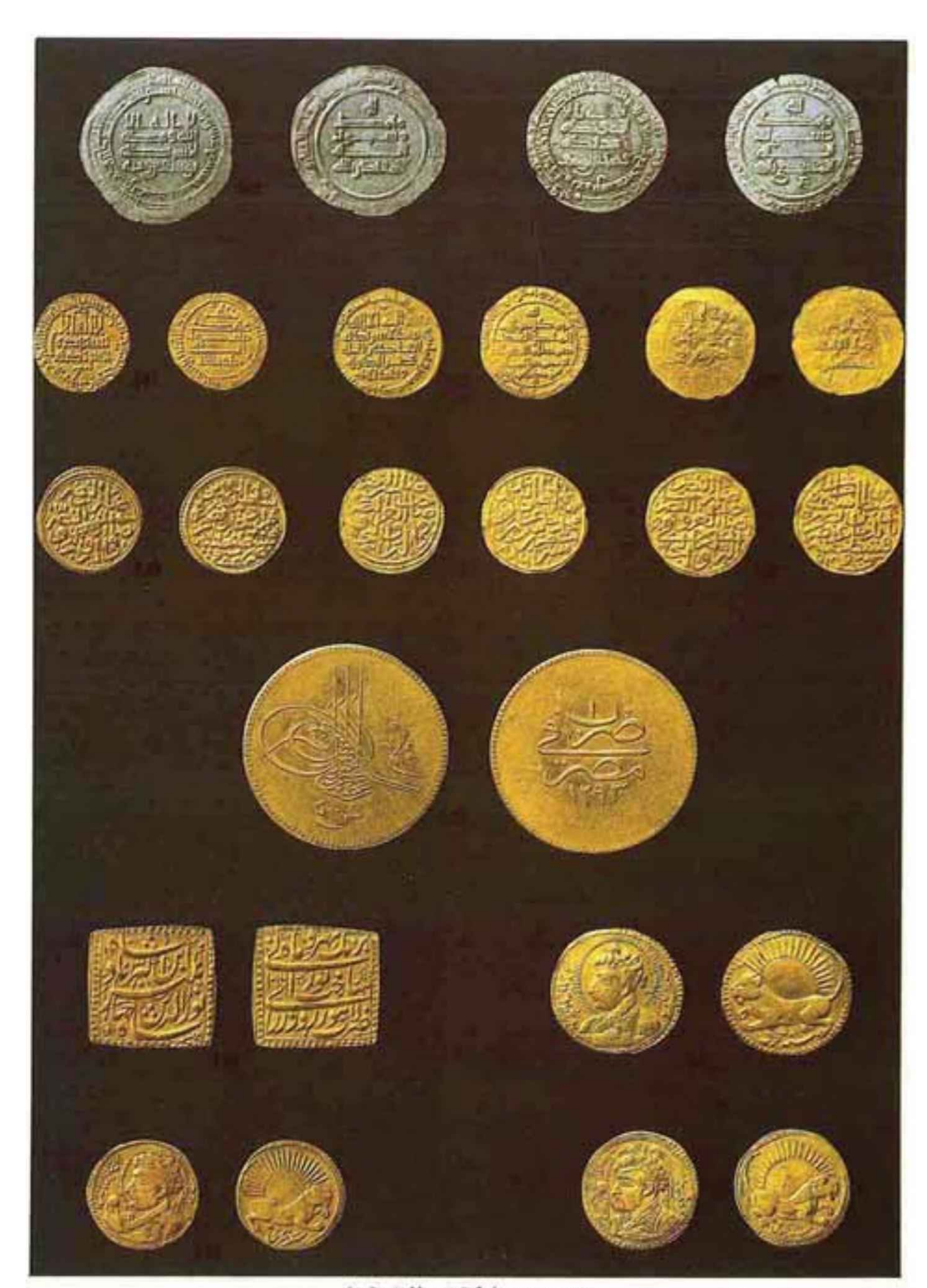


★ ترس هندي ومجموعة من الخوذ ★

في منطقة الخليج

وفي لقاء مطوّل لنا مع الخبير البريطاني ، حرصنا على أن نسأله عن تصوره **للقواعد العامة التي تحكم فلسفة تصميم وتنفيذ الأسلحة التقليدية في منطقة الخليج ،** فأعرب عن اعتقاده بأن من الصعوبة البالغة الحديث عن مثل هذه القواعد العامة ، حيث إن منطقة الخليج كانت دائماً على اتصال مع شبه القارة الهندية ومع الساحل الشرقي لإفريقيا ، بحيث يجد المرء المئات من قطع السلاح وخاصة السيوف التي صنعت في **حيدر أباد** وتحمل معالم وتأثيرات الصناعة هناك جنباً إلى جنب مع بعض الخطوط العربية المحضة ،

الأمر الذي يوحي بأن هذه الصناعة الضخمة في حيدر أباد صنعت السيوف بأعداد كبيرة لحساب الخليج ، ووفق مواصفات حددها أبناء الخليج بأنفسهم .



★ مجموعة المسكوكات الإسلامية ★

اليماني والهندي

من هنا ، فإن الأدبيات العربية القديمة ، في مجال تناولها لأنواع السيوف ، حددت ، إلى جوار **السيوف اليمنية** ، **السيوف الهندية** بصفة خاصة ، وأكدت على تميزها وأهميتها .
وكقاعدة عامة فإنه إذا كانت السيوف اليمنية تتميز باستقامة النصل مع تقوس خفيف في مقدمة السلاح ، فإن السيوف الهندية يمكن أن تميز بأكثر من وسيلة ، منها ميل صانع السيوف الهندي إلى جعل نهاية طرف المقبض على شكل رؤوس حيوانات ، وميله كذلك إلى ترك تأثيرات شكلية معينة على وجهي النصل ، وذلك عن طريق تغطية أجزاء بعينها من النصل في أشكال محددة خلال سقاية السلاح وترك أجزاء أخرى دون تغطية بأنواع من الشمع ، مما يؤدي إلى تجميل نصل السلاح بشكل بديع .

وللخناجر تقاليدها

وكقاعدة عامة أيضاً يمكننا القول إنه إذا كان الخنجر اليمني يميل إلى الاستدارة والتقوس الشديدين ، فإن الخنجر العماني مستدق النصل ، باستثناء طرفه ، الذي يتقوس بصورة غير مبالغ فيها .

وقال رداً على سؤال آخر لنا حول ما إذا كان يعتقد بأن صناعة الأسلحة التقليدية في الخليج ، وخاصة الخناجر ، سيكون مآلها الاختفاء كما حدث لبعض الصناعات التقليدية الأخرى تحت ضغوط عصر النفط ، أجاب إنه لا يعتقد ذلك بالمرة ، بل يستطيع التنبؤ على عكس ذلك بأن السنوات المقبلة ستشهد إحياء لهذا النوع من الإبداع الفني بصورة لم يسبق لها مثيل .

وأضاف : إن الطلب على الأسلحة التقليدية ، وخاصة الخناجر ، يتزايد في الخليج ، وسيزداد أكثر مستقبلاً مع إقبال أعداد أكبر من الناس على اقتنائها ، خاصة أنها بعد فترة محدودة نسبياً تتحول إلى مقتنيات أثرية حقيقية ، ومن ناحية أخرى فإن صناعة الخناجر على نحو ما تتم به في الخليج ليست معقدة أو مركبة بالدرجة التي يتصورها الكثيرون ، بل هي أقرب إلى بساطة البادية وتقشفها ، على الأقل فيما يتعلق بالنصل ، الذي هو جوهر أي سلاح تقليدي ، حيث إن المقبض والغمد قابلان للتغيير باستمرار وفي أي وقت .

ومضى قائلاً : قد يدهش الكثيرون حينما يعلمون أن صناع الخناجر التقليدية غالباً ما يشعرون بالاستياء إذا طلب منهم صنع السلاح الذي يريد المرء شراءه بشكل معيَّن يخرج على التقاليد الموروثة ، وغالباً ما تكون الإجابة بالإشارة إلى هذه التقاليد ، وحتى إذا قبل الصانع تنفيذ التصمم المقترح فإنه في قرارة نفسه سيعتبر مثل هذا الطلب من قبيل المساس بكبريائه المهني . إضافة إلى ذلك فإن المشاغل الحرفية متوسطة الحجم بصناعة الأسلحة التقليدية تطرح نفسها على أرض الواقع بالنسبة للكثيرين ، كاستثمار عملي مجز تماماً ، الأمر الذي يتوقع معه أن يظهر إلى حيز الوجود العديد من مثل هذه المشاغل مستقبلاً ، على نحو ما حدث في **استانبول** بتركيا ، على سبيل المثال ، وهو

ما من شأنه إحياء التقاليد الأصيلة لهذا الإبداع وإنعاشها بشدة .

نصائح

المهتمون بجمع الأسلحة التقليدية واقتنائها يواجهون مشكلات عديدة ، خاصة في بداية اهتمامهم بهذا الميدان ، في التعرف على ما هو أصيل وما هو زائف أو لا قيمة له من هذه الأسلحة ، خاصة في أسواق شبه القارة الهندية ، وبعض الأسواق العربية . من هنا كان طبيعياً أن نسأل خبير الأسلحة والدروع روبرت إلجود عن **النصائح التي يمكن أن يقدمها للهواة ، على طريقهم الطويل مع فن الأسلحة التقليدية الإسلامية .**

قال إلجود : إن السلاح التقليدي ، أي سلاح ، يستمد أهميته وقيمته من نصله في المقام الأول ، وليس من مقبضه أو غمده أو زخرفاته . من هنا فإن الاهتمام ينبغي أن ينصب أساساً على النصل ومدى جودة صناعته وتقنيته وزخرفاته ، سواء المستحدثة عن طريق قنوات في قلب النصل أو من خلال الطرق عليه ، ومدى دقة سقي قلب السلاح وحوافه والمادة المستخدمة في صنعه ، وما إذا كانت قطعة مصمتة أو طيات ركبت بالطرق بعضها فوق البعض الآخر .

والعديد من الأسلحة التقليدية في أسواق شبه القارة الهندية التي تقوم على أنها قديمة وأثرية وذات قيمة تاريخية رفيعة ليست في واقع الأمر إلا أسلحة حديثة الصنع عولجت بالليمون والأحماض لتبدو قديمة ، بينما هي ليست كذلك . ومن الممكن التعرف في مواجهة هذه الحالات على مدى قدم السلاح من خلال العديد من العناصر ، منها على سبيل المثال وجود توقيع صانعه وتاريخ الصنع على النصل ، والتآكل الناتج عن شحذه على مدار سنوات الاستخدام ، وما إذا كانت الزخارف الموجودة على النصل تتبع نماذج سليمة في الزخرفة .

أما بالنسبة للمقابض والأغماد فيجب أن



★ عصا من تركة مهراجا بارودا ★



تتذكر أنها ليست ذات دلالة حقيقية بالنسبة للسلاح لأنها قابلة للتغيير بسهولة وفي أي وقت ، وقيمة المقبض ، بصفة عامة ، تكمن في مدى قدمه وندرته وصحة نماذج زخرفاته .

وتطرق خبير الأسلحة والدروع في شركة سوثبي إلى مجال آخر في هذا الإطار ، فقال : إنه بالنسبة **للأقواس والسهام** فإنني لا أنصح من يعثر على قوس قديم ، وبصفة خاصة ما ينتمي منها إلى تركيا ووسط آسيا بمحاولة تجربته واستخدامه لأنه غالباً ما يتحطم في غمار مثل هذه المحاولة .

وأنواع السهام عديدة ، فمنها ما كان يستخدم في صيد الحيوانات ، وتلك تتميز بمؤخراتها العريضة ، ومنها ما كان يستخدم في صيد الطيور ، وتلك تتميز بمقدماتها المفلطحة . ومنها ما كان يستخدم في المعارك بين الجيوش كثيفة التدريع ، وتلك تتميز بمقدماتها المدببة .

ونلاحظ أن كسر جزء من مقبض السلاح على نحو يصعب إحلاله إلا باستخدام مواد جديدة يقلل على الفور من قيمة السلاح إلى مجرد ثمن رمزي ، كما أن العديد من أنواع الخناجر الهندية والسكاكين المستخدمة تقليدياً في صيد النمور لا قيمة لها من الناحية العملية لسبب بسيط ، هو أن الأسواق متخمة بها .

واستخدام الذهب في تجميل مقابض السيوف ، والخناجر بصفة خاصة لا يرفع من

★ من التماثيل النادرة ★



من العناصر، منها درجة التكنولوجيا المستخدمة في صنعه وخاصة بالنسبة للأسلحة النارية والمواد المستخدمة في الصنع والمؤثرات الجمالية والزخرفية والعديد من العناصر الأخرى.

والحقيقة الأساسية التي يجب أن نتذكرها هنا هي أن الأسلحة التقليدية، باستثناء ما صنع منها خصيصاً لأغراض الزينة والوظائف المراسيمية، هي أشياء صنعت لاستخدامها في وضعية الصدام، أي للقتال مباشرة في المعارك والحروب، ومن هنا فمن الطبيعي أن تتعرض للتحطيم والتلف.

ومن العناصر المهمة كذلك أن **العديد من عمليات إعادة تأهيل السلاح تمت دون وعي بالقيمة التاريخية**. فكثيراً ما يعمد من تصل إلى أيديهم الأسلحة التقليدية، ربما في معرض توقير أصحابها الأصليين من أسلافهم، إلى إحلال مقابض ثمينة محل مقابض السيوف القديمة، وأغمدة مرصعة محل الأغمدة الخشنة العتيقة، دون أن يفطن القائمون بهذا إلى أنهم بذلك يلحقون ضرراً جسيماً بالسلاح الذي يتناولونه بالمعالجة.

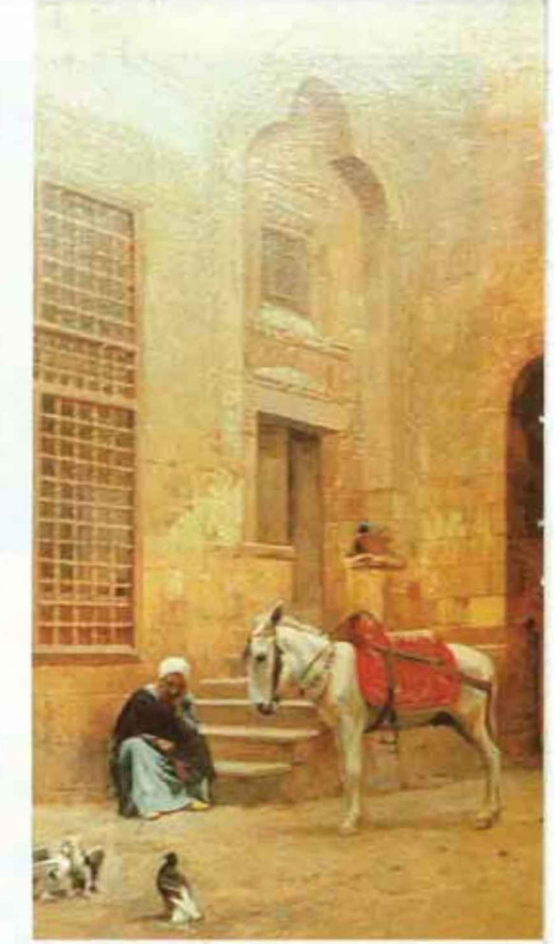
ومن المألوف كذلك ــ والحديث لا يزال للخبير الجود ــ أن تجرى، خاصة بالنسبة للأسلحة النارية، عملية إحلال أجزاء أو مواد حديثة محل أجزاء محطمة أو بالية من السلاح.

وهذا يؤدي على الفور إلى التقليل من الأهمية التاريخية والأثرية للسلاح.

وإلى هنا ينتهي الحوار مع الخبراء، لكن ما يبدأ حقاً هو إدراك أن معرض الفنون الإسلامية الذي شهدته دبي مثّل في المقام الأول انطلاقة كبرى للوعي بقيمة ما أبقته لنا الأيام من آثار العبقرية العربية والإسلامية في كافة المجالات، ولإدراك أن من واجبنا أن نعيد آثارنا المغتربة وأن نشد الأيدي والأعين والقلوب على ما هو بين ظهرانينا من هذه الإبداعات، لأنها في المقام الأول والأخير جزء من النسيج الحي لتاريخنا ولما هو أصيل وصادق وحقيقي ونبيل فينا.



★ باب محلّى بنقوش إسلامية نادرة ★



★ لوحة فناء عربي ــ لأوجين جيراردين ★

قيمة السلاح، لمجرد كونه ذهباً، وإنما يرفعها بأنماط زخرفية وصحة نماذجها وتكاملها في وحدة عليا مع باقي عناصر السلاح.

ورداً على سؤال طرحناه على الخبير حول عملية إعادة السلاح إلى حالته الأصلية تجاوز لما لحق به من تلف أو تآكل ومدى تأثيرها على عمر السلاح وقيمته قال: إن الحديث عن إعادة السلاح إلى حالته الأصلية يرتبط بالعديد

★ سجادة تبريز حريرية قومت بما يتراوح بين مليون إلى مليون ونصف دولار ★



اكتشافات علمية • اكتشافات علمية • اكتشافات علمية •

علم الاحاثات
Paleontology

اكتشاف عظام أقدم ديناصور

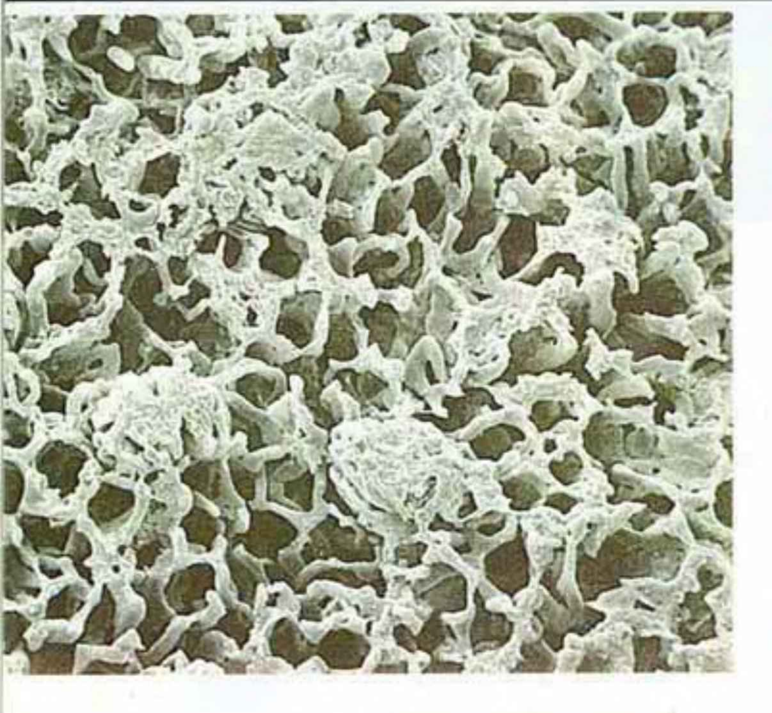
تم في أميريكا أكبر كشف علميّ في عالم المستحاثات، والكشف عبارة عن قطع عظمية صغيرة نادرة جداً لأقدم هيكل عظميّ لديناصور **Dinosaur** وجد على الأرض، ولم يُعثر على مثلها من قبل أيّ إنسان حتى الآن، والديناصور المكتشف ينتمي لعائلة الديناصورات المسماة بالدينوساورس dinosaurs التي هي عائلة غير



تقنية
Technic

أول صورة لنسيج حيّ بثلاثة أبعاد

يستعمل الميكروسكوب الإلكتروني لتكبير الأشياء حتى (٥٠.٠٠٠) مرّة في عالم الأشياء الدقيقة جداً، مع حدّ أدنى بسيط من الانحراف، ويعمل الميكروسكوب الإلكتروني بطريقة بث حزم من الإلكترونات على الشيء المراد تكبيره، ولكن الخلايا الحية لا تبقى حية في أي فراغ وتموت مباشرة، **وعلى هذا فإن الميكروسكوبات الإلكترونية الحديثة تستخدم حالياً فقط لفحص وتكبير الأشياء الجامدة غير الحية أو الكائنات الميتة.**



وقد اخترع العلماء الباحثون في (MIT) برئاسة مهندس الطب الحيوي العالم (آلان نلسون Alain Nelson) تقنية جديدة تمكنهم من تكبير النسيج الحيّ، وأكثر من ذلك تمكنهم من تصويره (بالأبعاد الثلاثة three dimensions). فقد وضعوا عيّنة من نسيج حيّ يراد تصويرها ضمن إطار منفذ يحتفظ بهواء كاف لينتج حوالي عشر الضغط الجوّي الطبيعي، وكان هذا كافياً

معروفة تماما للعلماء حتى الآن.

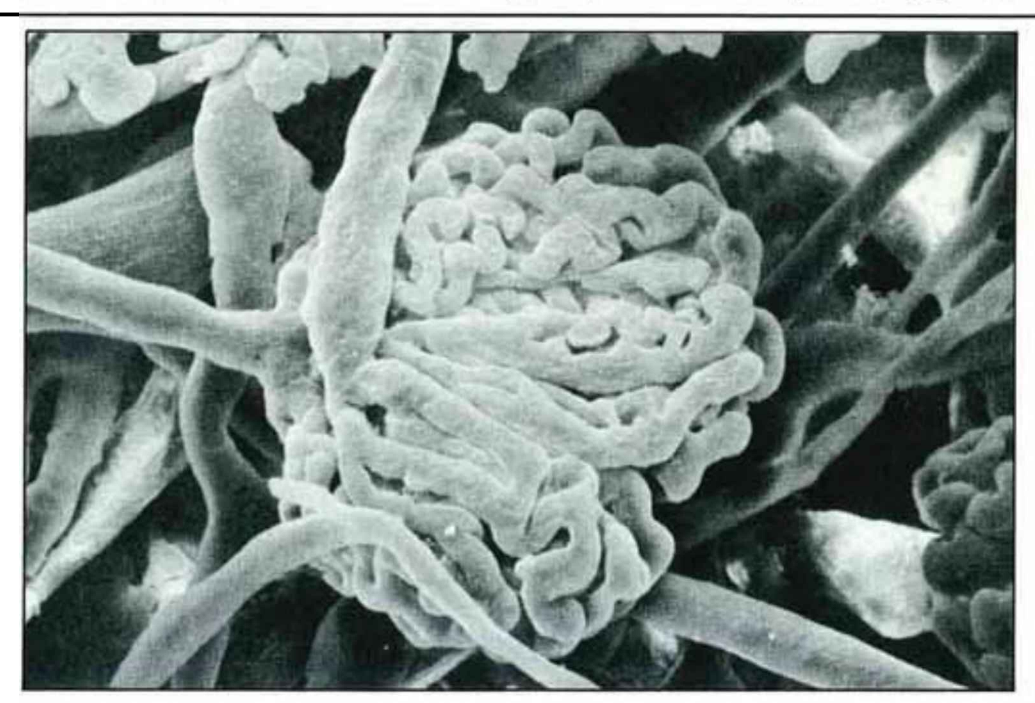
اكتشف هذه العظام (بريان اسمول Brian Small) طالب الدراسات العليا في معهد تكساس، وثلاثة من رفاقه.. وقد قام بترتيبها، فوجد أنها عبارة عن أجزاء من ساق خلفية وكاحل (رسغ القدم)، حيث كانت جميعاً متماثلة ويكمل بعضها البعض الآخر.

ثم وجد بعد ذلك أفراد بقية فريق البحث من العلماء عظاماً أخرى كثيرة في نفس مكان العظام المكتشفة، منها ساق ديناصور خلفية كاملة، وكانت جميعها تنتسب لنفس نوع الديناصور المكتشف.

ويزن الديناصور المكتشف حوالي (١٠٠) باوند (الباوند = ٤٥٣ غراماً)، ويقدر أنه عاش مع بدء ظهور عصر الديناصورات على الأرض منذ (٢٢٥) مليون عام! وهو ديناصور صغير الحجم متحدّر من سلالة الـ (Thecodonts)، وهي الزواحف reptile العملاقة التي كان يزن أحدها أكثر من (١٠) أطنان، والتي عاشت في نهاية عصر الزواحف على الأرض.

وهذا الديناصور هو غير الديناصورات آكلات اللحوم الضخمة والقوية التي ظهرت في عصر تالي له، ومنها الديناصورات الرهيبة المسماة (بالتيرانوساورس tyran-nosaurus)، وغير الحيوانات الصغيرة التي كانت تأكل النباتات ولا تستطيع الوقوف على قوائمها الخلفية، وتخوض في المستنقعات المائية التي كانت تغطّي منطقة أريزونا حينها، وهي تسير على قوائمها الأربع.

ونرى في الصورة العالم (روبرت لونغ Robert Long) من جامعة كاليفورنيا (بيركلي)، وأمامه عظام أقدم ديناصور مكتشف حتى الآن، والذي عاش في منطقة أريزونا منذ (٢٢٥) مليون عام!



لتحافظ العيّنة من النسيج الحي على حياتها بنسبة ما، وبشكل لا يشتت تركيز حزم الإلكترونات الموجّهة من جرّاء التصادمات العشوائية لها من جزيئات الهواء الكثيرة جداً.

ولإنتاج صور للنسيج الحية بثلاثة أبعاد، عمد العلماء الباحثون إلى أخذ فكرة ما من طريقة عمل الأجهزة الكومبيوترية الطبية الحديثة التي تعمل بأشعة (X)، بحيث يعرض الشيء المراد تصويره من زوايا مختلفة، ومع كل فحص لجانب تنتج شريحة slice ببعدين تخزن في الكومبيوتر، ثم تجمع هذه الشرائح من قبل الكومبيوتر لتشكل صورة بثلاثة أبعاد تعرض على شاشة تلفزيونية وكأنها صورة حية واقعية.

والعلماء الآن متفائلون بالنتائج، ويقولون إن العقبات التي تعترض المجهر التجريبي حتى الآن هي تقنية أكثر منها عضوية، ويقول العالم (روي هيوز Roy hughes) من معهد نلسون: «إننا أمام عمليات خلق وتجسيد للأشياء، ونحن نأمل أن نحقق أسلوباً جديداً كاملاً في عالم رؤية الأشياء وخاصة النسج الحية، وأيضاً نأمل بعد هذا أن نمتلك أسلوباً جديداً للفهم». ونشاهد صورتين لنسيج حيّ live tissue لكلية مصوراً بطريقة الثلاثة أبعاد الجديدة، والصورة التي على اليسار مكبّرة (٤٤٠) مرة، والصورة التي على اليمين مكبّرة (١٢٩) مرة.



شعر: د. يوسف نوفل

ظلموكِ يا عمر الورو ... د وفيكِ قلبٌ من حديدْ

ظلموكِ يا إنذارَ بُرْ ... كان وإعصار مبيدْ

ظلموكِ أنَّكِ تفتدي ... ن الشعب من ذلِّ القيودْ

لم ترهبي البارود يحـ ... ـصد ثائريكِ ولا الرعودْ

تتقدمينَ صفوف شعـ ... ـبك في السدود وفي الحدودْ

وأمامكِ المستعمرو ... ن يدنِّسون ثرى الجدودْ

وإزاءكِ الجلاد يهـ ... ـوي بالفناء على الشهيدْ

فيخرُّ ينزفُ من دما ... ه بساحة الشرف المجيدْ

وتفيض روح حيرةٌ ... وتعود أخرى من جديدْ

والركب يزحف ثابت الـ ... إيمان للعلْيا يشيدْ

صرْحَ التحرر بالقلو ... ب يشيده صرحاً وطيدْ

فتيانه لهب توقد للحياة وللخلودْ

بالحق نظفر بالسلا ... م وبالسلام غداً نسودْ



الرسم التوضيحي لأحد التصاميم الأولى للبنكرياس الصناعي

البنكرياس الصناعي

بقلم: د. محيي الدين لبنية

إن المشاكل الخاصة بالمناعة الطبيعية لجسم الإنسان، والصعوبات المتعلِّقة بعملية زراعة البنكرياس، أو أجزاء منه، قد دفعت العلماء إلى تطوير وسائل إعطاء الأنسولين لمرضى البول السكري، ولقد أثمرت الجهود في أوائل السبعينات، إلى اختراع آلة هي بحد ذاتها مضخة للأنسولين insulin pump تقوم بأعمال البنكرياس الحقيقي المعطَّل، أو ذي الفعالية المنخفضة في الجسم، وتكون حساسة للارتفاع في مستويات سكر الدم، ومزودة بمشعر لقياس ما يحتاجه الجسم من الأنسولين للمحافظة على مستوى سكر الدم طول الوقت عند المستوى الطبيعي.

وكان سعي العلماء في البداية على تصنيع هذه الأداة بغض النظر عن حجمها، وإنما تركز على فعاليتها، وأجريت تجاربهم الأولى على الكلاب قبل محاولة استعمالها في الإنسان، وقام كل من العلماء الرواد Leibell, B Albisser, M في **تورنتو بكندا**، بتطوير آلة ذات حجم كبير نسبياً، يمكنها أن تنظِّم مستوى سكر الدم بدقة، وتقوم بعض الشركات بالولايات المتحدة الأميركية بإنتاجها تجارياً، واستعملت بنجاح في المستشفيات الكبيرة، لنقل المريض بالبول السكري خارج مرحلة الغيبوبة السكرية، والتثبيت السريع لأيض **metabolism** سكر الجلوكوز في جسمه، إلا أنه لا يمكن للمريض في هذه الحالة، الحياة بصورة عادية دون هذا الجهاز.

أنواعه

وأمكن التوصل إلى نوعين من البنكرياس الصناعي، أو الأجهزة الآلية للتحكُّم بمستوى سكر الدم، غير قابل للزراعة داخل جسم المريض، وهما عبارة عن صورة مقلدة في فعلها لجزر **لانجرهانس Langerhans Islands** التي



تقوم بإفراز الأنسولين في الدم . ويختلفا في طبيعة نظام العمل المتّبع في كل منهما ، ولكل منهما مزايا وعيوب وهما :

★ الأول : البنكرياس الصناعي ذو الدارة الكهربية ، أو الحلقة المقفلة closed loop .

★ الثاني : البنكرياس الصناعي ذو الدارة الكهربية ، أو الحلقة المفتوحة Open loop .

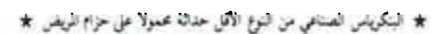
ويعتبر النوع الأول أكثر تقليداً في عمله لخلايا بيتا (B) في جزر لانجرهانس للبنكرياس الطبيعي . وهو مزوّد بعقل إلكتروني ، يجعل ردود فعل البنكرياس الصناعي تتأثر بالتغيُّرات في مستويات سكر الدم ، وبمشعر السكر Glucose sensor ، الذي يكشف عن وجود السكر ، ويقيس تركيزه ، وخزان للأنسولين ، ومضخة لحقن جرعات صغيرة جداً منه متصلة بمصدر للطاقة لتشغيلها .

وهذا الجهاز مرتفع الثمن ، ولا يمكن حمله مع المريض ، ويستعمل في حالات مرضية معيَّنة ، ولفترات محدودة خاصة أثناء حالات الطوارئ بالمستشفيات ، وخلال وبعد إجراء العمليات الجراحية لمرضى السكري ، وأثناء الحمل والولادة للمرأة المصابة بالسكري ، ويستعمل في تحديد متطلبات الجسم من السكر (الجلوكوز) والأنسولين ، المطلوبة في حالة انخفاض مستوى السكر المزمن ، أو نتيجة لحدوث الورم الأنسوليني في البنكرياس insulin oma ، كما يكون هذا الجهاز مفيداً في علاج حالة **التخلف الحمضي السكري diabetic ketoacidosis** الناشئة عن زيادة تكوُّن الأجسام الكيتونية في الدم (الأسيتون ، وحمض بيتا هيدروكسي بيوتريك ، وحمض أسيتوخليك) ، نتيجة الأكسدة الحيوية غير كاملة للأحماض الدهنية في جسم المريض بالبول السكري ، بحيث ينقل المريض خارج هذه الحالة بسرعة ، كما يحتاج إلى كمية أقل من الأنسولين عنه بالحقن تحت الجلد . ولقد أشار العالمان Alt[illegible]er ، و Leibel عام ١٩٧٧ م ، إلى أنه يمكن للمريض بالسكري الذي يحدث له حالة التخلف الحمضي السكري ، استئناف تناول طعامه عن طريق الفم ، في أقل من ٢٥ ساعة بعد استعمال البنكرياس الصناعي ، كما تكون هذه الآلة مفيدة للأشخاص الذين استئصل لهم البنكرياس ، وغالباً ما يصاحب استعماله بعض المضاعفات .

ذو الحلقة المفتوحة

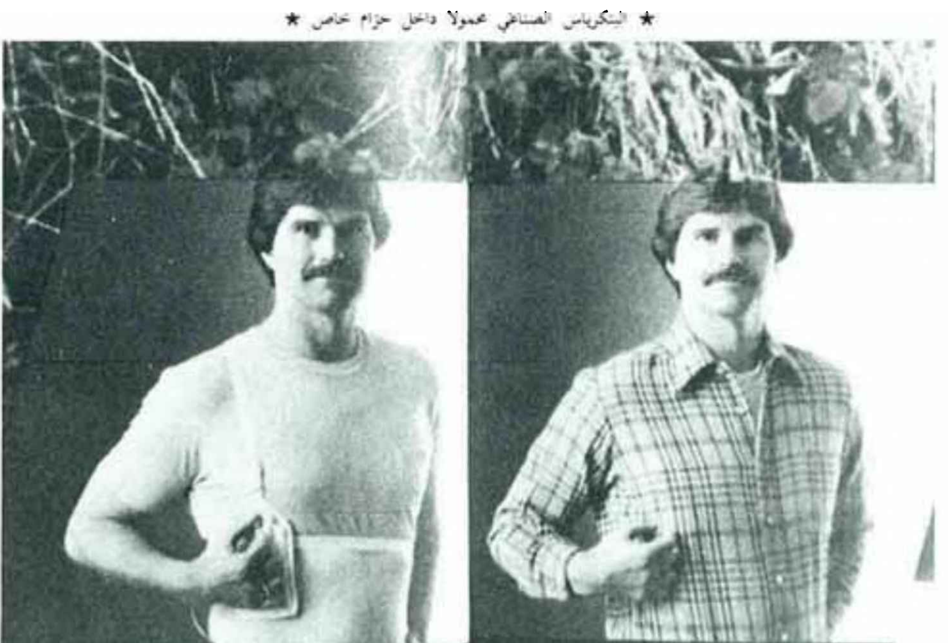
أما البنكرياس ذو النظام المفتوح ، فيسهل حمله على حزام الشخص كما هو موضح في الصور ، ومزوّد بمضخة لحقن الأنسولين تحت الجلد ، أو بالوريد ، ويحدّد معدل الأنسولين المعطى للمريض ، بواسطة برنامج خاص يشرف عليه الطبيب المختص ، كما يمكن للمريض المتمرن أن يكتسب خبرة ضبط العدّاد الخاص بمعدل الأنسولين المعطى بين الوجبات الغذائية عند مستوى معيَّن ، ثم التغيير إلى معدل أعلى لسريان الأنسولين قبل تناول كل وجبة غذائية ، واستبدال المحقنة المحتوية على الأنسولين يومياً .

ويحقن الأنسولين باستمرار في الجسم بواسطة هذه الآلة ، بناء على برنامج خاص ، وحيث لا يتوفر فيها أية وسيلة لقياس مستوى سكر الدم للمريض . ولقد ثبت صلاحية هذا النوع من البنكرياس في حالات مرض السكري **الغير مستقرة Unstabble or brittle diabetes** . كما يكون ذا فائدة كبيرة للأطفال


★ البنكرياس الصناعي من النوع الأول حداثة محمولاً على حزام المريض ★



★ البنكرياس الصناعي محمولاً داخل حزام خاص ★



المصابين بـالبول الـسكري ، أو مـا يعـرف بـ Juvnile diabetes . ويمكن أن يحـدث أحيانـاً عند استعماله زيادة في مستوى الأنسولين المحقـون في الدم ، نتيجة لإغفال إرجاع مؤشر الجهاز إلى الوضع الذي كان عليه قبل إعطاء الـوجبات الغذائية ، إلى المعدل الأساسي المطلوب بين الوجبات الغذائية . وقد تلاحظ حـالة انخفـاض مستوى الأنـسـولين في الـدم أو مـا يعـرف بـ Hypoinsulinemia عند انقطاع القـطرة عن الإبرة في الجهاز ، كما يمكن أن تحدث نتيجة لنسيان الشخص ، الحصـول على جـرعات الأنسولين الخاصة قبل تناول الوجبات الغذائية ، ارتفاع لمستوى سكر الدم ، والتخلُّف الحمضي السكري .

المزايا والعيوب

ويمتاز استعمال البنكرياس الصناعي عن إعطاء حقن الأنسولين للمريض بالطريقة العادية تحت الجلد ، بتوفير الأنسولين في صورة مبرمجة ، مما يحسن ذلك من مستوى سكر الدم ، سـواء في حالة الصيام ، أو بعد تناول الطعام . وهـذا يعني بأنه يخفف بصورة أفضل من حدوث حالة ارتفاع سكر الدم ، بعد الحصول على الغذاء .

ويمكن بـواسطة البنـكرياس الصـناعي التحكُّم بمستوى سكر الدم بعد الكشف عن تركيزه باستعمال أشرطة خاصة ، أو جهاز لقياس السكر « glucoscan » ، ومضاعفة جـرعات الأنسولين المعطاة نظامياً عند الضرورة . ولقد أمكن باستعمال البنكرياس ذي الخلقة المفتوحة ، حدوث وقاية أفضل ضد تفاعلات انخفاض مستوى سكر الدم ، إلا أنه يحدث لدى بعض الأشخاص انخفاض في مستوى السكر بالدم ، إلى أقل من ٥٠ ميكروجرام / ١٠٠ مل (dl) ، بدون شعورهم بالأعراض المرضية التي تصاحب عادة هذه الحالة .

ولاحظ بعض الباحثين ، بأنه يمكن عند استعمال البنكرياس الصناعي في المراحل المبكِّرة لمرض السكري ، للأشخاص الذين يعتمدون على الأنسولين ، تعديل لمستوى سكر الدم لديهم ، وكسر الدورة الخبيثة لزيادة مستوى السكر ، ونقص الأنسولين ، ثم زيادة مستوى السكر مرة ثانية وهكذا .

ويكون إعطاء الأنسولين بواسطة البنكرياس الصناعي مكلفاً نوعاً ما ، ولقد عرضت إحدى الشركات الأميركية نوعاً منه يمكن حمله (ذو الخلقة المفتوحة) ، بسعر حوالي (١٠٠٠) ألف دولار أميركي مع ملحقاته التي تشمل حزاماً وكمية من الأنسولين للاستعمال ، ولا يكون هذا الجهاز خالياً بصورة نهائية من الأعطال الميكانيكية ، وحدوث الخطأ أثناء ضبط المؤشر له ، سواء قبل تناول الوجبات الغذائية ، أو بينها ، أو عطل في مضخة الأنسولين ، إلا أن ذلك لا يكون شائع الحدوث .

زراعتـه

ولقد توصَّل التقدُّم العلمي ، إلى اختراع بنكرياس صناعي صغير الحجم ، يمكن زراعته في الجسم كالقلب الصناعي . ومزوَّد بعقل إلكتروني صغير لا يزيد حجمه عن ظفر الإصبع . كما قام الباحثون في جمعية **جوزلين لمرضى السكري** Joslin Diabetes Association بتصميم بنكرياس صناعي بحجم علبة السجاير . كما تمكَّن آخرون في جامعة **جنوب كاليفورنيا** بالولايات المتحدة الأميركية أيضاً ، من تصميم مشعر للجلوكوز ذي حجم صغير جداً ، ومزوَّد بمضخة بحجم الجوزة ، ولا نزال بحوثهم تتركَّز على تطوير تزويد البنكرياس الصناعي الصغير بعقل إلكتروني صغير أيضاً ، إلا أنه لا بد من القول إنه لا زال هناك الكثير من مشاكل التقنية ، في حاجة إلى حلول ، لتصبح عملية زرع بنكرياس صناعي داخل جسم المريض ناجحة تماماً في إنقاذ حياة الكثير من مرضى البول السكري .

★ حامل البنكرياس الصناعي يمارس حياته العادية ★



نفحة الله

شعر: المحامي محمد خلاد

ساءلوا عنك في ضمير الزمانِ ... وارتعاش الندى وطيف الأماني

صنع الله منك مضغة قلبي ... ثم شعت بنورك العينانِ

أيها الحب أنت روح ، وروح ... ومن الله نفحة في كياني

جئت كالشمس تملأ الأرض نوراً ... وتزين السماء بالألوانِ

فإذا الكون دفقة من شعاع ... قدسي مستوطن في جناني

جنبات التاريخ أيقظها همس ... المحبين في رياض الزمانِ

فكأن الأيام تصحو من الماضي ... وتستعيد الثواني

تنقل الأمس ذكريات عراضاً ... وترد الحياة للوجدانِ

يا نداء عذباً ـ أمل الأجيال ... أصداؤه ـ فصيح اللسانِ

العذارى على شاطئ ... أنغامه تلهو به وتشدو الغواني

فتلوح الأيام عابسة حيناً ... وأحياناً وردة كالدهانِ

ههنا معبد وهذي دموع ... بعثت في النفوس خضر الأماني

وحديث يذوب شوقاً ووجداً ... وأنين يرن في الآذانِ

سائل الأرض حين تمشي عليها ... هل هو الحب في وجوه الحسانِ

أم عطاء من القلوب وذوب ... من رحيق المنى وفيض الحنانِ

هو هذا وذاك فاستوضح الشرق ... عن البعث في الأكوانِ

هو في مولد الهلال ونسج ... النور فوق الهضاب والوديانِ

هو في روعة الصباح إذا ما ... أثخن الليل نافحاً بالأذانِ

فاسأل البدر والكواكب كيف ... السحر أمسى من سحرها الفتانِ

إن في سكرة الأصيل جمالاً ... كم روى عن جماله عاشقانِ

ليس حباً إذا طويت عن الدنيا ... هواناً وذبت في الأشجانِ

قد يغني الهزار وهو جريح ... وتجف الدموع بالأحزانِ

إن للحب جذوة واشتعالاً ... وفؤاداً يدق ليس بفانِ

وعيوناً ترى الليالي نهاراً ... رغم طول الدجى وليل الدخانِ



بقلم: محمد إبراهيم أبو سنة

◀ السلوك الإنساني والعواطف البشرية، والحب والكراهية، والحرب والسلام، والنقمة والرضى، كل هذه المظاهر الإنسانية للوجود هي التي دفعت الشاعر العربي، لصنع هذه السبيكة الذهبية الغالية التي نسميها "الحكمة" ◀

تعد الحكمة غرضاً أساسياً من أغراض الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى عصوره المتأخرة. وقد أفسح البلاغيون والكتاب أبواباً واسعة لدراسة أغراض الشعر ولعلهم أفاضوا في الحديث عن المدح والغزل والرثاء والوصف والهجاء باعتبارها من أبرز ما تبارى فيه الشعراء. ولعلهم أهملوا إلى حد ما نظرة التأمل العميقة التي كانت لدى الشعراء لأنهم نظروا إلى هذه التأملات من زاويتين :

● فهي إما تأملات تتجاوز بمجموعها الأعراف والتقاليد لتؤكد موقفاً ضد ما هو سائد من دين وعرف اجتماعي وكانت الأحكام قاسية على مثل هذه التأملات لأنها أدخل في باب الفكر والدعوة والوعظ منها في باب الفن والأدب. ولا شك أن هذه التأملات الفلسفية إذا استخدمنا هذا التعبير كانت أوضح من غيرها دلالة على ما هو قائم وما ينبغي تغييره ومن هنا تعرض هذا الشعر الذي ينطوي على مثل هذه التأملات لتدخل الفقهاء والعلماء والرؤساء مثل أشعار الخوارج وغيرهم .

● أما الزاوية الثانية فهي أن كثيراً من هذه التأملات كانت امتصاصاً سطحياً للقيم الدينية والفكرية بحيث جاءت في صورة موعظة حسنة أو نوع من الحث على العمل الصالح مثل أشعار **أبي العتاهية** والمنظومات المختلفة وكثير من هذه الأشعار. جاء فقيراً من الصنعة الفنية مما جعلها خاملة الذكر والشأن. لقد عرف الشعر فن الحكمة منذ هجست في روح الشاعر هذه الوساوس والظنون والمخاوف حول حياته ومصيره. ولا شك أن الشعر العربي في عصره الجاهلي كان عامراً بالأشواق الإنسانية إلى تجاوز المادي إلى المعنوي والمحدود إلى اللامحدود والفاني إلى الباقي. ولم يكن هذا العصر خالياً من النزعة الروحية بل لقد كان ثمة نوع غامض من الإيمان بالحياة الأخرى يجيش في نفس الإنسان في هذا العصر عبر عنه الشعراء في أشعارهم كما قال **زهير بن أبي سلمى :**

فلا تكتمن الله ما في صدوركم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
ليوم حساب أو يعجل فينقم

وإذا كان **زهير** يوحي بأن ثمة حياة أخرى تنتظر الإنسان فقد كان هناك على النقيض من هؤلاء الشعراء الذين رأوا في الحياة نهراً يصب في الموت. ومن ثم تصبح هذه الحياة فرصة أخيرة الأحمق من يضيعها وكان في مقدمة هؤلاء الشعراء **طرفة بن العبد**، الذي اندفع إلى حب الحياة كرد على الموت وكتعويض عنه في نفس الوقت .

لقد نشأت هاتان النظرتان متجاورتين في العصر الجاهلي. ولعل قضية الموت من أخطر الدوافع أمام الإنسان لتأمل الحياة وما بعد الحياة. ولكننا لا نستطيع أن نزعم أنها وحدها أساس النظرة الفلسفية. **فالتحول والمصادفة والسلوك الانساني والعواطف البشرية والحب والكراهية والحرب والسلام والنقمة والرضى كل هذه المظاهر الانسانية للوجود هي التي دفعت الشاعر العربي لصنع هذه السبيكة الذهبية الغالية التي نسميها الحكمة**. تلك السبيكة التي تمتزج في عناصرها الحياة بالموت والماضي بالحاضر والمستقبل والممكن بالمستحيل، هي نتاج التجربة الإنسانية، مريرة كما تتمثل في الموت والفراق والكراهية وحلوة كما تتمثل في الميلاد والحب والسلام والطمأنينة. كان طرفة قد اندفع إلى عناق الحياة خوفاً من الموت كما يقول :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ثم ذهب في تقديم تفسير فلسفي بعيد المدى لموقفه المندفع المتلاف .

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدد

ثم ها هو يتمهل ما داخلاً في دهاليز العقل مقنعاً كل الاقناع بأن هذا مجرد عرض زائل :

أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفد

وبعد ذلك يضع أمامنا هذه الحتمية ، حتمية الهلاك . فالموت قابض على العناصر الإنسانية لا يخطىء ولا يعجز :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخى وثنياه باليد

إن طرفة يبدأ من الكلي وهو الموت إلى الكلي وهو الحياة أو هو يبدأ بالحياة لينتهي بالموت . والبدء بالموت بدء بالفكر ، والبدء بالحياة بدء بالفعل . ومن هنا اتخذ موقفه طابعاً وجودياً أساسه تأكيد الذات وتحقيقها من خلال الغوص إلى الأعماق والانتصار على الموت باستهلاك الحياة .

وإذا كانت حياة طرفة القصيرة قد وقفت بنظرته التأملية عند حدود الكليات والتهام الفعل فإن شبابه وفتونه من أبلغ أسباب هذا الموقف ، أما **زهير بن أبي سلمى** فقد عاش حياة مديدة مليئة بل تذهب بعض الروايات إلى أنه عاش مئة وعشرين عاماً . وقد أتاحت له هذه الحياة الطويلة أن يتأمل التفاصيل ويصل بخبرته العميقة إلى جوهر الحكمة .

كان أمام زهير وقت طويل ليعرف طبائع الأشياء والناس ويتقلب من اليسر إلى العسر ومن القوة إلى الضعف عرف الزمن وما وراءه وخبر الأحداث من حرب ضروس إلى سلم رغيد وعاصر الحروب الكبرى وخرج منها بالعبرة ومن هنا تأتي حكمته أكثر بصراً بالتفاصيل وأكثر تنوعاً في المواقف وأكثر إدراكاً للقضايا الإنسانية ، ولعل أفضل نماذجه في الحكمة هذه الأبيات التي يختم بها معلقته الشهيرة التي مطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم

يقول زهير بن أبي سلمى :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه
مطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه
إلى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
ولو رام أسباب السماء بسلم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه
ولا يعفها يوماً من الذل يندم
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه
ومن لا يكرم نفسه لم يكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبا لك يسأم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم
واعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم

ليست الحكمة مجرد حكم صائب على موقف جزئي .. إن الحكمة تتجاوز الصواب والخطأ بالمعنى العملي للصواب والخطأ . فهي الادراك السليم للجزئي في علاقته بالكلي غير معزولة عن المكان والزمان متضمنة المادي في تطلعه إلى المعنوي ولكن هذه الحكمة تنشأ من المجرد لا تنتهي بالمجرد وحده . الحكمة تمتص عناصر الخبرة الإنسانية في إطار القيم السائدة وتعكسها في محاولة للتجاوز . من هنا لا بد أن تكون الحكمة صورة صافية للعصر الذي قيلت فيه ونبوءة بالعصور الآتية ومرآة للماضي في نفس الوقت . في هذه الأبيات النافذة **لزهير بن أبي سلمى** نلحظ صورة للعصر الدموي الذي احتدم فيه الصراع ونشبت فيه الحروب وكانت القوة ميزان العدل . تنطوي دعوته إلى السلم على نوع من التهديد بالحجم والارغام كما يذكر بالموت القاهر وأسبابه العاتية الغلابة ، وتنطوي الأبيات على صورة لفضائل هذا العصر . فضائل قوية على البذل والعطاء واحترام القبيلة واعتبار الجزء تبعاً للكل . فضائل تعتمد على الكرامة الإنسانية التي تقوم على الاعتماد على النفس ورفض المذلة والهوان وترك النفس عالة على الغير . وها هي الغربة تلقي غشاوة على العين حتى يحسب المرء العدو صديقاً . وأساس الكرامة اكرام المرء لنفسه برفعها عن الدنايا . وها هو زهير يلمس جوهر قضية الحرب والسلام ، فالدفاع القوي هو أساس الوجود والبقاء ، كما يلمس قضية الصراع البشري التي عبر عنها **بودلير** بعد بقوله : **« إما أن تكون اللحم وإما أن تكون السكين »** ، وها هي خبرة السنوات وحنكة المجرب تظهر في هذا القول الماهر :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

إن معرفة الناس العميقة هي التي دفعته إلى هذه المصانعة وإلى هذا اللون من الملاينة والفهم والتجاوب مع الناس في غير جمود ولا غباء . وبعد أن يشكو هم السنوات الثمانين التي عاشها يصل إلى قمة الحياة :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

وتلمع في ختام القصيدة لآلىء الحكمة الناصعة :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم
واعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم

كتب زهير هذه القصيدة وهو في الثمانين من العمر .. في قمة فهمه لهذه الدنيا وضجره منها ، ومع ذلك لا تسقط من وعيه هذه الخبرة الرائعة التي حازها من طويل التجارب التي عاشها . هذه صورة لنفس زهير العامرة بالإيمان والفهم . وصورة لعصر لم يعرف دقائقه أحد كما عرفها زهير .

الحكمة في العصر الاسلامي

ويتبدل العصر وتتبدل الصور ، ويجيء الإسلام . ويحتضن الإسلام القيم

النبيلة السابقة على ظهوره ورغم موقفه من الشعر إلا أن **الحديث الشريف** الذي يقول : «**إن من الشعر لحكمة**» ليعد اعترافاً بقدرة الشعر على الوصول إلى الحكمة . كان لا بد من أن تتدفق القيم الإسلامية إلى عروق القصائد . ولكن النثر هو الذي جسد هذه القيم متخذاً من **القرآن الكريم** مثالا ونموذجاً . وإذا تركنا القصائد التي كانت صدى مباشراً لهذه القيم فإننا نعثر في الشعر العربي على صورة أخرى لعصر آخر وتتخذ الحكمة موطنها في أشد تجارب الإنسان مرارة في الرثاء والقطيعة والفراق . **ولكن الحكمة الانسانية تظهر في المظاهر العامة للعلاقات الانسانية الأخرى .**

والقصيدة التالية تعطينا صورة جديدة للحكمة التي ارتوت من المجتمع الجديد بعد أن غمره الإسلام بنوره . يقول **يزيد بن الحكم** الذي شهد صدر الإسلام وبداية عصر بني أمية . قال يوصي ولده :

يا بدر والأمثال يضربها
لذي اللب الحكيم
دم للخليل بوده
ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه
والحق يعرفه الكريم
واعلم بأن الضيف يوماً
سوف يحمد أو يلوم
والناس مبتنيان محمـ
ـود البناية أو ذميم
واعلم بني فإنه
بالعلم ينتفع العليم
إن الأمور دقيقها
مما يهيج له العظيم
والبغي يصرع أهله
والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد
أخاً ويقطعك الحميم
والمرء يكرم للغنى
ويهان للعدم العديم
قد يقتر الحول التقي
ويكثر الحمق الأثيم
يملي لذاك ويبتلى
هذا فأيهما المضيم
والمرء يبخل في الحقوق
وللكلالة ما يسيم
ما بخل من هو للمنون
وريبها غرض رجيم
ويرى القرون أمامه
همدوا كما همد الهشيم
وتخرب الدنيا فلا
بؤس يدوم ولا نعيم

هذا رجل تحضره المنية فيستجمع كل حبه لولده وكل خبرته بالحياة فيرى في هذه الأبيات التي قدمها لولده ذخراً باقياً يضيء له سبيل حياته . يوصي ولده بالمودة ودوامها كما يوصيه بأن يكون عادلا نبيلاً يعرف حقوق جيرانه ويكرم ضيفه لا يذم فيلحق به العار ، كما يوصيه بالمعرفة وهي إشارة جديدة على فم الزمان السابق على زمن الشاعر وفيها إيحاء بالحديث : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**» . ثم يتحدث الشاعر مصوراً مغبة البغي حاثاً على الأخوة الإنسانية ، وينهي قصيدته بنوع من الاستفهام التعجبي من بخل البخلاء . **وها هو الموت يتربص بكل شيء ويشير إلى أهل القرون الماضية وهم موتى جامدون صامتون كالهشيم . إن الشاعر يعطي البرهان على غباء الحريصين على ما في أيديهم بهذا البيت الباهر القاطع الدلالة على تغير كل شيء :**

وتخرب الدنيا فلا بؤس يدوم ولا نعيم

في هذه القصيدة يبدو التركيز واضحاً على صورة المجتمع وضرورة بناء علاقات إنسانية سليمة . لقد تراجعت صورة الميتافيزيقا في الشعر لأن الدين قام بحل هذه المعضلة فاتسع للشاعر إطار الرؤية الاجتماعية رغم أن الحكمة بطبيعتها كلية الادراك لا تفصل بين العارض والدائم والجزئي والكلي ، من هنا نجد هذا الربط المحكم بين السلوك الإنساني الذي ينبغي أن يتحلى بصفات نبيلة كالكرم والمودة وبين المصير الذي يبطش بالحياة والأحياء وما له من فزع يخرج من هذه الجملة «وتخرب الدنيا» ويتطور المجتمع وتظهر القدرية الحاكمة كما يقول **ضابىء بن الحارث البرجمي :**

وما عاجلات الطير تدني من الفتى
رشاداً ولا عن ريثهن يخيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه
على نائبات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة
ويخطىء في الحدس الفتى ويصيب

ولكن هذا القدر لا يمنع المرء من السعي لتحقيق آماله كما يقول **كعب ابن زهير :**

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها
والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل
لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

إن هذه الأبيات أبلغ دليل على قوة الحياة ونموها وامتداد الأمل في النفس لأن هذا الأمل من طبيعة الحياة .

ولقد كان لحاجات النفس وتطلعها إلى الثروة والجاه والنفوذ أثر كبير في الأمل واليأس في الاحباط والفوز وظهر شعر كثير يدعو إلى تدبر الأمر وطلب المال كما يقول **ربيعة الرقي :**

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه
شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلاً وأوشكت
حبال ذوي القربى بأن تتنكرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ومثل هذه الأبيات تعبر عن روح عصر كثرت فيه المطالب وتقطعت فيه أوصال المودات وأصبحت القيمة المادية هي رأس القيم الأخرى . وإطلاق كلمة الحكمة على مثل هذه النصائح نوع من المجاز وفي الوقت الذي تشيع فيه القيم المادية في عصر من العصور فإن الإحساس بتفوق القيم الإنسانية الكبرى ونفي التطلع إلى الأشياء الصغيرة قد يكون سمة أخرى . يقول **عمران بن حطان :**

يأسف المرء على ما فاته
من لبانات إذا لم يقضها

وتراه فرحاً مستبشراً
بالتي أمضى كأن لم يمضها

عجباً من فرح النفس بها
بعد ما قد خرجت من قبضها

إنها عندي أحلام الكرى
لقريب بعضها من بعضها

إن الحكمة في الشعر العربي تبدأ من الموقف الذاتي لدى الشاعر الجاهلي وتندمج بعد ذلك في صميم القيم الاسلامية متضمنة موقف الشاعر الذاتي أيضاً بعد أن اتسعت هذه الذاتية وبعد أن أصبح التركيز أساسياً على صورة الواقع من خلال الحركة النشيطة من البدء حتى الختام من الميلاد إلى الموت مروراً بسلسلة متكاملة من المواقف المريرة والسعيدة وتأخذ الحكمة من نفس قائلها تفاؤلا أو يأساً حباً للناس أو بغضاً لهم . ترتفع الحكمة لتكون موقفاً من الكون وتهبط لتكون نصيحة صغيرة نابعة من تجربة قاسية لشاعر خاب أمله . فبينما نجد شاعراً مثل **أبي العلاء المعري** يتخذ موقفاً شاملاً من الوجود يظلله الحزن :

غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح باك ولا ترنم شاد

نجد بالإضافة إلى ذلك كثيراً من المواقف الجريئة يقول **الأصمعي :**

ولا تقطع أخاً لك عند ذنب
فإن الذنب يغفره الكريم

ولا تعجل على أحد بظلم
فإن الظلم مرتعه وخيم

وإن الرفق فيما قيل يمن
وإن الخرق في الأشياء شوم

ولا تفحش وإن ملئت غيظاً
على أحد فإن الفحش لوم

وخير الوصل ما داومت فيه
وشر الوصل وصل لا يدوم

فهذه الأبيات تدخل في **باب النصائح** . وفي العصور التي سادت فيها الفتن واضطربت الأمور شاع هذا النوع من التشاؤم القاتم . يقول **القاضي ابن معروف :**

**احذر عدوك مرة
واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق
فكان أعلم بالمضره**

ولا شك أن براعة الشاعر ومقدرته تلعب دوراً بارزاً في قيمة الحكمة التي يصل إليها . فها هو **أبو نواس** الذي جرب الدنيا يعرف كيف يعبر عنها :

سلكت من الدنيا بكل طريق
فيومين يوم فسحة ومضيق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

ويمعن في الفهم المنير للحقيقة :

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها
إذا لم يكن للمبصرين بصائر

وهل ينفع الخطي إلا مثقف
ويظهر إلا بالثقاف الجواهر

وكيف ينال المجد والجسم وادع
وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

وكذلك **أبو الطيب المتنبي** يفصح هو الآخر عن خبرة عظيمة بهذه الحياة حين يقول :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتال

ويقول

وكل طريق أتاه الفتى
على قدر الرجل فيه الخطى

ومن جهلت نفسه قدره
يرى غيره منه ما لا يرى

لقد كانت الحكمة في الشعر العربي تعبيراً عن يقظة الروح العربية وذكائها وحبها الشديد للحياة فجاءت صورة للعصور التي ابدعتها ولكنها تجاوزت هذه العصور لتكون عنصراً من عناصر التراث الانساني الحي الذي يسجل خبرته الروحية والعملية من أجل ايجاد عالم ينعم فيه الجهال بالأمن . والحرية والعدل . والحب والسعادة . وإذا كانت أغراض الشعر الأخرى قد حظيت باهتمام الأدباء أكثر من هذا الغرض فقد آن لهذا الفن العريق أن يغري بكنوزه كل طلاب الحقيقة .

****



بقلم: أحمد دوغان

ولد «مفدي زكريا» في نيسان (أبريل) عام ١٩١٣م . في قرية «بني يزقن» . الواقعة في واحة «بني ميزاب» في الجنوب الجزائري . وفيها بدأ قراءة القرآن الكريم في الكتاتيب . وعلومه الابتدائية . ثم انتقل إلى «عنابة» لمتابعة دراسته . وأرسله والده بعد ذلك إلى «تونس» ضمن «البعثة الميزابية» . فمكث عامين في مدرسة «السلام القرآنية» . وانتقل إثرها إلى «المدرسة الخلدونية» لدراسة العلوم . وأكمل تعليمه في «جامع الزيتونة» . ثم عاد إلى الجزائر . حيث النضال الحقيقي . فانضم إلى «جبهة التحرير الوطني» . وكان التحاقه بالجبهة والجماهير مبلوراً في شعره الذي أثار حقد الاستعمار الفرنسي عليه . وقد سجن خمس مرات . كما جاء في ديوانه «اللهب المقدس» . إلى أن هرب من السجن في شباط (فبراير) عام ١٩٥٩م . ملتحقاً بصفوف «جبهة التحرير الوطني» بالخارج متنقلاً ما بين «تونس» و «المغرب» . وقد نظم الشاعر أثناء فراره من السجن . وهو في طريقه إلى المغرب قصيدة جاء فيها :

قام كالمارد .. ! يزيد الصخب
وتهادى
يملأ العالم بشرى
وتحدى الدهر .. لا يخشى الرزايا
وتمادى
يغمر الأكوان عطرا
ومضى يبني ، على هام السحب
وتنادى
يملأ التاريخ سفرا
وينادي .. فتناجيه البنادق
في الشواهق
عاصفات
وينادي .. فتناغيه الصواعق
صارخات
فوق هامات الجبابر
ويغني ، فوق أعواد المشانق
فتحييه الخوافق
وتركبه الخوارق
أن تثور
في الجزائر
أن تثور
إن أمت : تحيا الجزائر

وعندما نالت الجزائر استقلالها في الخامس من شهر تموز (يوليو) عام ١٩٦٢م . أصبح تطوافه ما بين «تونس» و «الجزائر» .

مفدي زكريا.. شاعر الثورة الجزائرية

و « المغرب » ، إلى أن اتخذ من « تونس » مستقراً له .

وفي السابع عشر من شهر آب (أغسطس) عام ١٩٧٧ م ، انتهت رحلة الشاعر مفدي زكريا إثر سكتة قلبية ، ونقل جثمانه إلى الجزائر ، ودفن في بلده بـ « وادي ميزاب » بعد أن غنّى بلاده[٢] :

بلادي التي من ذوب قلبي نظمتها
نشيداً ، فغنّى الكون ثورتها شعرا
غمست بمطلول الجراحات ريشتي
فجاءت « رسومي » تلهم العقل والفكرا

إنتاجه

وقد ترك نتاجاً أدبياً وفكرياً ، موزعاً ما بين المطبوع والمخطوط والمنشور في الصحف والمجلات ، ففي **مجال الشعر** ، صدر له ديوان « **اللهب المقدس** » ، في ثلاث طبعات : الأولى عام ١٩٦١ م ، عن « المكتب التجاري ببيروت » ، والثانية عن « وزارة التعليم الأصلي ، والشؤون الدينية » بالجزائر ، والثالثة عن « الشركة الوطنية للنشر والتوزيع » بالجزائر عام ١٩٨٣ م ، وديوان « **تحت ظلال الزيزفون** » عام ١٩٦٥ م ، عن « دار النشر القومية » بتونس ، وصدرت له ملحمة « **إلياذة الجزائر** » ، في طبعات عدة نشرتها **مجلة « الأصالة »** الجزائرية . وكان الشاعر قد ألقاها في « **الملتقى السادس للفكر الإسلامي** » الذي انعقد بالجزائر العاصمة .

وترك إلى جانب هذه الأعمال الشعرية المطبوعة مخطوطات منها « **أهازيج الزحف المقدس** » ، وكان قد كتبها بلغة الشعب ، و « **انطلاقة** » ، التي تمثّل المعركة السياسية في الجزائر من عام ١٩٤٥ م ، إلى عام ١٩٥٤ م ، و « **الخافق المعذب** » ، و « **محاولات طفولة** » ، وهما من إنتاج الشاعر في شبابه .

أمّا في **مجال النثر** ، فقد صدر له بمشاركة الأديب التونسي « الهادي العبيدي » ، كتابان هما : « **الأدب العربي في الجزائر** » ، ويقع في أربعة أجزاء ، و « **أنتم الناس أيها الشعراء** » ، في النقد التحليلي ، وبمشاركة الأديب التونسي « **الحبيب شيبوب** » ، له كتاب بعنوان « **صلة الرحم الفكرية بين أقطار المغرب العربي الكبير** » ، وبمشاركة المؤرخ التونسي « **محمد الصالح المهيدي** » ، صدر له كتابان هما : « **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر** » ، و « **أقطاب الفكر بالمغرب على الصعيد العالمي** » .

وفي **مجال المخطوطات** النثرية ، ذكر لنا الشاعر في ديوانه « اللهب المقدس » مؤلفات كثيرة في الأدب والتاريخ والتربية[٣] :

١ ــ نحو مجتمع أفضل .

٢ ــ ست سنوات في سجون فرنسا .

٣ ــ حواء المغرب العربي الكبير في معركة التحرير .

٤ ــ أضواء على وادي ميزاب .

٥ ــ قاموس المغرب العربي الكبير .

٦ ــ الأدب الشعبي في الجزائر عبر التاريخ .

٧ ــ الثورة الكبرى (رواية) .

٨ ــ الجزائر بين الماضي والحاضر .

٩ ــ مذكراتي .

١٠ ــ عوائق انبعاث القصة العربية .

داخل السجن

عندما اختار الشاعر مفدي زكريا النضال والثورة ، والانضمام إلى (جبهة التحرير الوطني) ، كان لا بد أن يتوقّع ما بين لحظة وأخرى أن يكون في غياهب السجون والزنزانات ، وهذا ما حدث ، فقد ذكر أنه أُدخِلَ السجن خمس مرات ، ولا بأس أن نأتي على أسماء هذه السجون والزنزانات التي زجّ بها الشاعر ، وذلك من خلال القصائد وذكر الأمكنة التي نظمت فيها :

★ قصيدة (**الذبيح الصاعد**) ، سجن بربروس ، القاعة التاسعة في ١٨ / ٧ / ١٩٥٥ م .

★ قصيدة (**زنزانة العذاب**) ، سجن بربروس ، الزنزانة رقم (٧٣) في ٢٨ / ٤ / ١٩٥٥ م .

★ قصيدة (**وقال الله**) ، سجن البرواقية ، تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٥٧ م .

★ قصيدة (**وتعطّلت لغة الكلام**) ، سجن بربروس ، القاعة التاسعة ، شباط (فبراير) عام ١٩٥٧ م .

★ قصيدة (**حروفها حمراء**) ، رقم الزنزانة (٦٩) ، لم يذكر اسم السجن وتاريخ الحادثة .

★ قصيدة (**اقرأ كتابك**) ، سجن البرواقية ، رقم الزنزانة (٣٧٥) عام ١٩٥٨ م .

★ قصيدة (**فاشهدوا**) ، سجن بربروس ، الزنزانة رقم (٦٩) ، في ٢٥ / ٤ / ١٩٥٥ م .

★ قصيدة (**عشت يا علم**) ، كتبت في زنزانة ما دون ذكر اسم السجن وتاريخ الحادثة .

★ قصيدة (**نشيد جيش التحرير**)، سجن البرواقية.

★ قصيدة (**نشيد الشهداء**)، سجن بربروس، رقم الزنزانة (٦٩)، في ١٩٥٧/١١/٢٩م.

★ قصيدة (**نشيد بنت الجزائر**)، سجن بربروس، رقم الزنزانة (٨٣)، آب (أغسطس) عام ١٩٥٦م.

★ قصيدة (**النشيد الرسمي للاتحاد العام للشغالين**)، سجن بربروس، الزنزانة رقم (٦٩)، في ١٩٥٦/٧/١٢م.

★ قصيدة (**يا جبال**)، سجن بربروس، الزنزانة رقم (٦٩)، في ١٩٥٦/١٠/٢٩م.

الشاعر المناضل

بعد هذا الحصر، يتبيّن لنا أن الشاعر مفدي زكريا قد قضى شطراً من حياته في زنزانات العذاب، وهذا دليل على إيمانه بالثورة الجزائرية وقضية شعبه. لذلك نرى في شعره صوت (نوفمبر) تشرين الثاني، ونوفمبر (تشرين الثاني)، يعني الثورة المسلحة للشعب الجزائري منذ عام ١٩٥٤م. وقد أوحى (**أول نوفمبر**) تشرين الثاني، يوم انطلاق الثورة لشعراء جزائريين مدّاً شعرياً، وشاعرنا قد أعطى «نوفمبر» (تشرين الثاني) حقه من الإلهام الشعري، وهو القائل[10]:

دع التاريخ ليلك فاستجابا
(نوفمبر) هل وفيت لنا النصابا
وهل سمع المجيب نداء شعب
فكانت ليلة القدر الجوابا
تبارك ليلك الميمون نجماً
وجلّ جلاله، هتك الحجابا
وهزّت «ثورة التحرير» شعباً
فهبّ الشعب ينصبّ انصبابا
وقال الله كن يا شعب حرباً
على من ضلّ لا يرعى جنابا
فأيقظت القبائل من تعامى
وأسدت فوق ناظره نقابا

وهو القائل في قصيدة (**نشيد بربروس**)[11]:

يا ثورة التحرير، صوني الحمى
وحرّريه من يد الغاصبين
شقّي الطريق فوق سيل الدما
وحطّمي الطاغين والظالمين

والشاعر في تصويره للجزائر في نضاله، يعتبرها قصيدة عظيمة.

لأنها كانت مثلاً أعلى في الكفاح والجهاد، وقد أصبحت منذ فكرياً للأدباء والمفكرين[9]:

غنّى بها حرّ الضمير فأيقظت
شعباً إلى التحرير شمّر مسرعا

وعند العودة إلى شعر (مفدي زكريا)، نجد أن الثورة تأخذ أبعادها، حتى أنه جعل عنوان ديوانه «**اللهب المقدس**»، لكونه أناشيد للثورة الجزائرية، وفي هذا المجال يقول الدكتور «**صالح خرفي**» في معرض حديثه عن قصيدة للشاعر، كانت بعنوان «نشيد الشهداء»: «الذي جسّمه مفدي زكريا، كان ذروة الشعر الثوري في مراحل لم تنزل سياسية، أو هي بالأحرى ذروة التعبئة السياسية، وهذا فرض هذا النشيد الذي انطلق من ظلمات «سجن بربروس» نفسه على الأيام والليالي، حتى وجد إطاره الصحيح في ثورة «نوفمبر» (تشرين الثاني)، حيث أصبح النشيد الرسمي للشهداء يدوّي في أرجاء «بربروس» كلما اقترب شهيد من المقصلة».

وشاعرنا، لم يكن حديثه عن الشهداء تصوّراً، وإنما رأى بأم عينيه كيف يؤخذ المناضل إلى المقصلة، أو كيف يرمى بالرصاص، ولا شك في أنه استطاع في تشخيصه أن يربط بين القضية من جهة، وبين الاستشهاد من أجلها من جهة ثانية، فهو ـ وجهاً لوجه ـ أمام الشهيد «**أحمد زبانة**» ساعة تنفيذ حكم الإعدام، وذلك في القاعة التاسعة داخل سجن «بربروس» في تموز (يوليو) من عام ١٩٥٥م، ذاك هو «الذبيح الصاعد» في شعر مفدي زكريا[12]:

شامخاً أنفه جلالاً وتيهاً
رافعاً رأسه، يناجي الخلودا
وامتطى مذبح البطولة معراً
جاً ووافى السماء يرجو المزيدا
وتعالى مثل المؤذّن، يتلو
كلمات الهدى، ويدعو الرقودا
صرخة ترجف العوالم منها
ونداءٌ مضى يهزّ الوجودا
أنا إن متُّ، فالجزائر تحيا
حرّةً، مستقلةً، لن تبيدا

أليس ذلك تجسيداً حيّاً لواقعة واحدة تدل على الإرادة، التي عرفها كل مناضل في الجزائر، والتي وجدت نفسها أمام أمرين، إما الجهاد والاستشهاد ونيل الشرف والكرامة، وإما الخنوع والذل.. لكن الشعب الجزائري أصرّ على الجهاد، مهما كان الثمن غالياً، وقد أشار الشاعر مفدي زكريا إلى ذلك كثيراً، وكان لسان حال أمته:

مفدي زكريا .. شاعر الثورة الجزائرية

نحن روّينا الثرى من دمنا
وغرسنا في ذراها الأضلعا
وزرعنا في رباها مهجاً
وسقينا الزرع حتى أينعا

ولذلك، أطلّت مواكب الشهداء في مواكب النور، يوم شعّت وأضاءت الجزائر صباح الاستقلال في الخامس من شهر تموز (يوليو) عام ١٩٦٢م، ونال الشعب حريته التي وقف مدافعاً عنها حتى الليلة الأخيرة من ظلام الاستعمار، وقد تمثل «مفدي زكريا» ليلة أول نوفمبر (تشرين الثاني)، كأنها «ليلة القدر الكبرى»[8]، التي انطلق منها العمل مقترناً بالدعاء المؤكد بالاستجابة التي حققت النصر والاستقلال.

وإذا كان الشاعر مناضلاً بين صفوف الثوار، فإنه أيقظ الحمية في نفوس أبناء الشعب بكافة قطاعاته، وذلك عن طريق الأناشيد الوطنية والثورية التي طلع بها، وفي طليعتها نشيد (**فاشهدوا**) الذي كان يدوّي صداه عبر الجبال والوديان والسهول والمنازل، حتى الأقبية والسجون أيام الثورة، **وقد أصبح النشيد الرسمي للثورة الجزائرية، ثم النشيد الوطني في ظل الحرية والاستقلال**، ومطلعه[9]:

قسماً بالنازلات الماحقات
والدماء الزاكيات الدافقات
والبنود اللامعات الخافقات
في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا، فحياةٌ أو مماتْ
وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

كثيرة هي تلك الأناشيد التي عاشت نضال الشعب الجزائري، وأغلبها كان قد كُتِب في السجون، ومن هذه الأناشيد: (عشنا يا علم)، و(نشيد جيش التحرير)، و(نشيد الشهداء)، و(نشيد بربروس)، و(نشيد بنت الجزائر)، و(النشيد الرسمي لاتحاد الطلاب الجزائريين)، و(النشيد الرسمي للاتحاد العام للشغّيلين الجزائريين)، إضافة إلى عدد من الأناشيد التي قدّمها الشاعر إلى البلدان العربية في أعراسها النضالية.

النضال العربي

وعاش الشاعر أحداث الوطن العربي كما عاش أحداث الجزائر، لأنه يعلم تمام العلم أن الجزائر جزء من الأمة العربية، هذا ما جعله يقف إلى جانب قضايا الوطن العربي الكبير، فهو في قصيدته (**الجار بالجنب**) يعبّر عن فرحة (تونس) يوم استقلالها في العشرين من آذار (مارس) عام ١٩٥٦م، قائلاً[10]:

أشرق العيد فانشروا الأعلاما
واملأوا الكون بهجة وابتساما
وارفلوا اليوم في المدائن تيهاً
وارفعوا اليوم في السماوات هاما
بنفوس أبيّة خلّقت تختار
ر للشعب، في الخلود مقاما
وضحايا زكية طاهرات
لم تزل تُلهب العروق ضراما

وفي قصيدته (**فلسطين**) التي اختتم فيها ديوانه «اللهب المقدس» نجد حواراً بين الشاعر، وفلسطين، والعرب، وذلك بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لتقسيم فلسطين، وفيها يتحدث عن قضية فلسطين، ولعل هذه القصيدة تمثل في تشخيصها ما يجري الآن على الساحة العربية بعد مرور ثلاثين عاماً وتزيد، وهاهو يخاطبها قائلاً[11]:

فلسطين.. والعرب في سكرة
قد انحدروا بك للهاويهْ
رماك الزمان بكلّ لئيم
زنيم من الفئة الباغيهْ

فتجيب فلسطين الشاعر قائلة:

أيا شاعر العرب ذكّرتني
وهجت جراحاتي الداميهْ
لقد كان لي سبب البقا
فقطّع قومي أسبابيهْ

ثم يترك الشاعر المجال للعرب ليقولوا قولتهم:

فلسطين لا تيأسي، إننا
سأصلح في الشرق أخطائيهْ
مصيري آخذه بيدي
وأدعو إلى الثأر إخوانيهْ
فلسطين لا تجزعي، فالسما
ستسند للنصر إخلاصيهْ
فلسطين لا تقنطي، فالحمى
سينصفه اليوم أحراريهْ
أنا العربي الكريم الجدود
أنا النور في الليلة الداجيهْ

ثم يعود الشاعر إلى نفسه مخاطباً:

فلسطين في أرضنا بعثها
ومن أرضنا، تزحف الخامسةْ
ومن أرضنا نقطة الانطلاق
وثورتنا.. حجر الزاويهْ

مذهبه في الشعر

ينتمي شاعرنا إلى **الواقعية** من حيث التصنيف المذهبي ــ وأقصد المدارس الأدبية ــ والشعر عنده ثورة وكفاح وإيمان بالواقع، ومن يعد إلى شعره فإنه يجد التركيب المادي الفكري الذي يقوم على أساس مفهوم الشاعر للثورة الجزائرية، و «مفدي زكريا» من الذين أخرجوا الشعر الجزائري من التقليد، وألبسوه ثوب الواقعية، فقد اتخذ من الواقع النضالي أرضية لفنه وشعره، أمَّا فيما يتعلق **بالأسلوب** فإنه التزم عمود الشعر العربي، وأجاد في السبك، ووحدة الموضوع، وساعده في ذلك ملكته اللغوية، والانطباع، وبذلك يكون قد أعطى بعداً للواقعية الثورية التي تتجاوز في مفهومها أبعاد الكلاسيكية الجديدة، أو حرية التقييم للغة الشعر المعاصر، وهذا نص يؤكد فيه ما نبئناه[12]:

نطق الرصاص فما يباح كلام
وجرى القصاص، فما يتاح ملام
وقضى الزمان فلا مرد لحكمه
وجرى القضاء، وتمت الأحكام
السيف أصدق لهجة من أحرف
كتبت، فكان بيانها الإبهام
لغة القنابل في البيان فصيحة
وضعت لمن في مسمعيه صمام
والحق والرشاش إن نطقا معاً
عنت الوجوه، وخرت الأصنام

وهو، وإن اقترب في أناشيده من الشعر الحديث، واستخدم شعر التفعيلة في قصيدته (أنا ثائر)، فإنه يهاجم الشعر الجديد، ويشن عليه حرباً شعواء، وعلى الخصوص قصيدة النثر، إنه يقول[13]:

وعابثين.. أرادوا الشعر مهزلة
فأزعجوا رخيص القول آذانا
تنكَّروا للقوافي حين أعجزهم
صوغ القوافي.. وضلُّوا عن ثنايانا
قالوا جمود على الأوضاع وزنكم
فشعرنا الحرُّ لا يحتاج أوزانا

ولعلَّ القضية التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، هي ليست قضية قديم أو جديد، وإنَّما القصيدة هي التي تؤكد هوية انتمائه إلى الشعر.

وداع الشاعر

لقد انتصر الشاعر مفدي زكريا بانتصار شعبه، وهو الذي أوقف حياته، وجلَّ شعره على الثورة الجزائرية، ونضال الأمة العربية، أليس هو القائل:

بلادي التي أعنو ــ احتساباً ــ لوجهها
وأحمل في الأرزاء من أجلها إصرا

ولما كان صادقاً مع ذاته، مؤمناً بقضايا شعبه، فلا شك أن ذلك جاء تجسيداً لمعاناته الواعية، وإحساسه الذي عاش خلايا شعره قلباً وبصراً ويقين حب[14]:

على نبضات الشعب وقَّعت ألحاني
ومن نشوة التحرير، لحَّنت أوزاني
وملء عروقي، صارخ دم يعرب
فألهمني ينبوع يعرب، تبياني
وأحببت أوطاني رضيعاً، ولم أزل
أغنّي مع الدنيا، بأمجاد أوطاني
وما ذاك إلا أن شعري من دمي
يفجِّره وعيي، وحسِّي، ووجداني

الهوامش

(١) ص ١٢٤، ديوان «اللهب المقدس»، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، عام ١٩٨٣.
(٢) ص ٩٣، الشعر الجزائري قبل الاستقلال، وزارة الثقافة، الجزائر، عام ١٩٨٢.
(٣) ذكر الشاعر هذه المقطوعات في الصفحات التالية (٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦). من الطبعة الثانية الصادرة عن (وزارة التعليم الأصلي) بالجزائر.
(٤) ص ٣٠، ديوان «اللهب المقدس»، من قصيدة بعنوان «وقال الله».
(٥) ص ٨٨، المرجع السابق، قصيدة «اشهد يا بربروس».
(٦) ص ٥٧، المرجع السابق، قصيدة «اقرأ كتابك».
(٧) ص ٩، المرجع السابق، قصيدة «الذبيح الصاعد».
(٨) جاء ذلك في البيت الثاني الذي جاء في قصيدة «اشهد يا بربروس»
وهل صح الجهاد سداه شعب فكانت لحمة الثمر الخراب
(٩) ص ٧١، ديوان «اللهب المقدس»، قصيدة «اشهدوا».
(١٠) ص ٢٠٨، المرجع السابق، قصيدة «يوم الخلاص».
(١١) ص ٣٣٦، المرجع السابق.
(١٢) ص ٤٢، المرجع السابق، قصيدة «وتعطلت لغة الكلام».
(١٣) ص ٢٨٧، المرجع السابق، قصيدة «رسالة الشعر».
(١٤) ص ٣٢٠، المرجع السابق، قصيدة «هنا أمي».



الجبل

شعر: د. صابر عبد الدايم

في مكة . . . كانت الرحلة بلا غيوم ، والراسيات تعانق أحلام النجوم ، ومن شرايين الصخر تتفجر أنهار الضياء ، «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرَّ السحاب»

أنَّى أسير يضمُّني الجبلُ   فكأنني في الصَّخر أرْتحلُ
من كل زاوية ملامحُه   تبدو . . وفي الأجواء تنتقلُ
فكأنه عينُ الوجود إلى   قلب الخفايا لمحها يَصلُ
حمل العصورَ الشمَّ كاهلُه   وهو الفتيُّ . . وليس يكتهلُ
متجهِّمٌ جرداءُ قمَّتُه   لكنه بالخير يشتعلُ
مُدَّت إلى الغيْمات راحتُه   فإذا بجرح الكون يَنْدمِلُ
وإذا العوالمُ من بُحيرته   يُسْقون فيض العز إذ نهلوا
قدمُ الرضيع تهز جبْهَتَه   فإذا به للطفل يَمتثلُ
وإذا بعين الحب مشرقة   والأم يُهجر قلبها الوجَلُ
وإذا الطيور على مباسمها   تضوي الأغاني وهي ترتجلُ
وإذا الوجودُ الطفلُ تحضنُه   أم القرى . . ويكبِّر الجبَلُ
أنشودة التوحيد منطقه   وعليه من لألائها حُللُ
دعوات إبراهيم صاعدة   فإذا الصحارى وجْهها خضلُ
وحراء نبْع في تماوجه   الأرضُ بالعلياء تتَّصلُ
صخر ومنه تفجرت شهبٌ   ولها بكل منارة شعَلُ
«إقرأ تعالى الله قائلها»   فإذا الجبال الصُّم تبتهلُ
وكأن زمزم منه قد سُقيَت   والعالمون لسرِّها ارْتحلوا
فهي الأمان لأمة غرقتْ   ولكل من ضاقت به السبُلُ
والأمة الحيرى ممزقة   تسْعى ولكن سَعْيُها فشلُ !!!
لم تصف أنهار الحياة بها   فحقولها ينمو بها الكللُ !!!
ما شاده الأمجاد قد وأدت   وبدت كأن جديدها طلَلُ
جبلان تسعى الدهرَ بينهما   لم تدرِ كيف السعي والعملُ!!!

والأمنيات إلى منًى سبقَت   والقلب تسبق نبْضه المقَلُ
فهنا الجبال تخلَّقت شرراً   فهل الرماة لبَغْيهم قتلوا ؟
هل يرجمون الإثم في زمن   الآثمون به . . همُ المثلُ ؟!!!
أم يرجمون الكفرَ في زمن   الكافرون لسيفهم صقلوا ؟!!
أم يرجمون الخُلف بينَهم ؟   وقلوبهم تغلي وتقتتلُ !!!

صاروا قبائل ما وعت نسباً   بدم الشهيد تظل تغتسلُ !!!
هذي حدودهم قد اشتعلت   والنار شيطان له حِيَلُ
هل يرجمون الجوعَ في غدهم ؟   والسارقون لكنزهم وصلوا !!!
أم يرجمون الحقد بينَهم ؟   والحاقدون بذاتهم دخلوا !!!

أم يرجمون الجدْبَ في زمن   المجدبون هُم . . . وقد كسلوا؟!!!
لم يقطفوا الأسْرار إذ بزغَت   توحي إليهم أنَّهم رجُلُ
عرفات عرَّفهم مسالكهم   فالكل قلب صارمٌ وَجِلُ
رحمُ الوجود هنا قد ائتلفَت   والرحمة الكبرى هنا جَبَلُ
وهنا خطى المختار قد خطرت   فاخضرَّ في أرْواحنا الأملُ
وهَجُ الوداع حرُوفُه الَّتي   أحيا الوجود فما به عِلَلُ
من كل فج أقبلت زمَرٌ   وقلوبُها لله تمتثلُ
لبَّت نداء الحقِّ ضارعةً   فسمَت وعنها قد نأى الزلَلُ

الطائفون . . الراكعون همُ   ليْسوا بغير الله قد شُغلوا
إلفوا بظل البَيت أمْنَهمُ   فسقتْه من أشواقهم قُبَلُ
وإذا الوجود الطفلُ تحضنُه   أمُّ القرى . . ويكبر الجبلُ
أنشودة التَّوحيد مَنطقُه   وعليه من لألائها حُللُ

قصة قصيرة

بقلم: حسين عيد

الانتظار

(١)

قال الأخ الأصغر:

– هل نذهب الآن؟

أشار له الأخ الأكبر ليتريث. نظر إلى ساعة يده. كانت تشير إلى الحادية عشرة والنصف.. كان ضوء الشمس يغمر الغرفة الآن تماماً..

قال بهدوء:

– اقترب الموعد.. إذا لم يأت حالا.. سنمضي وحدنا..

مشى الأخ الأكبر بطول الغرفة ذهاباً وإياباً عدة مرات، ببطء شديد. توقف أمام النافذة.. كان صهد الشمس ضارياً.. تطلّع إلى الشارع.. كان السابلة قلة، بينما تومض بعض واجهات المحلات الزجاجية المغلقة، لانعكاس أشعة الشمس عليها، بدا أنها آذت عينيه. أغمضهما قليلاً..

– «لماذا تأخّر هذا الصديق.. كان يجب أن نكون في المحطة الآن.. فموعد القطار يقترب..».

لامس ذراعه القاعدة الساخنة للنافذة. سحبه بسرعة. تراجع للوراء خطوة. رفع بصره إلى الأعلى.. كانت هناك عدة بيوت – متجاورة – على مرمى النظر، بينما تمتد الصحراء وراءها حتى الأفق..

أحسّ سخونة أنفاس وراءه، تلسع رقبته. تلفّت.. كان أخوه الأصغر عبد الحميد يرقبه صامتاً. عندئذ قال الأخ الأكبر:

– أتمنى أن نكون معاً ثلاثتنا.. ولكن إذا لم يأت الآن.. سنذهب وحدنا..

أومأ له الأخ موافقاً، بينما ارتفعت طرقات متتالية، على باب شقتهما..

(٢)

وقف ثلاثتهم وسط محطة السكك الحديدية، على الرصيف الطويل المجاور للقضبان.. كان مبنى المحطة يتكوّن من حجرتين صغيرتين، متجاورتين، بينما ران الهدوء على المكان.. بعيداً بدت أربع عربات قطار مهجورة، معزولة في الجانب المقابل من المبنى. تناثرت خلفها عدة أشجار، بينما الصحراء تحيط بالمكان.. تحاصره. تكاد تبتلعه.. وكانت الشمس ترسل فيض أشعتها

الحامية، فينكسر بعضها على سطح القضبان البيضاء، بينما كان العرق يغرق ثلاثتهم، ويسيل..

قال الأخ الأصغر:

ـ لماذا لا ننزوي في ظل مبنى المحطة؟

أومأ الأكبر موافقاً.

ـ وحين يأتي القطار.. يمكننا أن نعود..

تحرك الثلاثة. كانت أنفاسهم لاهثة، وهم يغذون الخطو، ليتفيأوا مكاناً في ظل مبنى المحطة.. كانت مناديلهم ـ تعلو وتهبط ـ تجفّف حبيبات العرق الناضحة باستمرار على الجباه، وحول الوجوه..

قال الآخر:

ـ هل أنت متأكد من موعد القطار؟!

هز الأخ الأكبر رأسه:

ـ متأكد تماماً.. إنه الثانية عشرة..

توقّف ثلاثتهم داخل شريط الظل المحدود، الذي صنعه مبنى المحطة. تجاوروا في مستطيله الضيق، ملاصقين للحائط. كان باب إحدى الحجرتين مفتوحاً. بداخلها في مواجهة الباب، قامت مائدة صغيرة عليها كميات متراكمة من الأوراق، وراءها كنبة قديمة. تمدّد عليها رجل ما، نائماً. ارتفع شخيره عالياً..

استند الأخ الأصغر على الباب.. أغلق عينيه تماماً وتمتم:

ـ أتمنى أن أتجرع عدة أكواب من الماء البارد..

نظر إليه الأخ الأكبر. توقف عبد الحميد عن الاسترسال. قال الآخر:

ـ إذا كان موعد القطار الثانية عشرة.. فهذا يعني أنه سيصل الآن.. في أية لحظة..

راح ثلاثتهم يحملقون إلى بعيد. يتطلّعون. يحاولون أن يمسكوا بالقطار في لحظة اختراقه حاجز المسافات، وولوجه منطقة رؤيتهم.. كانوا يأملون أن يصل..

(٣)

قال الأخ الأكبر:

ـ تأخّر القطار كثيراً..

رفع عبد الحميد يده أمام عينيه:

ـ تجاوزت الساعة الواحدة بعدة دقائق..

تمتم الآخر:

ـ إذا لم تأت الآن.. فقد تأتي في قطار الرابعة إلا ثلثاً..

شعر عبد الحميد أن رأسه ينتفخ باستمرار. يكاد ينفجر. كان عطشه قد تجاوز الحدود، بينما شخير النائم، يتردّد رتيباً، منتظماً من داخل الحجرة..

همس:

ـ ما جدوى انتظارنا الآن؟!

تطلع الآخر إلى الأخ الأكبر:

ـ نحن نعرف.. أن القطار إذا لم يأت في موعده.. فهذا يعني أنه سيتأخر كثيراً..

قال الأخ الأكبر:

ـ لنذهب إلى البيت..

انتصب عبد الحميد. تحركوا ثلاثتهم. دخلوا منطقة القيظ. أكمل الأخ الأكبر:

ـ على أن نعود ثانية، قبل الرابعة إلا ثلثاً..

(٤)

وصل الثلاثة إلى ناصية الحارة، حيث مسكنهم. توقفوا. قال الآخر:

ـ سأذهب الآن.. ثم نلتقي مرة أخرى.. في الثالثة والنصف..

هز كلاهما يد الآخر، مودعين.. عندئذ وصلت الأم، يميل كتفها الأيمن تحت ثقل حقيبة ضخمة بيدها اليمنى، بينما تحمل حول ذراعها الأيسر عدداً من اللفائف. اقترب الأخ الأكبر منها. كان وجهها الدائري يفيض صحة وبشراً. تسرّبت من تحت منديل رأسها الأسود، بعض شعيرات بيضاء. تناول الأم بين ذراعيه المفرودتين، قائلاً:

ـ انتظرناك طويلاً بالمحطة..

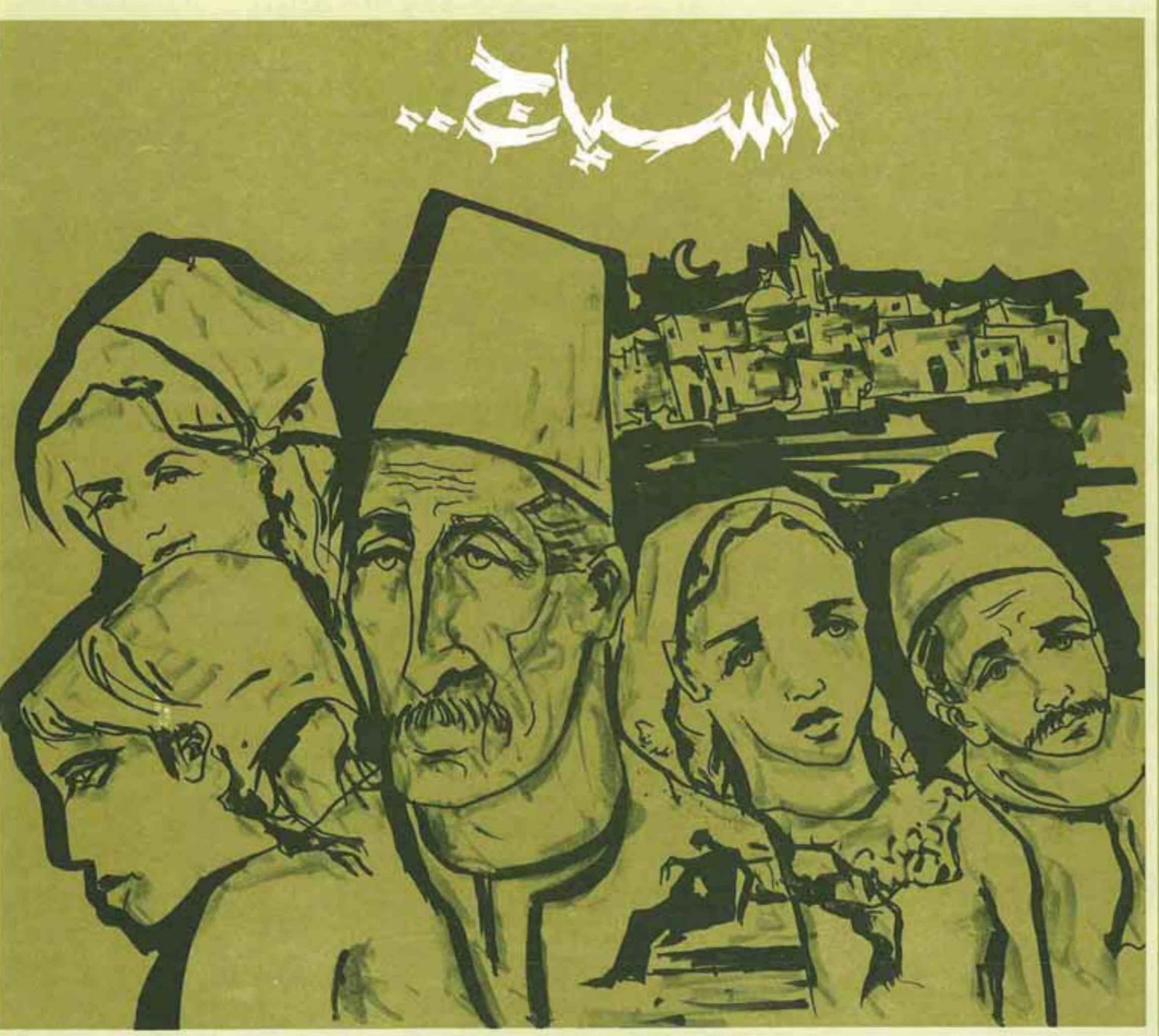
كان يشعر بأعين الجيران، من وراء خصاص النوافذ، تحملق فيها.. أفلتها من بين يديه. اكتشف معها سيدة أخرى، لم يتعرفها جيداً.. «**أهي زوجة عمه؟!**».. لم يستطع أن يقرر..

حمل عن الأم حقيبتها الضخمة وبعض اللفائف. تقدّمها إلى داخل البيت، بينما شقيقه الأصغر يقبّل وجنتيها.. كانت الأم تبتسم بوضوح..

☆ ☆ ☆

بقلم: عبد الستار خليف

السياج..



سأطرده من البيت، ولن أتراجع عن قراري.

أيحدث هذا من أصغر الأبناء، من أقربهم إلى قلبي، وله مكانة خاصة عندي!! يشق عصا الطاعة عليّ، يتمرد.. يريد أن يكسر هذا السياج الموروث منذ الأزل. هيه. ها قد جاء الأبناء يا شيخ مربوط، ليحطموا كل ما بناه الأجداد. الليلة لن أتراجع عن قراري. بعد العشاء. أمام الجميع. سأعلن كلمتي. لن أنصت إلى كلمات الأم الكبيرة: «ما بك؟! ما لك غاضباً هكذا!! الولد صغير وأرعن ويريد أن يتصرف تصرفاً طائشاً». «هكذا تدافعين عنه، سوف تقولين إنه آخر العنقود، سكر معقود». سأصرخ في وجوههم جميعاً: لكنه الآن أصبح رجلاً يعتمد عليه، وله زوجة وأولاد وعليه مسؤولية.. فلماذا هذا الطيش والجنون... أحم، أح، أح... آه، هذا السعال اللعين!!. هيه.. تصف ابنك بالجنون يا شيخ مربوط وهو المحبب إلى

قلبك . القريب منك . كنت تحبه . تقدره . تعتز به ... لكن . كيف يفعل ذلك؟! يتصرف هذا التصرف الأحمق . أيريد أن يهدم كيان البيت الذي عشت طوال عمري أعمل للحفاظ عليه . لهذا الزمن اللعين !! .

الأم الكبيرة . هي أكبر الأمهات في هذا البيت .. تحكم قبضتها وسيطرتها على كل جزء فيه . تصحو مبكرة قبل شروق الشمس . الأبناء يذهبون إلى الجامع .. للصلاة .

أعرف أن محفوظاً قد أهمل الفرض في الآونة الأخيرة . والسبب زوجه الصغيرة . لا يغادر غرفته إلا آخر الأبناء .. ويعود من الجامع متأخراً . يقطر ماءً من منبت شعر الرأس . حتى أخمص القدمين .

عندما يخرج الأولاد إلى الجامع . تخبط الأم الكبيرة على أبواب غرف نوم النسوة . تصرخ فيهن : «اصحون يا كسالى . أما كفاكن الرقاد طوال الليل . أم أن الناموسية كحلى . الشمس ملأت الدنيا» . تطقطق الأسرة من داخل كل غرفة . الأسرة النحاسية العالية ذات الأعمدة الأربعة .

الصوت تسمعه الأم الكبيرة . تكز على أضراسها . تطرق بشدة وتصرخ بقوة : «هيا .. اعددن الفطور للرجال قبل خروجهم إلى الحقول» . يتردد صوتها بين جنبات البيت . تصر الأبواب وهي تفتح ببطء على وجوه غاضبة ناعسة . أقدام حافية تخطو إلى الخارج . إلى فناء البيت الداخلي . تبادرهن قائلة : «بدرية . عليك إحضار الماء وملء الأزيار . سعاد . نظفي وسط الدار . ورشي الماء النظيف أمام الباب الخارجي . ثم ضعي الحب للطيور . واطلقي الأوز للذهاب إلى الترعة . وافتحي طاقات البرج للحمام ليخرج يلتقط رزقه . وأنت يا محاسن . احلبي البهائم» ...

حديث مكرور . تردده الأم الكبيرة كل صباح . قبل شروق الشمس . ثم تكلف ابنتها الكبرى هبة بإعداد الطعام . لأنها لا تطمئن إلى غيرها ـ كما تقول ـ . أما ابنتها الصغرى هنومة . تتركها تنام في غرفة السطح حتى غزالة الضحى ..

يصحو البيت وتستيقظ كل جدرانه . الحيوانات . الدواب . الدواجن . وعصافير نخلة البلح التي تقف على مقربة من الباب الخارجي . زرعتها أيام شبابي .. وهأنذا أجني ثمارها وأتركها لمن بعدي مثقلة بالثمار .

يعود الرجال من الجامع . يجدون الطعام معداً على الطبلية وجاهزاً وسط الدهليز . يقبلون على الأكل بنهم ونفس مفتوحة . إلا محفوظاً . يشربون الشاي ويأخذون الماشية والحمير والصغار والفؤوس ومعدات العمل في الحقل . ويرحلون ..

تهدأ أركان البيت من الضجة والضجيج والصخب .. أكون قد استيقظت . ومن بعدي تكون هنومة قد استيقظت . وهي تتمطى وتتثاءب في كسل .. فالأيام بالنسبة لها واحدة . تنام في غرفة واحدة مع شقيقتها الكبرى هبة الله . أما نساء أبنائي فكل واحدة منهن في غرفتها بالدور الأرضي . وأنا والأم الكبيرة . في الغرفة العلوية الثانية . التي على سطح البيت . المواجهة لغرفة البنات .

حيث تطل على البحري . النوافذ تدخل الهواء الرطب المنعش العليل فيخفف من حدة الجو ولفح الشمس . ويحمل رائحة المزروعات في الحقول الخضراء . من نافذتي أستطيع مشاهدة مساحات الأراضي الشاسعة التي أمامي إلى ما لا نهاية .

وعندما أقف في الردهة الموجودة بين الغرفتين . أرى الدرج الحجري الهابط إلى فناء البيت . وأتبين كل معالم المكان وبرج الحمام . وأطل على مباني القرية من الدور والأكواخ الحقيرة . ولو نظرت بعيداً : هناك في البعيد . لشاهدت المحمودية والأشرعة البيضاء ومقام سيدي العزقلاني . وأظل محلقاً في الفضاء اللامحدود . وأنا أفكر في أمر هبة . مسكينة يا ابنتي . متى تنفك عقدتك . إنها تؤرقني . وأخشى أن أموت قبل أن أجدك في بيت العدْل . وها قد جاء محفوظ أيضاً لينغص عليَّ حياتي !! .

إيه .. يا دنيا . انتهى زمن الرجال وعصر الرجولة . من بعد موتك يا عجرودي . كان صاحب الكلمة العليا في البلدة . ومن الوجهاء والأعيان . بنى هذا البيت الكبير العتيق من عرقه وكده وشقاه . وزرع الأرض . وزاد عليها من ردم البرك والمستنقعات

وإصلاح الأراضي البور ، وشق القنوات وإقامة الحدود ووضع الرُّجْم وبناء السواقي وإصلاح المدارات ، وزراعة أشجار التوت حولها لتظلل على الساقية والمدار والبهيمة التي تدور فيها .. ثم أعد العدة للرحيل ، ورحل بعد وفاة أمي بزمن ليس بالقصير ..

وها قد مرت الأيام الحوالي الطيبة في طرفة عين ، وذهب باقي الرجال الكرماء والعظماء من البلدة ، انقرضوا .. ولم يعد سوى الصغار والمسترجلين وأشباه الرجال ، ممن يسيرون خلف زوجاتهم كالملعون محفوظ .. وعلى أواخر الزمن يحدث هذا .. وأنا الذي عشت طوال عمري أعمل من أجلهم ، أسعى وأشق لتوفير الحياة الكريمة لهم ، والحفاظ على الأرض والبيت معاً ، وكل ما تركه جدهم العجرودي الكبير .

لكنني بعد هذا العمر الطويل .. أجد بادرة الانقسام والانشقاق تلوح في الأفق . لا ، لا بد من بتر العضو الفاسد لا تقويمه كما تقول أمهم وإصلاح شأنه . لقد ركب الولد رأسه ولا سبيل لإصلاحه يا أم محفوظ، بل يا أم عبد الغفور . ألم ير أخاه الكبير العاقل المتزن ، الصامت الذي لا نسمع له صوتاً ، أو كلمة واحدة أثناء جلوسنا . سأترك له البيت من بعدي ليتحمل المسؤولية برجولة وحكمة ، ليظل رأس آل العجرودي عالياً بين أهالي البلدة ..

ولكن ، يجب أولا طرد هذا الملعون . «محفوظ» . قبل أن تتفشى هذه الظاهرة بين أرجاء البيت وتقوض جدرانه ...

ـ جدي مربوط ..

ـ ماذا تريد ؟!

ـ اعطني قرشاً ..

ـ لمه ؟! .

ـ لأشتري به جوافة من عم علي البائع .

ـ اذهب إلى أمك الكبيرة وخذ القرش .

عندما أكون قد استويت في مجلسي ـ هذا ـ أمام مدخل البيت ، تحضر ابنة عبد السلام صينية الشاي النحاسية الصفراء ، عليها البكرج الأزرق وكوب واحد صغير مقلوب . اقتربت بهدوء وهمست : «جدي ، أمي الكبيرة قالت اخرجي بالشاي إلى جدك» . أشرت لها على مكان بالقرب من متناول يدي : «ضعيه هنا» . وضعت الصينية ببطء بالقرب من فردتي نعلي القاسي الأصفر . انصرفت بهدوء ، كما جاءت ، كالظل ، لم أشعر بها في كلتا الحالتين ..

لم أعد أتذكر أسماء الأحفاد ، أو افرق بينهم . كل ما أستطيعه هو أن أميز بين أبناء كل واحد من أبنائي : هذه بنت عبد الغفور ، لأنها تشبه أمها ، رفيعة كعود الحطب . وهذا الولد الشقي الذي لا يكف عن التهام الطعام ، لا شك وأنه ابن سلومة ، مثل أبيه : شره . وهذا القزم ابن محفوظ . أما أسماؤهم لا أعرفها ، أو أتذكرها لكثرتهم .. هيه ، العقل مثقل بالهموم والذاكرة لا تعي .. إنها بداية النهاية يا شيخ مربوط .. لا تقل هذا يا رجل ، الدهن في العتاقي . ما زلت قوياً ، قادراً على أن تسحق أقوى الأبناء بضربة واحدة من يدك . ما زال الجميع يهابون منك ، يخشون ثورة غضبك .

لكن .. لم هذا المحفوظ تجرأ على ذلك ؟! ألم يعد يخشاني ، كما كان أيام زمان ؟! أم إنه أحس بضعفي وهواني عن الأول ؟! . هذا الصغير الضئيل الذي أكلته البلهارسيا ، إنني أعرفه جيداً ، إنه نمرود . صغير وقصير ، لكنه لئيم . لئيم جداً .. مثل الثعلب ،



بل مثل ابن عرس الذي يسرق الدجاجات من الحظائر ويهرب.

كنت أحبه على أية حال، لأنه أحسن حالا من شقيقه الأوسط، تلك القربة المنتفخة من الشراب والطعام والدخان والمكيفات، لا هم له سوى الأكل والنساء، حتى أصبح عنده دستة صغار فوق رؤوس بعضهم، زوجه دائماً منتفخة البطن. ما من مرة شاهدتها أو لمحتها تمر من أمامي إلا وتكون حاملاً. وما من مرة سمعت صراخاً، إلا وقالوا: امرأة سلومة تلد. مثل الأرنبة تلد كل أربعين يوماً. أما هو فأصبح بديناً مثقلاً بالشحم.. لكن الابن الأكبر، يعرف كيف يحط القرش على القرش ويدخر، وعندما يمسك التراب بيديه، يتحول إلى ذهب. ويعرف من أين تؤكل الكتف، لذا يقولون عنه، إنه بخيل مقتر، ومع ذلك صامت، لا تعرف داخله من خارجه. إخوته يلقبونه فيما بينهم بالذئب العجوز، داهية الدواهي.

ـ جدتي، جدتي..

ـ هيه...

ـ أريد قرشاً لأشتري به جوافة.

ـ اذهب إلى أمك بدرية.

هيه. عشت طوال عمري حتى أنجبت البنين والبنات. وعشت حتى أنجب أبنائي البنين والبنات. وها أنذا أعيش حتى شاهدت أحفادي يشبون على أرض هذا البيت. وطوال هذه السنوات العراض، والبيت يسير على وتيرة واحدة، بانتظام كالساعة تماماً بتمام، وفق التقاليد المعروفة في بلدتنا والعادات الموروثة عن أجدادنا، لا تتغير ولا تتبدل كالشعائر الدينية التي نزاولها ولا نحيد عنها أو نناقشها، كإيمان العجائز.

الغريزة هي التي تتحكم في كل شيء. في سير الحياة اليومية. وهأنذا طوال يومي أجلس على مقربة من مدخل هذا البيت العتيق، على فروة



خروف بيضاء غزيرة الوبر، فوق المصطبة الطينية التي ترتفع عن الأرض قليلاً، خلف ظهري حشيّة من القطن الطري، دائماً تحرص الأم الكبيرة على إرسالها إليّ مع إحدى الحفيدات الصغيرات.

على مقربة من عصاي التي أتوكأ عليها، تستقر عيناي على قُلة الماء البارد الذي يلتمع على جدارها من الخارج، يحث النفس على الشراب. على التراب المندى أعقاب سجائري المبرومة، التي ما زلت أدخنها حتى هذه اللحظة.

بجواري علبة الصفيح محبوكة على الدخان وبجوارها دفتر البفرة وأعواد الثقاب. والصحيفة اليومية مطوية بعناية وجزء منها مختف تحت الوسادة. أحضرها، بعد أن ارتفعت الشمس على الأسطح، عبدون البوسطجي على دراجته القديمة، حيث وصل والظل لم ينحسر عن مجلسي.

بعض الأحفاد الصغار يلعبون في الساحة التي أمام البيت، يدورون خلف بعضهم، حول جذع النخلة. والكلب راقد على مقربة منهم لا يريم.

وصوت بدرية يتسلل من الداخل في حذر:

ـ خذ كوز الذرة واشتر به جوافة.

ـ أنا خائف.

ـ ممن؟!

ـ جدتي ستضربني لو شاهدتني.

ـ لا تخف.

ـ أتذكر البكرج، أصب الشاي الساخن في الكوب الصغيرة، أشرب على رشفات رغم تصاعد البخار. أتذكر العجرودي. هنا.. كان مجلسه المفضل، في هذا المكان، وحوله الأعيان.

وعندما يهتف عليَّ أندفع ناحيته، وحتى لا أقترب من حافة المصطبة، أقف عن كثب أرتجف، أستمع إليه وعيناي منكستان على الأرض. لا أجرؤ على أن أخاطبه، وجهاً لوجه. وما رفعت عيني قط طوال حياتي في عينيه. وما رددت عليه سوى: حاضر، نعم.

ها قد مضى هذا الزمن الطيب الكريم وولى، وأعطانا ظهره في غضب منا، ومن تصرفاتنا وأفعالنا. وها قد أقبل الزمن النذل الخسيس بوجهه القميء. كفانا الله شره وأحسن لنا فيه الختام...

بقلم: سعيد بدر

السَّيِّدةُ العجوز

أصخت السمع. تناهى إليها زحف الأقدام على الدرج.. من أسفل.

ـ لقد أتوا.

أرهفت.. كالعاصفة تنذر بالأصوات من بعيد. كثيرة كانت. كلما ارتقت تكاثرت..

ـ ليأتوا. لن أغادر بيتي.

لاذت بالركن المألوف لوجهها. بين الأريكة والحائط.. اعتادت الجولان في الماضي من هنا.. الإمعان فيما حدث. التطلع إلى الآتي.. تتصوره.. تتحفز نحوه.. تستحضر إرادة صلبة. تحاول كبت خوفها. تدفنه في أعمق بئر. تحكم فوقه الغطاء..

تجاهد الظلام والوحدة.

المتحالفين أبداً. ضد الشيخوخة. ضد الجسد الذي لعقته السنين. نخلته تركت القفص الصدري علبة خاوية. تدب فيها الأصوات. تتردد بين الضلوع. تدفن في ثناياها الخوف:

ـ أعرف أنك محام الخصم. الإيصالات يا أستاذ. أنا استلمتها من موكلك يداً بيد..

وأعطيته الأجر شهراً بشهر. أكنت تعلم؟

ركلت الأقدام الباب من الخارج. صوبت عينيها على الكالون. على الترباس أسفل الباب. أزت المسامير من الضغط. دفعة قوية خلعت الباب. انكفأ على الأرض. تطاير طرف مفرش المنضدة وغطاء الفراش. بانت الوجوه من فتحة الباب الشاغرة.

كالصخر الأصم.. جاست الأقدام في البيت.. تركل ما يقابلها.. فتحوا النافذة. اندفع تيار هواء بين النافذة والباب.

ـ يا بني آدم لا تساومني.. أين أبيت.

تسلقوا الجدران. اعتلوا واجهة البيت. الشرخ في الجدار عميق.. خلعوا شيش النافذة. قذفوا به إلى الشارع.. طار.. صفق على البعد..

ـ كم تطلبين. قولي كم..

ـ مال قارون لا يكفي.



لن أبرح بيتي . أفهمت . لن أبرحه أبداً .. أبداً ..

هـزت لـه رأسي بالرفض . طفرت من عيني دمعة . «يا خسارة» ما كنت أحب أن تطفر ..

تجلت آيات الإعجاب في وجهه . منحني قوة فردت ظهري . كنت أكافح السقوط .. غادرته متماسكة . ما أجمل أن يكون الحق في يدك ، لتقذف به في وجه الباطل .. خر التراب من السقف .. أضلاع السقف الخشبية تئن . ينغرز نصل المعول فيها «تـزيق» الألـواح المتراصة من فوقه هشة . تنثال مع التراب . فوق الفراش والأريكة . يبعثرها الريح المتصل بين الباب والنافذة . امتد شرخ في الواجهة . شطرها . تشعب وسقط من بينه حجر . نفضت ذراعاها في حنق .. مسحت رأسها . يممت وجهها براحتيها . أزالت التراب المترسب بين التجاعيد .. :

ـ أستضيفك في بيتي حتى أبني العمارة . وسأعطيك في العمارة الجديدة .

صوته الخافت يثير الريبة . هززت له يدي : «اكتب ما تقول» .

ابتسم . أطل الخبث من ابتسامته .. هذا المراوغ يريد أن يلقي بي إلى الشارع . أبيت على الرصيف . مع القطط .

بجوار علب القمامة . في الصيف شمس حارقة .. وفي الشتاء «غارقة» .

ـ نجوم السماء أقرب إليك .

ـ ستخلينه . أقسم .

أنا وأنت والزمان طويل .

انفتحت طاقة في السقف . لمعت نجمة خلف ذرات التراب . فعل المعول يقدح أحجار الواجهة البيت خال . على رأسي . ارتضى السكان الرحيل . قبضوا (الثمن) ورحلوا ..

حقيقي . أصابه الكبر .

قالوا عنه : «آيل للسقوط» نخرت السنين جدرانه . لكنه منتصب القامة لم يزل .

ـ تأجلت القضية لعرض مستنداتك على الخبير .

كادت تنهار . انهارت واجهة البيت . كشفت عن أحشائه . انهار الدرج .. هام التراب في البقايا المتساندة . ملأ بئر السلم ..

بقيت في الركن تحملق في الظلام .. تغالب الضباب المتمثل في ذرات كثيفة .



تتنفس التراب .. تستنشقه . تبصقه . للذرات أصابع تقبض على الحلق . ولم يكن بد غير المكوث والانتظار ..

تبدد الغبش . انجلى الصبح وبان الشارع . وخيالات المارة تجوب . أمام البيت . تتجمع كالنمل حول كسرة الخبز . تكاثر الناس . حول سلم الإطفاء . عربة الإسعاف .. الجميع يحملقون في الغرف المرصوصة على الشارع . بطلائها الجيري متعدد الألوان .. يشيرون إلى شيء أسود متململ بين الأريكة والحائط .

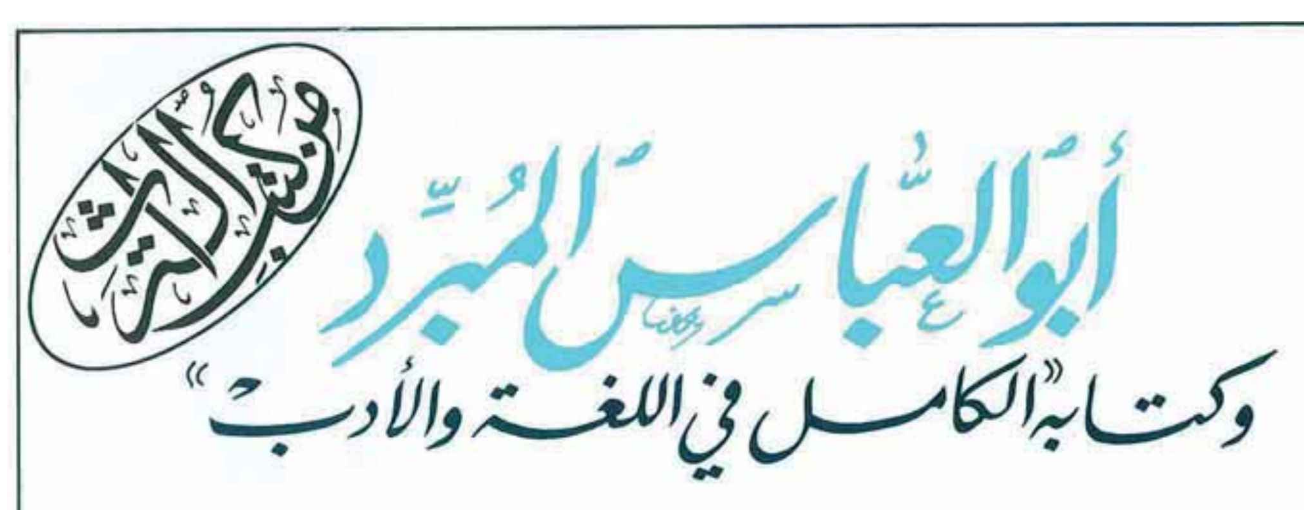
هبط الرجل من فوق السلم دونها .. توجه «للمأمور» .

صاحب البيت ممتقع الوجه . كان لتواجده على أرض الغرفة . لحظات زئبقية ثقيلة . انحبست لها كل الأنفاس . تحولت القلوب إلى المحاجر .

تتطلع . ما كادت تعتلي ظهر الرجل وتطوق عنقه وتستقر . حتى تململت النفوس خوفاً . صدرت عنها همهمات فزع مكبوت . وبدا وجه السيدة العجوز . مغمضة العينين . يتقاطر من بين تجاعيده «كركم أصفر» .. وصل الرجل إلى حافة الواجهة . استدار .

تحسس بمشط قدمه أول درجات السلم . لم يكن ثمة دعامة يعتمد عليها . حركة حذرة . متوجسة . بحثاً وتلمساً .. أول درجة من السلم . مؤشراً يحرك العيون من أسفل . كادت تستقر أول قدم فوق أول درجة ، سحبت الأنوف شهيقاً عميقاً .. لكن القدم الأخرى لا تزال على أرض الغرفة .. مال بجذعه لليمين . لنقل يسراه عبر الهواء . بسط ذراعاه .

كذلك كان . جذع مائل وقدم تغادر أرض الغرفة وذراعان مبسوطتان لحفظ التوازن . استقرت القدم الثانية فوق نفس الدرجة من السلم ، وتصايح الناس فرحاً . زادت الدهشة الجميع حين شاهدوا السيدة العجوز ، تتعلق برقبة الرجل بيد واحدة . فقد كانت اليد الأخرى . تلوح في الهواء بالعقد الجديد .



بقلم: د. كامل السوافيري

من ألمع الأعلام التي تلألأ نورها في سماء اللغة والأدب، في القرن الثالث الهجري أبو العباس المبرد، ومن أمهات الكتب التي زخرت بأسرار اللغة وعيون الأدب، وروائع الشعر كتابه الكامل.

وحسبنا دليلاً على ذلك، ما سجله ابن خلدون في قولته: «سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين هي: ١ ـ كتاب (الكامل) للمبرد. ٢ ـ كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة. ٣ ـ كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ. ٤ ـ كتاب (النوادر) لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة، فتبع لها وفروع منها».

وأبو العباس كنيته، واسمه محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث الثمالي الأزدي البصري النحوي، تفتحت عيناه على جمال الوجود سنة مائتين وعشر، أو مائتين وعشرين، وأفل نوره سنة مائتين وخمس وثمانين هجرية.

قال عنه **السيرافي** في طبقات النحويين البصريين إنه من **ثمالة** وهي قبيلة من الأزد، وفيه يقول **عبد الصمد بن المعذل:**

سألنا عن ثمالة كل حي
فقال القائلون ومن ثماله؟
فقلت محمد بن يزيد منهم
فقالوا زدتنا بهم جهاله

أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، وروى عنه إسماعيل الصفار، ونفطويه، والصولي. وكان هو وثعلب متعاصرين ختم بهما تاريخ الأدباء، وفيهما يقول بعض أهل عصرهما:

أيا طالب العلم لا تجهلن
ولذ بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى
فلا تك كالجمل الأجرب
علوم الخلائق مقرونة
بهذين في الشرق والغرب

وكان المبرد إمام العربية ببغداد في زمانه، وكان فصيحاً بليغاً، مفوهاً، ثقة، إخبارياً، علامة، صاحب نوادر وظرافة. قال عنه نفطويه: «ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه».

وله من التصانيف: ١ ـ معاني القرآن. ٢ ـ الكامل في اللغة والأدب. ٣ ـ المقتضب. ٤ ـ الروضة. ٥ ـ المقصور والممدود. ٦ ـ الاشتقاق. ٧ ـ إعراب القرآن. ٨ ـ نسب عدنان وقحطان. ٩ ـ الرد على سيبويه. ١٠ ـ شرح شواهد الكتاب. ١١ ـ ضرورة الشعر. ١٢ ـ العروض. ١٣ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه. ومن المؤسف أن بعض هذه التصانيف لم يصل إلينا، ولم يتح لنا الاطلاع عليه.

وفي رثائه وفي رثاء ثعلب قال ابن العلاف:

ذهب المبرد وانقضت أيامه
وليذهبن إثر المبرد ثعلبُ
بيت من الآداب أصبح نصفه
خرباً وباقي نصفه فسيخربُ
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا
للدهر أنفسكم على ما يسلبُ
وتزودوا من ثعلب فبكأس ما
شرب المبرد عن قريب يشربُ
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه
إن كانت الأنفاس مما يكتبُ

اسمه ولقبه

ينطق المثقفون لفظ المبرد بالراء المشددة المكسورة تارة، والمفتوحة تارة أخرى، وقد تعددت الروايات عن سبب ذلك، حيث تقول رواية: إن **المازني** لما صنف كتاب الألف واللام، سأل المبرد عن دقيقه وعويصه، فأجابه بأحسن جواب فقال له: قم فأنت المبرد بالراء المشددة المكسورة، أي المثبت للحق، فغيره الكوفيون إلى الراء المشددة المفتوحة، وهناك



رواية ثانية منقولة عن ابن الجوزي في كتاب (الألقاب) تقول : سئل المبرد لِمَ لقبت بهذا اللقب ؟ فقال : كان سبب ذلك ، أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة ، فكرهت الذهاب إليه ، ودخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، فجاء رسول الوالي يطلبني ، فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا ـ يعني غلاف مزملة فارغاً ـ فدخلت فيه ، وغطّى رأسه ثم خرج إلى الرسول وقال : ليس هو عندي . فقال : أخبرت أنه دخل إليك . فقال : ادخل الدار وفتشها ، فدخل فطاف كل موضع من الدار ، ولم يفطن لغلاف المزملة ، ثم خرج ، فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة المبرد ، المبرد . . وتسامع الناس بذلك فلهجوا به .

ونميل إلى ترجيح الرواية الأولى ، لأنها تتسق مع الفكر ، وتتلاءم والمنطق ، ولأن الإجابة الشافية عن أسئلة المسائل تبرد قلبه ، ولا نزال نقول لمن يجيب عن أسئلتنا الإجابة الشافية أثلجت صدورنا ، ورويت غليلنا .

كتاب الكامل

يتألف كتاب (الكامل) من جزءين يضمهما مجلد واحد . يقع الأول في ثمان وأربعمائة صفحة من القطع الكبير ، ويحتوي على المقدمة ، وخمسة وأربعين باباً ، في حين يقع الثاني في ثمان وعشرين وثلاثمائة صفحة ، ويحتوي على أحد عشر باباً تبدأ من السادس والأربعين ، وتنتهي بالسابع والخمسين .

ونرى من تمام الفائدة أن نورد المقدمة التي استهل بها المؤلف كتابه وقال : « هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور ، وشعر مرصوف ، ومثل سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة ، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً شافياً حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً ، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً وبالله التوفيق ، والحول والقوة ، وإليه مفزعنا في درك كل طلبة » .

وتلي هذه المقدمة مادة الكتاب التي تبدأ بهذا الحديث النبوي الشريف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار في كلام جرى : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » ، ويشرح معنى كلمة الفزع قائلاً :

الفزع في كلام العرب على وجهين : أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر ، والآخر الاستنجاد والاستصراخ .

ويورد بعد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجالس يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً ، الموطأون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون . ألا أخبركم بأبغضكم إليّ ، وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة : الثرثارون المتفيهقون » . ويشرح معاني الكلمات : الموطأون ـ أكنافاً ـ الثرثارون ـ المتفيهقون ، مستشهداً بأبيات الشعر التي توضح معانيها ، عازياً كل قول إلى قائله ، مضيفاً للبيت الواحد ، أو البيتين اللذين يوردهما ، أبياتاً من القصيدة التي ورد فيها ، شارحاً الألفاظ الصعبة والمعاني المستغلقة ، فيشرح الموطأون أكنافاً بقوله إن التوطئة هي التذليل والتمهيد . يقال دابة وطيء يا فتى وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره ، وفراش وطيء إذا كان وثيراً لا يؤذي جنب النائم عليه ، ويشرح الأكناف بالجوانب ، يقال في المثل فلان في كنف فلان ، والثرثارون الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً وخروجاً عن الحق ، والمتفيهقون بمنزلة الثرثارون توكيد له » .

وبعد المقدمة التي استوعبت ست عشرة صفحة ، يبدأ الباب الأول من الجزء الأول من الكتاب .

المبرد ناقداً

يقول في **الباب الأول :** من كلام العرب الاختصار المفهم ، والإطناب المفخم ، وقد يقع الإيماء إلى الشيء ، فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة .

فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف ، الجميلة الرصف قول **الحطيئة :**

وذاك فتى إن تأته في صنيعة
إلى ماله لا تأته بشفيع

وقول عنترة :

يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وقال زهير :

على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

ونقف هنيهة ، لنقرر أن الحاسة النقدية عند المبرد متوهجة ، وأن ذوقه رفيع المستوى ، وقدرته على التمييز بين الجيد والرديء واضحة ، وحكمه النقدي صادق . فالممدوح في بيت الحطيئة فتى من الأجواد إذا قصدته طالباً معروفه ، لم تحتج إلى شفيع ، لأن دأبه أن يقدم المعروف لكل من يقصده دون شفاعة أو وساطة .

وبيت عنترة فخر صادق ، بعيد عن الغلو والمبالغة ، فخر صادق بأنه يقتحم أهوال الحرب

ويغشاها ، ويعف عند المغنم ، والمعروف عند الناس أنهم لا يغشون الوغى برغبة وصدق ــ إلا الشجعان ــ لما فيها من أخطار وأهوال ، وإنما يتصارعون على الغنائم لما فيها من فوائد. وجميل منه قوله يخبرك بذلك عن من شهد المعركة لا الشاعر.

وبيت زهير تضمن مدحاً للأغنياء والفقراء من ممدوحيه ، فعلى أغنيائهم رعاية فقرائهم ، وفي الفقراء السماحة والسخاء.

والمجاز قليل في الأبيات ، والعواطف صادقة ، والألفاظ سهلة ، والمعاني واضحة. وزاد من جمال بيت زهير الطباق بين المكثرين والمقلين.

ويقدم مثالا على الشعر الرديء ، والألفاظ المستهجنة ، والمعاني البعيدة ، بيت **الفرزدق** :

وما مثله في الناس إلا مملكاً
أبو أمه حي أبوه يقاربه

الذي يعني فيه الشاعر بالمملك هشاماً ، وهو أبو أم ذلك المملك ، وأبو هذا الممدوح ، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير. وما قرره المبرد ، وما أخذه على بيت الفرزدق من العيوب حتى سجلته كتب النقد والبلاغة التي عابته لما فيه من تعقيد لفظي تمثل في الفصل بين المبتدأ والخبر ، والصفة والموصوف ، وتكرار كلمة أب وغير ذلك من العيوب.

ووقف المبرد وقفة إعجاب عند قول الشاعر :

والشيب ينهض في السواد كأنه
ليل يصيح بجانبيه نهار

قائلاً : «هذا أوضح معنى ، وأعرب لفظ ، وأقرب مأخذ» ، ومضى يقول : «وليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطي كل ما يستحقه».

وننحني إجلالا وتقديراً للحكم الذي أصدره على الشعر والشعراء ، من أنه لا يُفضل شاعر لأسبقيته في الزمان ، ولا يؤخر آخر لحداثة عهده ، الذي اتفق فيه مع **ابن قتيبة** الذي قال عن الشعراء : «ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلًّا حظه ، ووفرت عليه حقه».

ويقول أبو العباس المبرد في معرض استجادته واستحسانه لما يستجيد ، واستهجانه لما يستهجن ، ومما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد ، وبعده من الاستعانة قول أبي حية النميري :

رمتني وستر الله بيني وبينها
عشية آرام الكناس رميم
ألا رب يوم لو رمتني رميتها
ولكن عهدي بالنضال قديم
يرى الناس أني قد سلوت وأنني
لرمى أحناء الضلوع سقيم

شارحاً هذه الأبيات بأسلوبه الذي يقول فيه : «رمتني بطرفها ، وأصابتني بمحاسنها ، ولو كنت شاباً لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب ، فهذا كلام واضح».

وقيل في ستر الله : الإسلام ، وقيل إنه الشيب ، وقيل : إنه ما حرم الله عليها ، ويشرح الكناس بالموضع الذي تأوي إليه الظباء ، والرميم بأنه مأخوذ من العظام الرميم وهي البالية.

أما **الباب الثاني** ، فقد استهله بقوله : قيل **لمعاوية** ما النبل؟ فقال : الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة ، ويروي عن **النبي** صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى ، قال : من أكل وحده ومنع رفده ، وضرب عبده ، ألا أخبركم بشر من ذالكم : من لا يقيل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً ، ألا أخبركم بشر من ذالكم : من يبغض الناس ويبغضونه». ويروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، والمرء كثير بإخوانه».

ومن أحسن ما أورده المبرد في هذا الباب من الحكم والأقوال المأثورة قول **الإمام علي بن أبي طالب** ــ كرم الله وجهه ــ : «من لانت كلمته وجبت محبته». وقول الخليفة العادل **عمر بن الخطاب** ــ رضي الله عنه ــ : «ثلاث يُثبِّتن لك الود في صدر أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه». وقوله : «كفى بالمرء غياً أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئاً ثم يأتي مثله ، أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه».

وفي **الباب الخامس** قال : أنشدني **عبد الوهاب بن حسنه الغنوي لعبيد بن العرندس الكلابي** يصف قوماً نزل بهم :

هينون لينون أيسار ذوو يسر
سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون على العمياء ــ إذا نطقوا ــ
ولا يمارون ــ إن ماروا ــ بإكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري

أبو العباس المبرد
وكتابه الكامل في اللغة والأدب

ويورد المناسبة التي أنشد فيها الشاعر القصيدة ، ويروي قصة الشاعر مع هؤلاء الممدوحين ، ويضيف للأبيات الثلاثة أبياتاً أخرى .

ونقول : إن الأبيات جيدة ، وموسيقاها خلابة ، وتأمل معي جمال الرنين في الياء الساكنة المسبوقة بالفتح في هينون ولينون وأيسار ، وتكرار السين في البيت .

وفي البيت الثالث يحلق الشاعر في آفاق عالية ، حين يقرر أن من تلقاه من هؤلاء الكرام تقول عنه إنه سيدهم كأنهم النجوم التي يهتدي بها الساري في دجى الليل .

أبو العباس المبرد لغوياً ونحوياً

قررنا أن كتاب (الكامل) ليس كتاب أدب ونقد فحسب ، بل كتاب لغة ونحو وتصريف وتاريخ ، ولكن حظ الجانب اللغوي فيه كان أوفر ، والعناية بها أشمل ، فلم ترد كلمة في خطبة نقلها ، أو شعر أورده ، واستغلق معناها ، أو صعب فهمها إلا فسرها ، ووضح المقصود منها ، وقد يطنب في شرح معاني الكلمة الواحدة ، مستشهداً لكل معنى بشواهد من الشعر ، ومن ناحية النحو ، لا يكتفي المبرد بشرح معاني الكلمات ، وإنما يعرض لحركات إعرابها ، ويبين الوجوه الجائزة والممنوعة فيها ، فعندما أورد عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر أو يتقي فيها الفاجر إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل ، فذلك علمي به ورأيي فيه ، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ، وقف عند نصب أي فقال : نصب أي بقوله ينقلبون ولا يكون نصبها بالفعل سيعلم .

وفي الصفحة الرابعة والثمانين بعد المائة من الجزء الثاني ، يعقد **الباب الحادي والخمسين لوزن فعل** فيقول : « اعلم أن كل اسم على وزن مثال فعل بضم الأول وفتح الثاني مصروف في المعرفة والنكرة إذا كان اسماً أصلياً ، أو نعتاً ، فالأسماء نحو صرد ، ونغر ، وجعل ، فإن كان الاسم على فعل معدولا عن فاعل لم ينصرف إذا كان اسم رجل في المعرفة وينصرف في النكرة » .

أما الباب الثاني والخمسون ، فقد خصصه للنسب إلى المضاف فقال : « اعلم أنك إذا نسبت إلى علم مضاف ، فالوجه أن تنسب إلى الاسم الأول ، وذلك كقولك في عبد القيس عبدي ، وإن كان الاسم الثاني أشهر من الأول ، جاز النسب إليه لئلا يقع التباس من اسم باسم كقولك في النسب إلى عبد مناف منافي » .

ومن الأبواب ، باب اللام التي للاستغاثة والتي للإضافة يقول : « إذا استغثت بواحد أو بجماعة ، فاللام مفتوحة تقول : يا للرجال ، ويا للقوم ، وتقول إن هذا لزيد بكسر اللام إذا أردت أنه في ملكه » ، وما أكثر مسائل النحو وقضاياه ، وقواعد التصريف والاشتقاق ، والجوانب التاريخية التي فصل فيها القول ، وسلط الأضواء على الزوايا المعتمة .

وقد عرض المبرد في كتابه الكامل فرائده وجواهره بأسلوبه الرصين ، وعبارته القوية ، وكان كما قال عنه جامعاً لضروب من الآداب ما بين منثور ومنظوم ، وأمثال سائرة ، ومواعظ بالغة ، واختيارات موفقة من خطب شريفة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وللخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم .

وقد وفى بما وعد في مقدمة الكتاب ، ففسر كل ما وقع فيه من كلام غريب ، ومعنى مستغلق ، وشرح ما عرض فيه من وجوه الإعراب ، فكان كما قال مكتفياً بنفسه ، مستغنياً عن أن يرجع إلى أحد في تفسيره .

والكتاب درر غاص المبرد عليها فيما قرأه واطلع عليه ، وفيما سمعه ونقل إليه ، وقد قدمه لنا في حلل مطرزة ، وبرود موشاة ، وبسط منمنمة من التعبير الجميل ، والعرض الجيد ، ولو لم يكتب أو يؤلف المبرد في حياته إلا كتابه الكامل لكفاه فخراً .

☆ ☆

مصادر البحث ومراجعه

● الكامل للمبرد في اللغة والأدب ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .

● معجم الأدباء لياقوت الحموي ، الجزء التاسع عشر ، ص ١١١ .

● بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، الجزء الأول ، ص ٢٦٩ .

● إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تأليف الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م ، الجزء الثالث ، ص ٢٤٩ .





أ

أمبير :

هو الوحدة العملية لقياس شدة التيار الكهربائي ، أما **الأمبير – ساعة** فهو وحدة شائعة الاستخدام لحساب كمية الكهرباء ، **والأمبير الدولي** هو وحدة التيار ، ويعرف بأنه شدة التيار الثابت الذي يرسب الفضة بمعدل ١,١١٨ مليجرام في الثانية عند إمراره خلال محلول نترات الفضة في الماء ، أما **الأمبير – لفة** Am....pere - turn ، فإنه وحدة القوة الدافعة المغناطيسية ، وهي تساوي حاصل ضرب عدد لفات ملف ما في شدة التيار المار خلاله بالأمبير .

أوم :

وحدة **قياس المقاومة الكهربية** ، أي مقاومة أي مادة لمرور التيار الكهربي فيها ، وهي تساوي المقاومة الكهربائية بين نقطتين على موصل معدني متجانس ومنتظم ، بحيث إذا وجد بينهما فرق جهد مقداره فولت واحد ، فإن الموصل يمر فيه تيار ثابت مقداره أمبير واحد ، أما **الأوم الدولي** International ohm فيعرف بأنه المقاومة التي يبديها عمود من الزئبق طوله ١٠٦,٣ بوصات ، ومساحة مقطعه منتظمة وكتلته ١٤,٤٥٢١ جم عند درجة حرارة الصفر المئوية .



بطارية :

تحول الطاقة الكيميائية إلى طاقة كهربائية بواسطة جهاز يعرف بالخلية Cell ، وعندما يتم وصل اثنين أو أكثر من هذه الخلايا في توال أو توازٍ ، فإنها تكون بطارية ، **يوجد شكلان من الخلايا : أولية وثانوية** ، النوع الأول منها يشير إلى أنه عندما يتم تفريغ الخلية كلياً ، فإنها « تموت » وتتحلل المواد الكيميائية التي فيها ، والنوع الثاني ، يمكن إعادة شحنه كما هي الحال في بطاريات السيارات المعروفة باسم **بطاريات الرصاص والحامض** Lead - Acid Battery .

وجميع البطاريات لها ثلاثة أجزاء رئيسية : صفيحة سالبة أو إلكترود ، وصفيحة موجبة ، والكتروليت electrolyte وهو محلول كيميائي ، بفضله تتحرك الإلكترونات من الصفيحة السالبة إلى الصفيحة الموجبة ، وحينما تتصل الصفيحتان معاً يسري تيار كهربي في السلك الذي يستخدم في وصلهما ، وفي كثير من الحالات بفضل استخدام التيار الكهربي للبطاريات عن مصادر التيار الأخرى ، كما هي الحال في البطاريات الجافة المستخدمة في تشغيل الساعات والأجهزة الإلكترونية .

بيتومين Bitumen :

مخلوط من مواد غير عضوية (مواد كيميائية ليست من أصل حيواني كالمعادن والأملاح) ، وهيدروكربونات ، يكون جامداً في درجات الحرارة العادية ، ويتحول إلى سائل عند درجة حرارة ٩٠ – ١٠٠ مئوية ، **ويستخدم** في عزل الأجزاء المعدنية التي يسري فيها التيار الكهربي والموضوعة داخل صناديق معدنية .



تيار كهربي :

يعرف التيار الكهربي بأنه تدفق إلكترونات **المواد الموصلة** Conductors في اتجاه واحد ، ومن أشهر المواد الموصلة الفضة والنحاس والألمنيوم والفلزات عموماً ، خاصة المواد التي تتميز بوجود عدد من الإلكترونات الطليقة في أغلفتها الخارجية outer Shells ، وحركة الإلكترون

ليس لها عادة اتجاه موحد ، ولكن ينتج عن توصيل طرفي البطارية الكهربية تحرك الإلكترونات وتدفقها في اتجاه واحد ، أي تكون التيار الكهربي ، وقد اصطلح على أن الاتجاه الفعلي لسريان الكهرباء ، هو من القطب السالب للبطارية إلى القطب الموجب لها ، وتقاس شدة التيار الكهربي بالأمبير .

تردد Frequency :

عدد الذبذبات ، أو الموجات ، أو الدورات الكاملة لأية ظاهرة ، تحدث بصفة دورية كموجات الصوت والضوء وموجات التيار الكهربي المتردد في الثانية الواحدة .

تنجستن :

عنصر **فلزي** ثقيل ، يقع في الصف السادس من الجدول الدوري للعناصر الكيميائية ، اكتشفه **دي الهويار** عام ١٧٨٣ ميلادية ، يمتاز بدرجة انصهاره العالية (٣٤١٠ مئوية) ، وهو لا يتفاعل بسهولة مع المواد الأخرى في درجات الحرارة العادية ، ومن بين استخداماته عمل فتائل المصابيح الكهربية التي تتوهج عند مرور التيار الكهربي فيها .



ترموستات Thermostat :

جهاز أو وسيلة **تستخدم للمحافظة على حرارة الأجسام ، أو السوائل ، أو الحيز المراد التحكم في حرارته** أوتوماتيكياً ، ويكون عملها عادة هو فتح أو قفل الدوائر الكهربية ، وهي تتكون من عنصر حساس للتغير في درجات الحرارة ، ويتحرك هذا العنصر ، أو يحرك ذراعاً معدنياً ، فتنشأ عن ذلك قوة ميكانيكية أو إشارة كهربية تستخدم لفتح أو قفل الدائرة الكهربية التي تتحكم في البرودة أو الحرارة .

ثغرة شرارة :

ترتيب خاص بين **إلكترودين كهربيين** ، بحيث تحدث بينهما شرارة أو قوس كهربي ، أو يمر بين الإلكترودين تفريغ كهربي عندما يزيد فرق الجهد بين الإلكترودين عن قيمة معينة سبق تحديدها .



جلفانومتر Galvanometer :

جهاز قياس يستخدم لبيان أو كشف التيارات الكهربية الصغيرة مع تعيين اتجاهها ، وهو **يتكون من إبرة مغناطيسية وملف من السلك** مرتين ، بحيث تنحرف الإبرة عند سريان التيار الكهربي في الملف .

جرافيت :

إحدى الصور التي يتواجد فيها **الكربون** في الطبيعة ، ويكون متبلوراً في شكل سطوح رقيقة معتمة لونها أشهب ، له ملمس دهني ناعم ، ويترك أثراً على الورق ، كما يتميز بنقائه ، وبأنه جيد التوصيل للكهرباء ، ولذلك **يستخدم** في صناعة الأقطاب الكربونية للبطاريات الكهربائية ، كما **يستخدم** في صناعة الفرش الكهربائية Electric Brushes .



حاسبة إلكترونية :

آلة إلكترونية تستخدم أساساً لحل المشكلات الرياضية المعقدة ، أو التي يستغرق حلها وقتاً طويلاً ، أو لا يمكن حلها بواسطة الطرق المألوفة التي يستخدمها الإنسان ، وهي **نوعان : حاسبة رقمية ، وحاسبة بالقياس** Digital and Analog ، وتستخدم الأولى لإجراء العمليات الرياضية كالضرب والقسمة والجمع والطرح ، بينما تستخدم الأخرى في الدراسات الهندسية .

حمل كهربي Electric Load :

القدرة المأخوذة من واحد أو أكثر من الآلات ، أو المولدات ، أو المحولات الكهربية ، أو مجموعة منها ، مثل محطة توليد قوى رئيسية ، أو محطة فرعية ، أو التي تتغذى بها دائرة ما ، وفي الشبكات الكهربية **يعرف الحمل الأساسي** Base Load بأنه أقل حمل يوصل بالشبكة بصفة مستمرة يغذيه أكثر محطات التوليد كفاءة ، أما الأحمال الدورية ، فتقوم بتغذيتها بصفة منتظمة محطات توليد أخرى لا يشترط فيها أن تكون ذات كفاءة عالية .



خلية كهروضوئية Photoelectric Cell :

خلية حساسة للضوء ، حيث تصبح موصلة للكهرباء عند تعرضها للضوء ، وعنصر **السلينيوم** له هذه الخاصية ، إلا أن الخلايا الكهروضوئية الحديثة ، تستخدم فيها طبقات رقيقة من البوتاسيوم والمعادن

الأخرى التي تبعث إلكترونات تحت تأثير الضوء ، وتتكون هذه الخلية من إلكترودين بينهما ، جهد معين وموضوعين داخل وعاء زجاجي مفرغ أو مملوء بغاز خامل (والإلكترود هو مادة موصلة لتيار الكهربي ، حيث يدخل منها إلى الإلكتروليت ، أو العكس) .

خط تغذية رئيسي Trunk Feeder :

خط يستخدم لنقل القدرة الكهربائية بين محطتين أو شبكتين رئيسيتين .

خط القوة الكهربائية Line of Electric Force :

خط مرسوم في مجال كهربي ، بحيث يكون اتجاهه عند أي نقطة داخل هذا المجال ، هو نفس اتجاه القوة الكهربائية عند هذه النقطة ، وتستخدم خطوط القوى غالباً مقياساً للقوة الكهربائية ، حيث يكون عدد الخطوط في كل سنتيمتر مربع عند أي نقطة مساوياً للقوة الكهربائية عند تلك النقطة .



دائرة كهربية :

مجموعة من العناصر أو الموصلات التي تركب وتتصل معاً في صورة متتالية ، بحيث تسمح للتيار الكهربي بالمرور فيها إذا كانت مغلقة ، أما إذا كانت مفتوحة فلا تسمح بمروره ، وفي دائرة الإضاءة الكهربية العادية ، يسري التيار الكهربي من المصدر الكهربائي إلى المصباح ، ثم يعود إلى المصدر ، وفي هذه الحالة يتحكم « المفتاح الكهربائي Electric Switch » في فتح وإغلاق الدائرة .

دائرة مؤرضة Earthed Circuit :

دائرة كهربية فيها نقطة أو أكثر ، يتم توصيلها عمداً بالأرض .

دواة مصباح ملولبة Screwed Lampholder :

وسيلة للإمساك بالمصباح الكهربي الذي قاعدته ملولبة ، كما أنها تقوم بتوصيل التيار الكهربي للمصباح .



ذبذبة طليقة Free Oscillation :

هي ذبذبة أي جهاز أو نظام كهربي في حالة عدم وجود قوة خارجية تؤثر على الجهاز أو النظام .

ذراع تثبيت Steady Arm :

وسيلة للتثبيت ، تستخدم في التعليق السلسلي للخطوط الكهربائية الهوائية للمحافظة على إبقاء الموصل في موضعه الجانبي الصحيح .



ريوستات Rheostat :

مقاومة متغيرة يتم توصيلها أحياناً مع بعض الدوائر الكهربية ، وذلك لتغيير قيمة المقاومة الكلية للدائرة ، وتتكون الريوستات من ملف مصنوع من سلك مقاومة وملامس منزلق ، بحيث يمكن وضع الملامس في أوضاع مختلفة بطول السلك ، وذلك لإحداث التغير في مقدار مقاومة السلك لمرور التيار الكهربي .

راسم كهربائي للقلب Electrocardiograph :

جهاز كهربي يقوم بتضخيم وتسجيل التغيرات الطفيفة في الجهود الكهربائية التي تحدث في الأجزاء المختلفة بالجسم نتيجة للتغير في ضربات القلب ، فحينما يصبح أي نسيج من الأنسجة – ولكن أنسجة القلب – نشطاً ، تنتج آثار لتيارات كهربائية خفيفة ، ولقد أمكن تكبير هذه التيارات ثلاثة آلاف مرة أو أكثر ، ويقوم جهاز الراسم الكهربائي بتسجيل آثار التيار الكهربي كخط منحنى معقد ، يمكن للأخصائي المختص أن يعرف مغزى المنحنى الناتج ، وما إذا كان الشخص الذي أجري عليه التسجيل يتمتع بقلب صحيح أم سقيم .



زيت القطع Oil - Break :

اصطلاح يستخدم في الهندسة الكهربائية ليشير إلى أن الدائرة الكهربائية يتم قطعها في الزيت .

زيت محولات Transformer Oil :

زيت عازل يستخدم في تبريد المحولات الكهربية بهدف خفض درجة حرارتها أثناء عملية التشغيل .



السعة الكهربية Capacitance :

هي خاصية لأي جسم موصل للكهرباء ، بمقتضاها يجب

تغذيته بكمية من الكهرباء لإحداث فرق في الجهد بينه وبين الأجسام المحيطة به ، **أو هي مقدرة المكثف على تخزين شحنة كهربائية** ، وهي تساوي خارج قسمة الشحنة المختزنة على الجهد بين اللوحين ، وتقاس السعة الكهربية بوحدة اسمها **الفاراد Farad** .

سعة البطارية Battery Capacitance :

اصطلاح يطلق على كمية الكهرباء التي يمكن الحصول عليها من البطارية بمعدل تفريغ معين بعد شحنها شحناً كاملاً ، ويعبر عن سعة البطارية **بالأمبير** ـ ساعة ، وتبلغ سعة بطارية السيارة من ٩٠ إلى ١٢٠ أمبير ساعة ، ويتوقف ذلك على عدد الألواح الموجودة في البطارية وعلى كفاءتها ، ويتم تحديد سعة البطارية في ظروف معملية خاصة ، وإذا قيل إن سعة بطارية ما ١٠٠ أمبير ساعة ، فإن ذلك يعني أن هذه البطارية يمكن أن تعطي تياراً كهربياً شدته أمبير واحد في مائة ساعة ، أو أنها يمكن أن تعطي مائة أمبير في الساعة الواحدة ، أو ١٠ أمبيرات في ١٠ ساعات ، أو أي عدد من الأمبيرات ، بحيث إذا ضربت قيمته في الزمن بالساعات كان الناتج مائة .



شبكة كهربية :

اصطلاح يستخدم في مجال الكهرباء ليدل على جميع التوصيلات التي تربط بين مصادر القدرة الكهربية ، وبين المغذيات التي توصل الطاقة الكهربائية إلى جمهور المستهلكين ، **وهي تتكون من عدة دوائر كهربية** مرتبطة معاً داخل حدود مساحة معينة ، مثل الشبكة الكهربية المستخدمة في توزيع القوى الكهربية في مدينة ما .

شدة المجال الكهربي Electric Field Intensity :

اصطلاح يطلق على خارج قسمة القوة المؤثرة في كمية من الكهرباء على مقدار هذه الكمية ، ووحدة شدة المجال ، هي المجال المنتظم الذي يكون فيه تدرج الجهد (انخفاض الجهد لكل متر) في اتجاه **خطوط القوى** فولتاً واحداً .



صمام ثلاثي Triode :

نبيطة إلكترونية **مفرغة** تحتوي على **كاثود** (إلكترود سالب) ، **وأنود** (إلكترود موجب) ، **وشبكة تحكم تتكون من ساتر لشبكة** مخرمة ، أو من سلك حلزوني بينهما في النبيطة (المستودع) المفرغة ، **ويستخدم الصمام الثلاثي كمضخم للإشارات الكهربية الداخلة إليه** ، وقد اخترعه العالم **لي دي فورست** (١٨٧٣ ـ ١٩٦١ م) سنة ١٩٠٧ م .

صدمة كهربائية Electric Shock :

إحساس يحدث بالجهاز العصبي للإنسان ، أو لأي كائن حي إذا مر في جسده تيار كهربائي ، وكلما كانت قيمة التيار الكهربائي المار في الجسم كبيرة ، كلما ازداد تأثيرها ، وهي تؤدي إلى الوفاة سريعاً إذا زادت عن زمن معين يقدر بالثواني ، كما تتوقف شدة آثارها على المسار الذي يسلكه التيار الكهربي خلال الجسم .



الضابط التلقائي لحجم الإشارة Automatic Volume Control :

دائرة جهاز استقبال لاسلكي تستخدم للتحكم الأوتوماتيكي في حجم الإشارات المستخلصة ، بحيث تظل قيمتها عند مستوى ثابت لا يتغير .

مضخم مغناطيسي Magnetic Amplifier :

جهاز يتكون من قلب أو أكثر من القلوب **الفرومغنطيسية** (قلوب مصنوعة من معادن تتميز بخواص مغناطيسية قوية كالحديد والنيكل وبعض السبائك) ، ويلف حول القلب ملفات ترتب بصورة معينة ، بحيث يمكن تعديل التيار الكهربائي المتردد المار في أحد الملفات نتيجة لتشبع القلب الفرومغنطيسي عند مرور تيار كهربائي مستمر في ملف آخر .

البقية في العدد القادم

الحسابون الخارقون

إشارة إلى موضوع «الحسّابون الخارقون» بقلم الدكتور **عبد الرزاق جعفر**، الذي نشر في العدد «١٠٠» شوال ١٤٠٥هـ، يوليو (تموز) ١٩٨٥م، الأخير من مجلة «**الفيصل**» الغراء، أفيدكم أنني كنت قد قمت بإعداد الموضوع نفسه جملة وتفصيلاً، وتقديمه إلى جريدة (القبس) الكويتية قبل ما يزيد على خمس سنوات، حيث نشر في (**ملحق القبس الأسبوعي**) (صفحة ١٠) للعدد **٢٥٩٢** الصادر يوم الاثنين ١٨ شباط (فبراير) ١٩٨٠م، وذلك تحت عنوان «**الدماغ البشري تغلب على الكومبيوتر الإلكتروني**»، وأرفق لكم طياً صورة من صفحة الملحق والموضوع المشار إليه.

هذا، وأفيدكم أيضاً أنني قمت بتقديم الموضوع ذاته، على صورة حوار إذاعي مسموع إلى **إذاعة دولة الكويت**، وذلك ضمن حلقات المسلسل الإذاعي الأسبوعي الذي أعددته باسم «**العلم وطموحات الإنسان**» وأخرجه المخرج الإذاعي **أحمد عمر العامر**، وقد أذيع الموضوع فعلاً بالحلقة رقم «١» بالساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر الثلاثاء، الموافق ١٩٨٣/٤/٥م، تحت عنوان «**الكمبيوتر البشري**».

إنني وإذ أقدم لكم هذه الحقائق انطلاقاً من اعتزازي بكم وغيرتي على «الفيصل» الغالية التي سعدت بنشرها مواضيع عديدة لقلمي المتواضع خلال السنوات الماضية، فإنني آمل من كافة الزملاء المساهمين بالكتابة العلمية الالتزام بسعة الاطلاع وتوخي الحداثة والأفكار المبتكرة في جميع مواضيعهم المطروحة للنشر المسؤول.

المهندس محمود غنيم
عمان ـ الأردن

○ **المجلة**: نشكر للأخ المهندس محمود غنيم غيرته على المجلة. كما نشكر له متابعته التي تؤكد اهتمامه بالمجلة. وقد اطلعنا على القصاصة المرفقة مع رسالة الأخ غنيم وعلى الموضوع المنشور في مجلة «الفيصل» فوجدنا الآتي:

١ ـ أن فكرة الموضوعين واحدة.. وهي رصد ظاهرة أفراد محدودين تميزوا بقدرة غريبة على حل المسائل الحسابية في زمن قياسي خارق للعادة.

٢ ـ ولأن هؤلاء الأفراد محدودون بأسمائهم فقد كانت بعض هذه الأسماء هي محور الموضوعين. وهذا شيء طبيعي.. بينما تفرد الموضوع المنشور في «الفيصل» للدكتور عبد الرزاق جعفر بإيراد ترجمة عشرة أسماء، منها خمسة أسماء فقط هي التي أوردها الأخ غنيم في مقالته المنشورة بملحق القبس.

٣ ـ وقد بدا لنا أن الموضوعين قد نشرا دون الإشارة إلى المراجع والمصادر مما يجعلنا نعتقد أن الموضوعين مستقيان من مرجع واحد.

٤ ـ لم يكن الموضوع المنشور في «الفيصل» هو نفسه المنشور في قصاصة ملحق القبس (جملة وتفصيلاً)، كما يشير الأخ غنيم في رسالته لا جملة ولا تفصيلاً.

لهذا نطلب من الأخ المهندس محمود غنيم تزويدنا بثبت المراجع والمصادر التي استقى منها معلومات موضوعه.. كما نطلب نفس الطلب من ا لدكتور عبد الرزاق جعفر.. مع قناعتنا بانتفاء أي اعتداء أدبي أو سطو من أي جانب من الجانبين بصرف النظر عن تاريخ النشر، وذلك نظراً لاختلاف الأسلوب، وكثرة أمثلة موضوع الدكتور جعفر عن أمثلة موضوع المهندس غنيم.

الآلة الكاتبة

إنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن أرفع قلمي وأخط به بعض الملاحظات حول تاريخ الآلة الكاتبة على صفحات مجلتنا الغراء «الفيصل»، التي زودتنا بمعلومات كنا نجهلها وخاصة رائد الفضاء العربي الأول الأمير «**سلطان بن سلمان بن عبد العزيز**» الذي صرت أعرف عنه كل شيء، إنه لبطل حق، وإنني أقدم كل تشكراتي إلى أسرة المجلة على هذه المعلومات القيمة، أما الملاحظات التي أردت طرحها على صفحات المجلة فهي تدور حول **تاريخ الآلة الكاتبة** وتعتبر ردًّا على ما جاء في صفحة (٦١) من العدد «١٠٢» ذو الحجة ١٤٠٥هـ، (أيلول) سبتمبر ١٩٨٥م.

لقد ذكرت المجلة أن أول آلة كاتبة فعلية ظهرت إلى الوجود قام بصناعتها «**كريستوفر شولز وكارلوس جلدن**» عام ١٩٦٧م، في

الولايات المتحدة الأميريكية.

بينما نجد في بعض الكتب الفرنسية المختصة في هذا الميدان تقول إن **المخترع الحقيقي للآلة الكاتبة هو الأميريكي «لاطام شول»** الذي يلقبه الأميريكيون بأبي الآلة الكاتبة.

ونجد أيضاً المخترع الإيطالي **رافيزا** يصنع آلة متكاملة بأتم معنى الكلمة قبل **ريمنقطون** التي مكنته من الكتابة بسرعة ثلاث مرات أكثر من اليد، وللمرة الأولى يستعمل فيها شريط التحبير سنة ١٩٤٠م.

لقد اختلطت عليَّ تواريخ هذه الاختراعات.. أرجو أن تفيدوني بالاختراعات الصحيحة حتى أستفيد وأفيد الطلبة بها.

وإليكم بعض المعلومات التي أعرفها حول ظهور الآلة الكاتبة:

★ في يوم ١٧١٤/١/٧م، المهندس الإنجليزي ميل أخذ من الملكة «آن» شهادة التأهيل للآلة الراقنة، ولكن للأسف لم يبق أي أنموذج ولا أي وصف لها لحد الآن، وتكررت المحاولات التي نذكر البعض المعروف منها فقط.

★ في سنة ١٨٢٩م، الأميريكي **بيرث** اخترع آلة كاتبة بالخشب الخالص تكتب بالحروف العالية والواطية على خط مستقيم، وتحطمت هذه الآلة على إثر حريق سنة ١٨٣٦م.

★ في سنة ١٨٣٣م، تخيل **المرسيلي** (نسبة إلى مرسيليا) آلة التي نجد مبادئ تطبيقاتها تشابه الآلة الحديثة.

★ في سنة ١٨٤٠م، قام الإيطالي **رافيزا** بصناعة آلة متكاملة بأتم معنى الكلمة قبل ريمنقطون والتي مكنته من الكتابة بسرعة ثلاث مرات أكثر من اليد، وللمرة الأولى يستعمل فيها شريط التحبير.

★ وبعد سنة ١٨٤٠م، تضاعفت الاختراعات، نذكر منها «**هانسن**» (أول آلة كاتبة تصنع بالصنف)، ولكن المخترع الحقيقي للآلة الكاتبة العصرية هو **لاطام شول** الذي يسميه الأميريكيون بأبي الآلة الكاتبة. **إن أول آلة كاتبة ظهرت إلى الوجود سنة ١٨٦٧م، وبما أن صناعة هذه الآلات أسندت إلى ورشة صناعة آلات الخياطة وركبت أول آلة «ريمنقطون» فوق طاولة آلة خياطة وأن الدواسة استعملت كمسطرة المسافات.. هذه الآلة الكبيرة الحجم لا تكتب إلا بالحروف العالية والكتابة غير مرئية.**

في عام ١٨٩٦م، أخذ «**وانيار**» شهادة التأهيل لآلة تكتب بحروف بارزة وأخذت نفس الشهادة من طرف «**أندروود**» الذي باع في نفس السنة أول آلة له.

★ في سنة ١٩٠٦م، ظهرت «**رويال**» للمخترع **هاس**.

★ في سنة ١٩٠٨م، ريمنقطون يبعث أول آلة له بكتابة بارزة.

★ في سنة ١٩١٠م، تم بيع أول آلة من نوع **جابي** «آلات فرنسية» وبعد ذلك تحصل العديد على شهادات التأهيل المتعلقة بالتحسين الجزئي: جهاز الحقول الذي لا يغير بشيء المفهوم الأساسي للآلة.

وبالمقابل تمت تحسينات عديدة على الآلة الكاتبة:

★ تخفيض الضجيج الناتج عن الضرب المتتالي:

★ الوضع السريع للهامش وجهاز الحقول.

★ إمكانية تعديد النسخ ـ تخفيف من وزن بعض النماذج (المنطوقة).

★ تحسين إدخال الورقة.

★ إمكانية تغيير العربة من آلة إلى أخرى «قصيرة ـ طويلة».

★ المظهر الخارجي هو أيضاً في تحسن مستمر، وكذا بالنسبة لشكل ملامس الحروف.

لعطيوي حسين
جيجل ـ الجزائر

○○ **المجلة:**

★ **أولاً**: ورد بالمقال أن «أول آلة كاتبة فعلية قام بصناعتها كرستوفر شولز وكارلوس جليدن عام ١٨٦٧م، في الولايات المتحدة الأميريكية» وليس عام ١٩٦٧م، كما ورد برسالتك.

★ **ثانياً**: إن المعلومات الواردة في «بدايات» عن الآلة الكاتبة مستقاة من موسوعتي إنترناشيونال الأميريكية و How It Works.

★ **ثالثاً**: نود تصحيح بعض المعلومات الواردة في رسالتك وهي فيما يلي:

أ ـ أول إنتاج لآلة كاتبة من طراز رمنجتون كان في عام

١٨٧٤م، وليس في عام ١٩٤٠م.

ب ـ الآلة الكاتبة طراز «هانسن» صنعت عام ١٨٧٢م، في الدنمارك وليس في عام ١٨٦٧م.

جـ ـ الآلة طراز «بيرت» ظهرت عام ١٨٢٩م، كما ورد برسالتك.

د ـ أول آلة كاتبة كهربائية أنتجتها شركة رمنجتون عام ١٩٢٥م.

هـ ـ في عام ١٩٣٣م، أنتجت أول آلة كاتبة كهربائية حققت نجاحاً تجارياً.

★ **رابعاً**: إن بعض أوجه الخلاف التي تتحدث عنها هي من اختلاف وجهات نظر المؤلفين والمؤرخين حول أولويات الاختراعات.. والمطلوب من المرء هنا أن يبحث في أكثر من مرجع وبأكثر من لغة ـ إن استطاع ـ لكي يتحرى الدقة في صحة المعلومة.

أما بالنسبة لعدم وصول مجلة «الفيصل» إلى جيجل فسوف نبحث هذا الموضوع مع شركة التوزيع في الجزائر. مع تحيات وشكر أسرة التحرير لاهتمامك بالمجلة وما ينشر فيها من موضوعات.

رحلات ماجلان

قرأت في موضوع **رحلات تاريخية** رحلة ماجلان عبر أرخبيل الملايو بالعدد (١٠٨)، وفي أول المقال عند التعريف بموقع البرتغال في السطر السابع من العمود الأول، ص ٩٢، قول الكاتب **(يحدها من الغرب والجنوب المحيط الهندي وإسبانيا)** وهذا **خطأ** إذا نظرنا إلى الأطلس.

فالصحيح (يحدها من الغرب والجنوب المحيط الأطلنطي وإسبانيا)، كما ورد في هذا المقال أيضاً قول الكاتب الفاضل (تمتلك ساحلاً طويلاً على **البحر الأبيض** في الشرق والجنوب الشرقي).

فمن **الخطأ** أن يطلق على البحر المتوسط بالبحر الأبيض أو حتى البحر الأبيض المتوسط، لأنه يوجد ما يسمى بالبحر الأبيض شمال أوروبا والجنوب الشرقي للكتلة الإسكندنافية أو الشمال الغربي واتحاد الجمهوريات السوفييتية، وقد عرف عالمياً بـ **Mediterranean Sea** أي **البحر المتوسط**، وليس بالبحر الأبيض المتوسط.

فأرجو المعذرة وتقبلوا تحياتي، وأرجو أن لا تفهموني خطأ، فكل هدفي أن تكون مجلتي كالصرح الشامخ، فهي المورد الأساسي لثقافتنا نحن المسلمين وشكراً.

محمد حسام الدين مصطفى
بني سويف ـ مصر

الشاعر الباكستاني فيض أحمد

نشرتم عن وفاة فايز أحمد فايز الشاعر الباكستاني في مجلة «الفيصل» الغراء، العدد (٩٤) في صفحة (١٤) تحت الحركة الثقافية في العالم ـ اسمه الصحيح «فيض أحمد فيض» ـ فيض بعد أحمد تخلصه. الشعراء الأردوية والفارسية يستعملون التخلص في كلامهم المنظوم كما «حافظ»، سعدي، عرفي، وغيرهم.

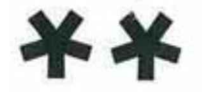
فيض لما كان حيًّا يُعدّ من شعراء الانقلاب، وبعد وفاته أعلن وزير الثقافة الباكستانية الحالي أن فيض كان صديقه. لقد كانا معاً في السجن في عهد بهتو مرحوم، الشاعر المدفون في البيت المقدس محمد علي جوهر الهندي الذي كان رئيس التحرير لـ «كامريد» التي كانت تصدر في كلكتا.

الشاعر فيض أحمد فيض ظل زمناً طويلاً رئيساً لتحرير جريدة «الباكستان تايمز»، إحدى الجرائد اليومية التي تصدر من لاهور بالإنكليزية، وقد كان يكتب شعره بالأردوية، وقد غنى شعره أبرز المغنين والمغنيات في الباكستان والهند، وكانت المغنية «ملكة بكهراج» من أبرز من غنى شعره الغزلي.

آخر ديوان شعري صدر في الباكستان بالأردوية باسم نسخه هائي وفا (تذكرة الوفاء) في عام ١٩٨٤م.

وقد نقش أشعاره الخطاط الشهير «صادقين» الذي استعمل أحد الألوان الرشيقة (light) على الرغم من أن أشعار فيض كانت تكتب باللون القاتم (DARK).

عبد الله جان عزيز
ديرة إسماعيل خان ـ الباكستان



مع الأصدقاء

مدينة المجمعة

وصلتنا من القارئين الكريمين (عبد الرحمن إبراهيم الخيال، وخليل بن عثمان الثابت، من الرياض) رسالتان تتضمنان ملاحظتين حول موضوع « مدينة المجمعة » للأستاذ عبد الله حمد الحقيل المنشور بالعدد (١٠٧) من مجلة « الفيصل » الصادر في شهر جمادى الأولى ١٤٠٦هـ .. هما:

○ الملاحظة الأولى: عدم ذكر الكاتب الحقيل اسم الشيخ الجليل (سليمان بن عبد الله العسكر) يرحمه الله، ضمن أسماء رجالات مدينة « المجمعة » البارزين..

هذا الشيخ الذي قضى عمره في خدمة العلم، وأبناء المجمعة الذي كان بالنسبة لهم أباً وعالماً ومصلحاً.. فقد قضى ثلثي عمره إماماً للمسجد، وفتح مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم تخرج فيها مجموعة من الشباب.. وكان يرحمه الله، يخطب في المصلين يوم الجمعة، وله أفضاله التي يعرفها أهل المدينة في مواساة الفقراء، وخدمة الإسلام والمسلمين، وإصلاح ذات البين.

ويرى القارئان الكريمان أن من حق الشيخ العسكر على الجميع الاعتراف بفضله، والإشارة إليه بصفته واحداً من أبرز رجالات المجمعة الأفاضل.

○ الملاحظة الثانية: وردت في رسالة الأخ (خليل بن عثمان الثابت) حيث أشار إلى إغفال الكاتب الحقيل ذكر اسم أحد رجالات المجمعة البارزين الذين ما زالوا يعيشون بيننا بأعمالهم وجهودهم في خدمة الإسلام والمسلمين، وهو الشيخ الجليل (عبد العزيز ابن صالح) إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف، ورئيس المحاكم الشرعية بالمدينة المنورة، الذي لا يجهله أحد.

ومجلة « الفيصل » في الوقت الذي تنشر ملخص الرسالتين تشكر للقارئين الكريمين غيرتهما وإشارتهما لذكر عالمين جليلين نعتز بهما ونقدر أعمالهما الطيبة داعين الله أن يجزيهما لقاء ما قدماه الخير والمثوبة في الآخرة.. في الوقت نفسه نؤكد أن ما حدث لم يكن تجاهلاً أو جهلاً من الكاتب الحقيل، ولا يحتمل أكثر من النسيان الذي هو من صفات البشر.. لأن الكمال لله وحده.. والله وحده من وراء القصد.



صورة .. ورسالة

هذه الصورة وردت إلينا من الأخ **عبد المطلب قطب العدوي** (من محافظة البحيرة في مصر الشقيقة) أحد قراء المجلة الدائمين .. وتبدو صورته وحوله أعداد « **الفيصل** » .. ومع الصورة رسالة رقيقة تعكس مشاعره الكريمة نحو المجلة وما تقدمه من خدمات ثقافية للقارئ العربي المسلم.

ونحن بنشرنا الصورة إنما نعبّر عن امتناننا وتقديرنا لهذه المشاعر الفياضة التي يمطرنا بها القراء من خلال رسائلهم التي لو أردنا نشرها كاملة لاحتلت مساحات من أعداد المجلة.

ونحن في المجلة نعد هذه الرسائل حافزاً لنا في الإصرار على تحمل المشاق من أجل أن تكون المجلة في المستوى الذي يريده قراؤها المنتشرون في أرجاء الوطن العربي والإسلامي الكبير.. والله الموفق.

الدكتوراه الفخرية

لقد أصبحت « **الفيصل** » مدرسة لمجمع يستفيد منها الطالب والمهندس والطبيب.

عدد « **الفيصل** » مع **الدكتور عيسى الناعوري** المنشور في العدد (١٠٤). العدد ممتاز وقد عرف الإخوة القراء بهذا الأديب العربي الكبير. وقد منح الدكتور عيسى الناعوري ثالث عربي بعد الدكتوراه الفخرية بعد **طه حسين**، وحسن **عثمان**، من **جامعة باليرمو** بصقلية. كما اطلعت في مجلة « **الدوحة** »، العدد (١٢١) على مقالة تحت عنوان « الدكتور عيسى الناعوري – حياته وأدبه – في عشر رسائل بخط يده » بقلم **أسامة فوزي** وقال إن عيسى الناعوري ثاني عربي ينال الدكتوراه الفخرية من جامعة باليرمو بصقلية بعد طه حسين.. فأيهما أصح؟

عباس عبد الحفيظ
تلمسان – الجزائر

● **المجلة**: لقد وصلت رسالتك يا أخ عباس بعد وفاة الأديب الدكتور عيسى الناعوري.. لهذا لا نستطيع الإجابة على سؤالك.. أما الأعداد التي طلبتها، فقد حولت طلبك إلى القسم المختص أملاً في وجود نسخ من هذه الأعداد لتحقيق طلبك.. وشكراً لشعورك نحو المجلة.

ردود قصيرة

● الأخ (محمد عزوز)، بجاية ـ الجزائر.

مجلة «الفيصل» كما تلاحظ هي مجلة ثقافية شاملة تهتم بالعلوم والفنون والآداب.. ونحن نحرص على الموازنة بين هذه المعارف، ولا يخلو عدد من أعدادها من الموضوعات العلمية والطبية.

أما فكرتك المتعلقة بإصدار مجلات متخصصة بحيث تهتم كل مجلة بنوع معيّن من العلوم، فهي فكرة جيدة نتمنى أن تجد صداها في البلاد العربية.

● الأخ (عيضه الشعراوي)، الإسكندرية ـ مصر.

حين جعلنا أسئلة المسابقة من موضوعات المجلة، لم نتخذ هذا القرار إلا لكثرة القراء الذين لا توجد في قراهم ومدنهم مكتبات، فلا يستطيعون الحصول على المراجع والمصادر، وبالتالي يحرمون من المشاركة في المسابقة.

● الأخ (جعفر القاسم عبد القادر عفيف)، الخرطوم ـ السودان.

نشكر لك مشاعرك الطيبة نحو المجلة.. أما موضوع اشتراكك في المسابقة فليس شرطاً لفوزك بإحدى الجوائز لكثرة المتسابقين، وإذا ما فزت فسوف تصلك قيمة الجائزة على عنوانك، ونحن ننشر أسماء الفائزين في كل مسابقة.

وقد نشرنا استطلاعاً عن مدينة «أم درمان» في أحد أعداد المجلة.. ونحن نرحب بمشاركة الأدباء والمفكرين في السودان الشقيق.

● الأخ (عبدلي كريم)، باتنة ـ الجزائر.

قصيدتك بعنوان «الرفض» غير مناسبة للنشر.. مع العلم أن الكتابة للصحافة عادة ما تكون على وجه واحد من الورقة.. ولك تحياتنا.

● الأخ (عبد الناصر بوكوشة)، عنابة ـ الجزائر.

قصيدتك بعنوان «سنفونية الزمن الآخر» غير مناسبة للنشر، وكذلك قصيدتك «لقد غاب من يحمي الحمى».. مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

● الأخ (عبد الله عبد السلام الطحان)، البحيرة ـ مصر.

مرحباً بك صديقاً للمجلة.. ونرد على ما جاء في رسالتك بما يأتي:

١ ـ نحن ننشر القصائد الجيدة التي تصل إلينا، ولا نستطيع أن نكلف هؤلاء الشعراء بكتابة الشعر الحماسي والوطني.. ومع ذلك فقد نشرت المجلة عدداً من هذه القصائد.

٢ ـ نحن ننشر دائماً عن الآثار الإسلامية، وكدليل على ذلك فإن العدد (١٠٤) يتضمن استطلاعاً عن «الآثار الإسلامية في الأردن»، وقد نشرنا في أعداد سابقة عن الآثار الإسلامية في الأندلس، وقبرص، وتركيا.. وأوزبكستان.. وغيرها.

٣ ـ بالنسبة للقصة، فنحن ننشر الجيد مما يرد إلى المجلة.

٤ ـ لقد اعتدنا في المجلة أن يكون الكاتب الذي يتناول الآثار الإسلامية متمكناً وفاهماً لهذه الآثار، وأن يزودنا بالصور والشرائح الملونة لهذه الآثار.. والمسألة تتعلق بالاهتمام والتخصص، وبذل الجهود التي تجعل من الموضوع المنشور بالمجلة مناسباً وشيقاً.

٥ ـ بإمكانك الكتابة للجامعات التي ذكرتها مباشرة للاستفسار عن موضوع دراسة الآثار الإسلامية.. مع تمنياتنا لك بالتوفيق، وشكرنا لملاحظاتك.

● الأخ (فواز عبد الله العرفج)، جدة ـ السعودية.

كتاب (الطاقة النووية في العالم النامي) الذي عرضته المجلة في العدد (٨٥) لم يترجم إلى العربية.. وكل الكتب التي تعرضها المجلة في باب (رحلة في كتاب) هي أساساً مكتوبة بغير العربية.. وهدفنا أن نشرك القارئ في المعرفة بعرض الكتب النافعة الصادرة بغير العربية.. خاصة الذين لا يجيدون لغات أخرى غير العربية.

● الأخ (شعبان ممدوح أبو المكارم)، البحيرة ـ مصر.

لك شكرنا على اهتمامك بالمجلة.. ونحن ننشر دائماً دراسات عن الشعراء، لهذا لا نرى تخصيص باب شهري ثابت لهذه الدراسات لأن أبواب المجلة كثيرة.

أما لماذا لم يحصل روائي عربي على إحدى الجوائز العالمية، فهو أمر قد نوقش بكثرة.. والمسألة تحكمها اعتبارات سياسية، واتجاهات أيديولوجية.

* * *

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالا

ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالا

د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي) .

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة «الفيصل» .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(المملكة العربية السعودية ـ ص . ب (٣) الرياض ـ (١١٤١١) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١١٤)

الاسم : ------------------------------

المهنة : ------------------------------

العنوان : ------------------------------

المسابقة

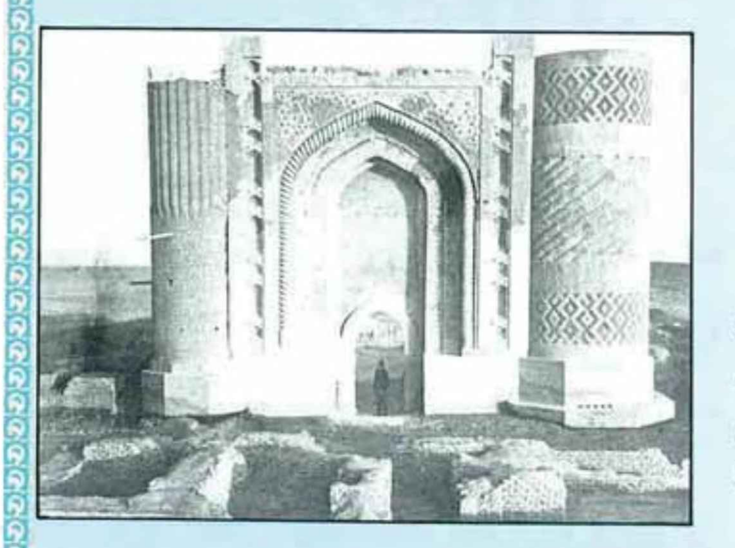
السؤال الأول :

ما وظيفة البنكرياس في جسم الإنسان ؟

السؤال الثاني :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف ــ ملحمة الإنيادة ــ طبقات الأمم .

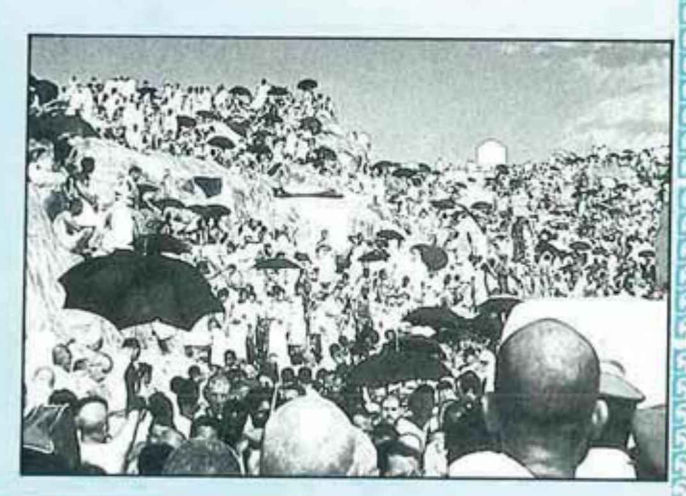


السؤال الثالث :

هذه البوابة لإحدى المدارس العربية القديمة (افتتحت المدرسة في ١٧ شعبان عام ٦٣٢ هـ) .. توجد في إحدى مدن العراق .. ما اسم المدرسة .. وما اسم المدينة التي توجد فيها هذه المدرسة ؟

السؤال الرابع :

من مصطلحات علم النفس « الإيحاء » ، و « الإيحاء المضاد » .. ما المقصود بهذين المصطلحين ؟



السؤال الخامس :

صورة للحجاج يقفون في « عرفات » .. يأتون من كل بلاد الله لأداء فريضة الحج ، أو الركن الخامس من أركان الإسلام .. في أي عام من الهجرة النبوية فرض الحج على المسلمين .. ومتى حج الرسول الكريم .. وكم عدد المرات التي حج فيها (صلى الله عليه وسلم) ؟

● أجوبة مسابقة العدد (١٠٧) ●

ج ١ الصحابي الذي كان أحد كتّاب الوحي ، وكان يترجم للنبي صلى الله عليه وسلم بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، التي تعلمها في المدينة .. ولد في المدينة المنورة ، ونشأ بمكة المكرمة ... لما توفي رثاه الشاعر حسان بن ثابت .. إنه زيد بن ثابت .

ج ٢ مؤلفو الكتب التالية ، هم :
(الإماء الشواعر) : أبو الفرج الأصفهاني .
(تاريخ الخط العربي وآدابه) : محمد طاهر الكردي .
(أسد الغابة في معرفة الصحابة) : ابن الأثير (أبو الحسن علوي بن أبي الكرم) .. وإن كان هناك من نسبه إلى ابن كثير .. والراجح المؤكد أنه ابن الأثير .

ج ٣ قصر عمرة ـ قصر الخزانة ـ قصر المشتى .. توجد جميع هذه القصور في الأردن .

ج ٤ أول خط ترام كان في مدينة نيويورك عام ١٨٣٢ م ، وكان مساره لمسافة ميل واحد (١,٦ كيلومتر) وهو خط نيويورك ـ هارلم وقتها .

ج ٥ تم عملية زرع نخاع عظام الإنسان ، بجمع أجزاء لنخاع العظام من عظم الحرقفة ، أو من أحد العظام المسطحة ، لشخص سليم يوجد بينه وبين المريض توافق نسيجي ، ثم ترشح وتحقن الخلايا بمتوسط ١,٧ × ١٠ خلية لكل كيلوجرام ، من وزن جسم الإنسان المريض ، عن طريق الوريد ، وتنتقل هذه الخلايا من تيار الدم لتستقر في نخاع عظام المريض ، ثم تقوم هذه الوحدات النشطة بإنتاج كريات دم حمراء ، وخلايا دم بيضاء ، وصفائح دموية ، وخلايا لمفاوية طبيعية ، خلال أسابيع قليلة بعد عملية الزرع .

● نتيجة مسابقة العدد (١٠٧) ●

● فاز **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي ، الأخ **الرشيد سنهوري محمد إدريس** ، الخرطوم ـ **السودان** ، ص . ب (٢٩٨٦) .

● وفاز **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي ، الأخ **فؤاد محمد رضوان مصطفى** ، إمام مسجد السيدة زينب ، السيل الجديد ، أسوان ـ **مصر** .

● وفازت **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي ، الأخت **مي يوسف تميم** ، دمشق ـ **سورية** .

وهناك **سبع جوائز** ، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **الأردن** ـ إربد ، ص . ب (٤٠) ، الأخ **محمد أحمد عوض حسان** .

● من **العراق** ـ بغداد ، الأخت **حمدية عبد الله عباس** .

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الرياض ، الأخت **فوزية صالح الغيث** .

● من **الجزائر** ـ نهج قرين بلقاسم ، الأخ **عبد العزيز بالة** .

● من **سورية** ـ دمشق ، الأخت **نسيبة محمد السباعي** .

● من **المغرب** ـ تزنيت ، قرية آل رمضان ، الأخ **الوثيق الحسن بن البشير** .

● من **اليمن** ـ صنعاء ، باب اليمن ، الأخ **محمد سالم شجاب** .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** ، قيمة كل جائزة منها **اشتراك مجاني ، لمدة عام ، في مجلة «الفيصل»** ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من **مصر** ـ طنطا ، شارع رزق الله شدياق ، الأخ **منسي إبراهيم منسي** .

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الخفجي ، مدرسة ثانوية الخفجي ، الأخ **مجدي محمد المتوكل** .

● من **أمريكا** ـ أناربر ، ولاية ميشجان ، الأخ **خالد جمال عبد الرزاق** .

● من **الجزائر** ـ ولاية غرداية ، ص . ب (٢٩) ، الأخ **بوقلمونة عبد الحميد** .

● من **البحرين** ـ المنامة ، ص . ب (٤٦٢) ، الأخ **أحمد صلاح أحمد** .

● من **مصر** ـ الإسكندرية ، ص . ب (١٩٨٦) ، الأخ **مامادو منصور غاي** .

● من **تونس** ـ البلفدير ، ١٣ مثلث شارع الولايات المتحدة ، الأخ **صالح الكيلاني الجلاحي** .

● من **السودان** ـ ودمدني ، ص . ب (٥٤) ، السوق العمومي ، الأخ **أحمد صديق بابكر عمر** .

● من **المملكة العربية السعودية** ـ صفوى ، الأخت **عدالة حسني عيسى الجيوسي** .

● من **أندونيسيا** ـ جاكرتا ، الأخ **زليفي شعراني أحمدي** .



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- أسماء الفائزين بجائزة الدولة التقديرية في مصر .
- معارض للكتب وندوات ثقافية وأمسيات أدبية .
- صدور ثلاث مجلات جديدة في المغرب والجزائر وفلسطين .
- شاعر تونسي يفوز بجائزة ابن زيدون ، ومفكر لبناني يفوز بجائزة الأليكسو .
- مؤتمر لاتحاد الكتّاب المغاربة ، وآخر لأدباء الأقاليم في مصر .
- أعضاء جدد في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت .

في العالم

- جائزة جديدة في إسبانيا .
- اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بماليزيا .
- قناة تلفزيونية إسلامية في هولندا .
- مسابقة شعرية بهيئة الأمم المتحدة عن (السلام) .
- دكتور سعودي يحصل على جائزة عالمية .



السعودية

الدكتـــور العثيمين ..
أميناً لجائزة الملك فيصل

اختير **الدكتور عبد الله الصالح العثيمين أميناً عاماً لجائزة الملك فيصل العالمية** خلفاً للدكتور أحمد الضبيب الذي عُيِّن وكيلاً لجامعة الملك سعود للدراسات العليا والبحث العلمي.

والدكتور العثيمين من مواليد عنيزة عام ١٣٥٦هـ، بالمملكة العربية السعودية، ويحمل درجة الدكتوراه في مجال التاريخ «التاريخ السعودي الحديث»، وقد اتخذ من نجد مكاناً ليستقي منه دراساته التاريخية.

يعمل أستاذاً بقسم التاريخ بكلية آداب جامعة الملك سعود، وقد رأس القسم من قبل وهو يعمل في مجال الأبحاث والدراسات بالإضافة إلى تدريسه لمادة تخصصه.

وقد قام بعدة رحلات علمية، وحضر عدة مؤتمرات، وهو عضو في المجلس العلمي بجامعة الملك سعود بالرياض، وعضوية عدد من اللجان العلمية والبحثية داخل المملكة وخارجها.

وللدكتور العثيمين العديد من المؤلفات والدراسات منها:

★ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ حياته وفكره.

★ نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب (مقالات).

★ الشعر النبطي كمصدر لتاريخ نجد الحديث.

تهانينا للدكتور العثيمين مع تمنياتنا له بالتوفيق.

برامج ثقافية

بمناسبة حلول فصل الصيف، فقد أعدت **لجنة السياحة في أبها بالتعاون مع نادي أبها الأدبي وجمعية الثقافة والفنون ـ فرع أبها، وإدارة التطوير السياحي بالإمارة** جدولا ثقافياً تضمن ما يلي:

★ **ندوات متعددة** مثل (ندوة التنمية)، وقد أحياها كل من صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل**، ووزير التخطيط **هشام ناظر**.

★ **أمسيات شعرية** أحياها عدد من الشعراء.

★ **محاضرات** منها:

ـ محاضرة عن تاريخ عسير، للدكتور محمد آل زلفة.

ـ محاضرة عن الفقه الحضاري، للأستاذ عمر بهاء الدين.

ـ الإدارة والمواطن، محاضرة للأستاذ عبد الله السدحان.

ـ محاضرة عن «موقف أدباء الجنوب من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب»، **للدكتور عبد الله أبو داهش**.

معرضان للكتاب الإسلامي

أقيم **في المعهد الثانوي الصناعي بالدمام، وبالمعهد العلمي بالدمام** خلال شهر شوال **معرضان للكتاب الإسلامي**، وذلك ضمن برامج وأنشطة الصيف.

عرضت فيها عناوين متعددة من الكتب، بمشاركة عدد من المكتبات ودور النشر المحلية،



مشكلات ميدانية في تدريس العربية

كثيراً ما تعرض لمدرسي العربية مشكلات ومشكلات تكون من أوسع مسائل العربية امتداداً. وينتظم هذا الاعتراض من يقرأون ويكتبون بها، يكاد يستوي فيه طلبة المدارس وطلبة الجامعات بل إنه يمتد إلى كثير من المشتغلين بالعربية والمتخصصين فيها، بل إن أساتذة الجامعات بله مدرسي العربية في المدارس لا يملكون إلا أن يعلنوا ضيقهم بمستوى الطلبة في اللغة؛ إذ يجدونهم ضعافاً في كثير من وجوه الأداء اللغوي الأولية، ويلحظون كثيراً من أخطاء النحو والصرف والإملاء كذلك.

والوقوف عند هذه العوارض وتحليلها وتفسيرها هو خطوة منهجية ضرورية في سبيل تجاوزها وتصحيحها.

ويسألك العربيُّ من سَواء المتعلمين سؤالا حائراً إذ تنقم منه ذلك الخطأ الخاطئ: دلني على كتاب في العربية يقيم لي عمود صورتها، ويجلو لي ملامحها الرئيسة، وتتحقق لي بقراءته معرفة تسعفني في استعمال اللغة استعمالا وظيفياً صحيحاً في جملته؟

ولكن الجواب يظل حائراً غير شاف ولا كاف، إذ لا تتم المعرفة بممارسة اللغة على وجهها الصحيح السليم بقراءة كتاب أو أكثر. ومن التحرز الضروري أن نقرر أن هذا الإحساس المستمر بالحاجة إلى استكمال المعرفة بدقائق اللغة لا يتناهى، وكلما اتسع أفق دارس العربية يحسُّ أن أفق الحاجة إلى تعمق أغوارها يمتد، ومن الاحتراس أن نقرر والأسى يعتصر قلوبنا أن العربية متفلّتة مساحة يتعذر لمُّها وتعسر الإحاطة بها.

ولا إخال أحداً يماري في ضرورة أن تحل هذه المشكلة بصورة نهائية في المدرسة وفي **المرحلة الابتدائية** على وجه التحديد.

ومرد هذا التفلت اللغوي والضعف المتناهي عند الطلبة في الأداء الوظيفي للغة إلى المعلمين وطرق تدريس اللغة. فالمعلمون ينتظرون ومعهم أولياء الأمور أن يتكفل الزمن بتحقيق معرفة ما باللغة العربية من خلال مواد ونصوص متباينة يدرسونها خلال المرحلة المتوسطة وهذا يظهر للمعلمين الذين يعوزهم البصر بدقائق اللغة وينظرون نظرة عجلى سطحية للموضوع ... ثم يمضي الأمر في المرحلة الثانوية على مثل هذا النحو لا يفترق عنه افتراقاً كيفياً بيِّناً.

وليس للمعلمين في ذلك نهج علمي واضح مُنظَّم؛ فليس أكثرهم على مستوى لغوي موضوعي، وليس يصدر في تدريسه صدوراً لغوياً نحوياً، بل أصبحت صورة معلِّم اللغة العربية صورة معلم غير متخصص لأن كثيراً ممن ينتحلون مهنة التعليم يجترؤون على تدريس اللغة العربية وهي ليست لهم بشأن وكأنها مطيّة




★ د. عبد الله العثيمين ★ ★ د. عبد الله أبو داهش ★

ذلول وليس مادة منضبطة بقواعد وأصول .

إن الطالب العربي المتخرج في المدرسة بل وفي الجامعة كذلك لا يقرأ كما ينبغي أن يقرأ ، إنما يجمجم ويغمغم بأصوات متعثرة لا تكاد تترجم صورة العبارات المكتوبة ، ومردُّ ذلك إلى المدرس الذي قد يُكره على تدريس العربية وهي ليست له بشأن كما يقول الجاحظ[1] : «للعرب أمثال واشتقاقات ومواضع كلام تدل عندهم على معانيهم وإراداتهم ، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل ، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وهلك الناس» .

فمن منّا ـ معلمي العربية ـ يجهد نفسه ، ويكدّ ذهنه ليدرب تلاميذه على القراءة كما ينبغي أن تكون بأداء جهري معبّر؟ بحيث يفرّق لهم بين التقرير والاستفهام والتعجب والاستفهام الانكاري؟

فمن منّا يدرّب تلاميذه على ترتيب عناصر موضوع إنشائي معيّن ترتيباً متسلسلاً منطقياً؟

إن معظم الذين يعملون في تدريس العربية يصدرون عن إدراك سطحي لمفاهيمها ويعتبرون القراءة والتعبير والنصوص من فضول القول ونوافل الحصص ولا يدرّسونها وفق خطة مقدّرة محسوبة وأصول متسقة .

ويبدو لي أن هذا العرض الذي ألمت إليه في هذه العجالة هو نتاج تجربة مريرة تعرض لي يومياً نظراً لما الحظه من ارتكاسة اللغة في دراستها وتدريسها وليست اللغة قمينة بهذه الارتكاسة وهي **لغة القرآن ولغة أهل الجنة** ، وبها تتم العبادات وتؤدى شعائر الدين وهي إلى ذلك كله وعاء التراث الخالد .

وآمل أن يكون هذا الإلماع عذراً إن لم يكن دليلاً على رغبة صادقة أكيدة في تجاوز هذه العوارض وتخطي تلك الارتكاسات .

إبراهيم عثمان
أبها ـ السعودية

الهـوامش

(١) البيان والتبيين .

ومجلات مختصة بالتسجيلات الإسلامية .

معرض للصور

أقيم في مدينة أبها **معرض لصور الفوتوغرافية** للفنان السعودي **خالد خضر** ، حيث افتتحه صاحب السمو الملكي الأمير **خالد الفيصل بن عبد العزيز** أمير منطقة عسير ، وبحضور رؤساء الأندية الأدبية الذين عقدوا اجتماعاً لهم هناك خلال شهر شوال ١٤٠٦ هـ .

احتوى المعرض على سبعين لوحة مصورة تعبّر عن النهضة الحضارية التي تشهدها المملكة ، كما تعكس الصور الجمالية للمنطقة الجنوبية بشكل خاص ، وللمملكة بوجه عام .

المعروف أن هذا المعرض قد جاء ضمن فعاليات نشاطات موسم الصيف الذي أعدته لجنة السياحة في أبها .

كتب جديدة

● **«دليل المنظمات والهيئات والاتحادات والمراكز العربية العلمية والثقافية»** ، صدر عن **عمادة المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة** .

● **«أصول الحوار»** ، **بحث علمي** صدر عن **الندوة العالمية للشباب الإسلامي** .

● **«زائر المساء»** ، **ديوان شعر** للشاعر **علي حسين الفيفي** ، صدر عن **نادي الطائف الأدبي** .

● **«الكلمة المسموعة»** ، **مجموعة مقالات** بقلم **بدر أحمد كريم** ، صدر في جدة .

● **«السفر في ليل الأحزان»** ، **مجموعة قصص قصيرة** للقاصة **نجوى محمد هاشم** ، صدرت عن **الدار السعودية للنشر والتوزيع** .

● **«مقالات في التنمية»** ، بقلم **أحمد صالح التويجري** ، صدرت في كتاب عن **تهامة** ضمن سلسلة **«الكتاب العربي السعودي»** .

● **«طاهر زمخشري ـ حياته وشعره»** ، بقلم **عبد الخالق مصطفى** ، صدر عن **نادي مكة المكرمة الأدبي** .

● **«وحي الخاطر»** ، **ديوان شعر** للشاعر **كنعان الخطيب** ، صدر عن **مطابع سحر بجدة** .

● **«الطريق إلى جماعة المسلمين»** ، تأليف **حسين محسن جابر** ، صدر في جدة .

● **«موازين القرآن والسنّة»** ، تأليف **عز الدين بليق** ، صدر في **جدة** .

● **«الأدوية المفردة»** ، **تحقيق مهند الأشم** ، صدر في جدة .

● **«الإسعاف السريع والدفاع المدني في الحالات الطارئة»** ، تأليف **عدد من الأساتذة** ، صدر في جدة .

● **«فن التمريض»** ، تأليف **هدية لحام وسعيد الدجاني** ، صدر في **جدة** .

● **«أدب الرحلة عند العرب»** ، تأليف **حسني محمود حسين** ، صدر في **جدة** .

● **«الدراسة النفسية الاجتماعية المعنية بالذات العربية»** ، تأليف **الدكتور علي زيعور** ، صدر في **جدة** .



★ بدر أحمد كريم ★ طاهر زمخشري ★ د. علي مصطفى صبح ★



القصيبي .. في مواجهة ساعة الموت



كالشلالات النقية والهادرة .. كالجدول الرقراق .. كرائحة الطين بعد المطر .. كأجمل شيء يطل الشاعر السعودي الكبير الدكتور غازي القصيبي على قراء مجلة «الفيصل» في قصيدة جديدة بعنوان مثير «ساعة الموت شعراً».

القصيدة .. سوف يطالعها القارئ في عدد محرم ١٤٠٧ هـ. القادم إن شاء الله .. مرحباً بشاعرنا على صفحات مجلة العرب والمسلمين.

العلوم الإسلامية :

صدرت عن **جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة** مجلة جديدة باسم «**العلوم الإسلامية**»، تهدف إلى دعم الإمكانات المتاحة في مجال البحث العلمي وتعميم المعارف والتعاليم الإسلامية.

هذا، وقد جاءت المجلة في عددها الأول الصادر في شهر يونيو (حزيران) عام ١٩٨٦ م، مشتملة على موضوعات متعددة في ميدان الدراسات الإسلامية، ساهم في كتابتها عدد من المفكرين أمثال: الشيخ محمد الغزالي، والدكتور عمار الطالبي، والدكتور محمد التميمي وغيرهم من الكتّاب. **ومن الموضوعات التي تضمنها العدد:**

★ أثر الفكر الإسلامي في الفكر الغربي.

★ العقيدة والعقل ودعوى العلمنة في الإسلام.

★ نظرية جديدة إلى مكانة مفهوم العرف والعادة في الفقه الإسلامي.

★ النزوح الريفي وتأثيره على الأسرة الإسلامية.

آثار ما قبل التاريخ

أقيم في الجزائر العاصمة معرض تحت شعار «مظاهر من عصور ما قبل التاريخ في الجزائر»، وذلك خلال الفترة من ١٠ مايو (أيار) إلى ١٥ يونيو (حزيران) عام ١٩٨٦ م، جلبت مواده من مناطق الجزائر المختلفة.

وقد عرضت فيه مجموعة كبيرة من الآثار التي تنتمي إلى فترة العصر الحجري، ومن هذه المعروضات:

★ الرسوم المنقوشة على الأحجار.

★ أدوات حجرية متنوعة استخدمها الإنسان في أغراض متعددة.

كتب جديدة

● **صدرت الكتب التالية عن ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر:**

★ **«معجم مصطلحات الرياضيات –**

في دائرة الضوء

● الكتاب: المدينة المنورة – تحليل جغرافي للمدينة وإقليمها بالمملكة العربية السعودية –.

Medina, Saudi Arabia: a geographic analysis of the city and region.

● **المؤلف: الدكتور محمد شوقي مكي، الأستاذ المساعد بقسم الجغرافيا – جامعة الملك سعود بالرياض.**

● **الناشر: Avebury** عام ١٩٨٢ م، في بريطانيا .. ويقع الكتاب في (٢٣١) صفحة.

ويتكون من مقدمة وستة فصول. وفيما يلي ملخص لهذه الفصول:

★ **الفصل الأول:** ويحتوي على الجغرافيا الطبيعية والتاريخية للمدينة المنورة من حيث الموقع والمكان والجيولوجيا والطوغرافيا.

★ **الفصل الثاني:** تطور المدينة خلال العصور المختلفة.

★ **الفصل الثالث:** الموارد المائية.

★ **الفصل الرابع:** التركيب السكاني – من حيث النمو السكاني والهجرة واللغة والدين، بالإضافة إلى الكثافة والتوزيع السكاني.

★ **الفصل الخامس:** استخدامات الأرض.

★ **الفصل السادس:** النقل والمواصلات في المدينة المنورة.

والواقع أن المدينة المنورة قد حظيت باهتمام كبير منذ بدء الإسلام في عام ٦٢٢ م، وتحولت من منطقة سكنية صغيرة على الطريق التجاري بين اليمن وسورية، إلى









★ د. عز الدين إسماعيل ★ ★ د. عبد المنعم النمر ★ ★ د. جمال حمدان ★ ★ الشيخ الباقوري ★ ★ د. أبو الوفا التفتازاني ★

فرنسي عربي»، وضعه عدد من **المؤلفين**.

★ **«رسالة في سوسيولوجيا العمل»**، بقلم **جورج فريدمان**، ترجمة **الدكتور حسين بدر**.

★ **«الديناميكا الحرارية»**، ج ٢، تأليف **الدكتور مصطفى أبو العلاء**.

★ **«بعض النماذج الوطنية في الشعر الشعبي الأوراسي خلال الثورة التحريرية الجزائرية»**، بقلم **العربي دحو**.

★ **«٨ مايو (أيار) ١٩٨٤م، في الجزائر»**، بقلم **رضوان عينات ثابت**.

★ **«نبض الفكر**: قراءات في الفن والأدب»، بقلم **صلاح عبد الصبور**.

★ **«تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر»**، تأليف **الدكتور عبد الفتاح حسين أبو علية والدكتور إسماعيل ياغي**.

★ **«من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية»**، بقلم **الدكتور علي مصطفى صبح**.

★ **«مقدمة في الكهربائية والمغناطيسية»**، بقلم **عزيز داخل**.

★ **«ابن الهيثم: تمارين في العلوم الفيزيائية للسنة الثالثة ثانوي علمي ورياضي»**، صدر في مجموعتين من تأليف **عمار بن حميدي والدكتور خالد الأسدي**.

● **«مدخل إلى دراسة الأدب المغربي القديم»**، بقلم **الدكتور العربي دحو**، صدر عن **دار الشهاب بباتنة**.

● **«ليلى الأحلام»**، رواية من تأليف **القاص رشيد بوجدرة**، صدرت عن **المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر**.

مصر :

الفائزون بجائزة الدولة

أعلنت في القاهرة خلال شهر شوال عام **١٤٠٦هـ، أسماء الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في مصر لعام ١٩٨٥م:**

★ وقد فاز بجائزة الدولة التقديرية في الأدب كل من **الدكتور عز الدين إسماعيل والدكتور عبد المنعم النمر**، وقيمة الجائزة خمسة آلاف جنيه وميدالية ذهبية.

★ وفاز بجائزة العلوم الاجتماعية **الدكتور جمال حمدان والمرحوم أحمد حسن الباقوري والدكتور محمد أبو الوفا التفتازاني**.

★ وقد **حجبت جائزة الدولة التقديرية للفنون** لعدم حصول أي من المرشحين على النصاب القانوني للجائزة.

المعروف أن **الدكتور عز الدين إسماعيل** يرأس أكاديمية الفنون، وله مؤلفات عديدة في النقد الأدبي، **أما الدكتور النمر فقد كان وزيراً سابقاً للأوقاف، ويعمل أستاذاً بجامعة الأزهر، وهو من علمائه المرموقين.**

والدكتور حمدان أستاذ للجغرافيا، ومن الباحثين البارزين في هذا المجال، وصاحب كتاب (شخصية مصر)، **أما المرحوم الباقوري**، فقد كان من علماء الأزهر، وقد شغل منصب الوزارة قبل وفاته، **والتفتازاني**، أستاذ برأس قسم الفلسفة في كلية آداب جامعة القاهرة.

مؤتمر لأدباء الأقاليم

عُقد في الإسماعيلية مؤتمر لأدباء

عاصمة دينية كبيرة تجذب المسلمين من كل مكان. ومنذ العشرينات من هذا القرن الميلادي فإن المدينة المنورة قد شهدت ازدهاراً ونمواً واضحاً تحت ظل حكومة المملكة العربية السعودية. وقد شهدت المدينة تغيراً في مظاهرها الفيزيائية والتركيبية منذ الخمسينات من هذا القرن، وقد أثر هذا على كثير من المناطق الدينية والعمرانية.

وهذا الكتاب إسهام جيد خلاء تاريخ وجغرافية المدينة المنورة بالإضافة إلى تحليل للتطور الحالي الذي نعيشه. ويحاول المؤلف من خلال تحليله ودراسته أن يختار بعض المظاهر المختلفة التي تؤثر في تطور المدينة من الناحية الجغرافية. وتحاول الدراسة أن تركز على أهمية المدينة من حيث موقعها وتأثير ذلك على نموها وتطورها، كما تحاول الدراسة أن توضح بعض المشكلات مثل توفر الموارد المائية والمواصلات والنقل وتأثيرها على المدينة القديمة. ويدرس الكتاب تأثير موقع المدينة على التطور التاريخي للنمو العمراني لهذه المدينة العريقة. وقد تتبع المؤلف تاريخ المدينة المنورة خلال الفترات السابقة للإسلام، وفي فجر الإسلام، وخلال العصور الوسطى، والعصر الحديث. كما حلل المؤلف أثر الموقع الجغرافي والمناخ، والمظاهر الطبوغرافية، والموارد المائية في تشكيل حياة السكان. وتتعرض الدراسة لتركيب السكان، واستخدامات الأرض والنقل والمواصلات والصناعة بالمدينة المنورة في الوقت الراهن.

وقد نجح المؤلف في الربط بين التركيب العمراني والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية وبين الحياة الحضرية والدينية لشاني المدن الإسلامية. وحفل الكتاب بكثير من المراجع والرسوم التوضيحية الجيدة بالإضافة إلى الجداول الإحصائية والتوضيحية.

إنه كتاب يستحق القراءة والاحتفاظ به كمرجع جغرافي مهم عن المدينة المنورة.

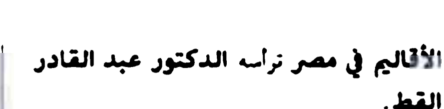
د. أحمد عبد القادر المهندس

الرياض ـ السعودية





★ د . عبد القادر القط ★ ★ عباس العقاد ★ ★ د . أحمد سوسه ★



الأقاليم في مصر ترأسه الدكتور عبد القادر القط.

نوقشت في هذا المؤتمر أمور متعددة لها علاقة بوضع الثقافة والمثقفين في مصر ، ومن أبرز تلك الموضوعات :

★ الاقتراح بإصدار مجلات للشعر والقصة والثقافة الجادة والمسرح ، وأن تكون هذه المجلات شهرية .

★ الاقتراح بإعطاء المثقفين مراكز قيادية في الأجهزة الثقافية .

★ بحث تحويل جهاز الثقافة الجماهيرية إلى هيئة مستقلة .

كتب جديدة

● « أحكام عبادات المرأة في الشريعة الإسلامية » ، تأليف الدكتورة سعاد إبراهيم صالح ، صدر عن دار الضياء للنشر بالقاهرة .

● « شط إسكندرية » ، للشاعرة كريمة زكي مبارك ، صدر في القاهرة .

● « الحسين أبو الشهداء » ، للكاتب الراحل عباس محمود العقاد ، صدر عن دار الهلال بالقاهرة ضمن الأعمال الكاملة للعقاد .

● « الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية تجاه العرب » ، تأليف الدكتور رشاد عبد الله الشامي ، صدر ضمن سلسلة « عالم المعرفة » .

● « أساطير إغريقية » ، بقلم الدكتور عبد المعطي الشعراوي ، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

● « الجمعيون في خمسين سنة » ، تأليف الدكتور مهدي علام ، صدر في القاهرة .

العراق :

كتب جديدة

● « مذكرات أحمد سوسة » ، صدرت في بغداد .

● « قضايا في التربية والتعليم » ، بقلم الدكتور مصطفى بغدان ، صدر في بغداد عن دار الموسوعة الصغيرة في بغداد .

● « مارسيل برست والتخلص من الزمن » ، تأليف جيرمن بريه ، ترجمة لحبيب المانع ، صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة والإعلام .

تونس :

مركز للتعريب والترجمة والتأليف

عقد المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دورته الأربعين بمقر المنظمة خلال شهر شوال ١٤٠٦ هـ .

بحث في هذه الدورة جملة من الموضوعات التي لها علاقة باهتمامات المنظمة ، ومن ذلك دراسة إنشاء المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، الذي سيكون فيما لو ظهر هذا المركز إلى حيز الوجود ، حافزاً للثقافة العربية بكل ما يتصل بها .

كتب جديدة

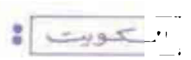
● « مختارات من الشعر الشعبي التونسي » ، صدر عن إدارة الآداب في وزارة الشؤون الثقافية .

● « مخطوطات ابن خلدون في مكتبات تركيا » ، فهرس أعده وقدم له الدكتور أحمد عبد السلام ، صدر عن بيت الحكمة .

● « الحاجة رشيدة » ، مجموعة قصصية للقاص حكم بلعاوي ، صدرت عن دار الكلمة .

● « رؤى وأصابع » ، مجموعة شعرية للشاعر عبد الله البلطي ، صدرت عن دار الأخلاء .

● « فارس الظلام » ، مجموعة قصصية للقاص يوسف عبد العاطي ، صدرت في تونس .



الكويت :

أعضاء جدد للمجلس الوطني للثقافة

في الكويت تم اختيار أعضاء جدد للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، حيث تستمر عضويتهم في هذا المجلس الذي يعنى بالتخطيط للثقافة ثلاث سنوات ، والأعضاء هم :

★ رشا الصباح .

★ عبد الله العتيبي .

★ خالد سعود الزيد .

★ عبد الرحمن الأحمد .

★ إبراهيم الشطي .



المغرب :

مؤتمر لاتحاد الكتّاب

عُقد في الدار البيضاء خلال شهر شوال عام ١٤٠٦ هـ ، المؤتمر التاسع لاتحاد كتّاب المغرب العربي الذي يعد من أقدم الاتحادات





★ د. صبحي الصالح ★ ★ أمين الريحاني ★

العربية وأكثرها فاعلية .

حضر المؤتمر العديد من الأدباء والمفكرين المغاربة ، بالإضافة إلى عدد من المثقفين من خارج المغرب ، ونوقشت فيه عدة موضوعات تنظيمية ومدة انتخاب الأعضاء .

الجدير بالذكر أن الناقد المغربي (**أحمد اليابوري**) هو **رئيس الاتحاد** ، ومن أعضائه : الشاعر **إدريس المليان ، وإبراهيم الخطيب ، وأحمد صبري ، وإدريس الناقوري** .

خطوة

صدرت في الرباط مجلة ثقافية شاملة للإبداع والحوار باسم **« خطوة »** ، حيث جاءت في عددها الثاني بعد التجريبي حاوية لعدة موضوعات هامة مثل :

★ المسألة الثقافية والاجتماعية .

★ الذات والمعاناة في رواية (أيام من عدس) .

★ الشرط التاريخي للأدب الفلسطيني .

كتب جديدة

● **« التلفزة المغربية »** ، تأليف **إدريس الكتاني** ، كتيب صدر عن **نادي الفكر الإسلامي** .

● **« شعر عبد العزيز القشتالي » جمع وتحقيق ودراسة نجاة المريني** ، صدر عن **مطبعة المعارف الجديدة بالرباط** .

الأردن

كتب جديدة

● **« مسرحية الرايات العربية »** ، **مسرحية شعرية بقلم عدنان عبد الله الزين** ، صدرت في **عمّان** .

محاضرات

● **« مقولة الغزو الفكري »** ، **محاضرة ألقاها عزيز ضياء بنادي أبها الأدبي** .

● **« العلم في التصور الإسلامي »** ، **محاضرة ألقاها الدكتور عبد المجيد النجار في الجزائر** .

● **« الإسلام في نيجيريا الماضي والحاضر »** ، **محاضرة ألقاها آدم النفطي بالمركز الثقافي الإسلامي بالجزائر** .

● **« مهمة الإنسان التعبدية والحضارية في القرآن الكريم »** ، **محاضرة ألقاها الدكتور محمد التومي في الجزائر** .

● **« إسهام الصحافة في كتابة التاريخ الجزائري »** ، **محاضرة ألقاها زهير إحدادان بالجزائر** .

● **« الجامعات بين واقع الحال وتطلعات المستقبل »** ، **محاضرة ألقاها الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك بنادي الطائف الأدبي** .

● **« مجموعة قصصية للأطفال ـ** الدرس الأول وقصص أخرى » ، بقلم **القاص أحمد عودة** ، صدرت عن **دار ابن رشد في عمّان** .

● **« البيولوجي والاجتماعي »** ، تأليف **محمد سعيد مضية** ، صدر عن **دار ابن رشد في عمّان** .

● **« العاشق »** ، رواية بقلم **مارغريت دورا** ، ترجمة **الدكتور عبد الرزاق جعفر** ، مراجعة **محمود موعد** ، صدرت مترجمة عن الفرنسية عن **دار منارات للنشر بعمّان** .

لبنان

لبناني يفوز بجائزة الأليكسو

أسندت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التي تتخذ من تونس العاصمة مقراً لها **جائزة (التفكير الاجتهادي في الإسلام) للدكتور صبحي إبراهيم الصالح** ، وهو مفكر لبناني ، وذلك بمناسبة حلول القرن الخامس عشر للهجرة .

والدكتور الصالح درّس في جامعات بغداد ودمشق وبيروت وعمّان ، وهو الآن أستاذ في **الجامعة اللبنانية** ، كما سبق أن حاضر في عدة جامعات كأستاذ زائر ، ومن بين هذه الجامعات **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، وجامعات عربية أخرى وأجنبية .

ومن موضوعات بحوث الدكتور صبحي الصالح ، كتاب (مقاييس النقد عند المحدثين ، وتجربة التعريب في المشرق العربي ، وأثر الدراسات التاريخية في علوم القرآن) .

كتب جديدة

● **« كتاب خالد »** ، **رواية لأمين الريحاني** ، ترجمها إلى العربية **الدكتور أسعد رزق** ، صدرت عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت** .

● **« يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٥ م »** ، صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت** .

● **« الواقعية في الفن »** ، بقلم **سيدني فنكلشتين** ، ترجمة **مجاهد عبد المنعم مجاهد** ، مراجعة **الدكتور يحيى هويدي** ، صدر عن **المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر في بيروت** .

وصدرت **الكتب التالية** عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت** ، من تأليف **شاكر النابلسي** :

★ «محاولة للخروج من اللون الأبيض».

★ «الزمن المالح».

★ «قطار التسوية».

★ «رغيف النار والحنطة» ـ دراسة نقدية لأعمال عشرة شعراء محدثين.



الإمارات العربية

كتب جديدة

● «القناع»، مجموعة قصصية للقاص إبراهيم سعفان، صدرت في دبي.

قطر

كتب جديدة

● «المسلمون في السنغال ـ معالم الحاضر وآفاق المستقبل»، بقلم عبد القادر محمد سيلا، صدر ضمن سلسلة «كتاب الأمة».

فلسطين

السراط

صدرت في فلسطين المحتلة مجلة أسبوعية باسم «السراط»، تهتم بالقضايا الدينية والسياسية والثقافية، حيث جاءت في عددها الجديد حاوية موضوعات تتفق وسياستها.

كتب جديدة

● «الموت على أبواب القدس»، مجموعة قصصية للقاص يوسف العبيدي.

سورية

كتب جديدة

● «الرحيل»، مسرحية للتركي جواد فهمي، ترجمة جونيف ناشف، صدرت عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

● «مناديل الوداع»، مجموعة شعرية للشاعر عبد الكريم دندي، صدرت في سورية.

● «مسالك القول في النقد اللغوي»، تأليف صلاح الدين الزعبلاوي، صدر في دمشق.

● «الأفعى والراعي»، تأليف نظمية أكراد، صدر عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق.

● «الحقائق الجديدة... وصراع الأفكار»، تأليف ف. غرانوف، ترجمة حنا عبود، صدر عن دار دمشق للنشر.

● «العمران في مقدمة ابن خلدون»، تأليف الدكتور سعيد محمد رعد، صدر عن دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق.

● «منازل في الأفق»، مجموعة شعرية للشاعر محمد القيسي، صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق.

اليمن

كتب جديدة

● «شعر الغزل التقليدي في اليمن في القرن العشرين: دراسة في المضمون والشكل»، تأليف عبد الرحمن محمد العمراني، صدرت في صنعاء.

أسبانيا

جائزة مجلة القلم

أعلنت مجلة (القلم) التي يصدرها المعهد الإسباني العربي للثقافة في مدريد عن جائزة تحمل اسمها، وهي جائزة خاصة بالصحافة، وقد وضعت المجلة لنيل هذه الجائزة عن طريق المسابقة عدداً من الشروط من بينها:

★ المسابقة متاحة لكل الصحافيين الذين لهم أعمال منشورة في الصحف، أو وسائل الإعلام الأخرى، ومن أية جنسية بشرط أن يكون قبل يوم ٣١ مايو (أيار) ١٩٨٤م.

★ يجب أن يساهم المقال أو المقالات في تقديم شيء جديد عن الحضارات الثلاث: العربية والإسبانية والإسلامية.

هذا، وقد رصدت المجلة لهذه المسابقة التي تتصف بالحرية في الحجم، جائزة تصل قيمتها إلى ٢٠٠ ألف بزيتة إسبانية وجوائز عينية أخرى.

جائزة ابن زيدون

أسند المعهد الإسباني العربي بمدريد جائزة الشاعر الأندلسي «ابن زيدون» لهذا العام، التي يمنحها المعهد للشعراء المبدعين، أسندها إلى السيد عبد العزيز قاسم، وهو كاتب وأديب وشاعر تونسي يجيد العربية والفرنسية، وذلك تقديراً لشعره.

والشاعر عبد العزيز قاسم هو المدير العام للإذاعة والتلفزة التونسية.

ماليزيا

اللغة العربية في الجامعة

قررت الجامعة الإسلامية في ماليزيا، تدريس اللغة العربية بها، واعتبارها إحدى اللغات الرئيسة فيها.




★ عبد العزيز قاسم ★ الطاهر بن جلون ★

وتنفيذاً لهذا القرار، فإن الجامعة حالياً تسعى جاهدة لمحاولة جلب أعضاء هيئة تدريس من جامعات العالم العربي للتدريس، حيث من المتوقع أن يكون الإقبال على دراسة هذه اللغة شديداً.

فرنسا

أحدث الكتب

● **«طفل في الرمال»، رواية** للكاتب المغربي **الطاهر بن جلون**، صدرت في **باريس**.

● **«العالم العربي والمرأة»**، بقلم المغربية **غيتا الخياط**، صدر عن **دار لامارتين في باريس**.

ألمانيا

سعودي يحصل على جائزة

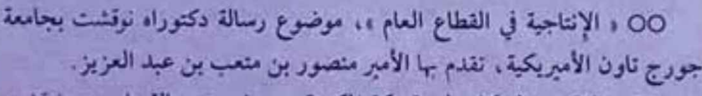
حصل الطبيب السعودي الدكتور محمد القرعاوي على الجائزة الوحيدة المقدمة في المؤتمر العالمي عن الطوارئ في الجهاز الهضمي، الذي عقد في مدينة **(ميونخ)**.

وقد جاءت هذه الجائزة تقديراً للبحث الذي قدمه عن **«مرض البلهارسيا والطريقة الحديثة المستخدمة في قسم الجهاز الهضمي بمستشفى القوات المسلحة، في معالجة نزيف دوالي المريء بواسطة حقن الدوالي وفعاليتها ومقارنتها بالعمليات الجراحية»**.

وكان الدكتور القرعاوي قد مثل **المملكة العربية السعودية** في هذا المؤتمر عن المستشفى العسكري، وقدم ثلاثة أبحاث شاركه فيها باحثون آخرون.



رسائل جامعية

○○ «الإنتاجية في القطاع العام»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة جورج تاون الأمريكية، تقدم بها الأمير منصور بن متعب بن عبد العزيز.

○○ «التركيب السكاني لمدينة مكة المكرمة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها السيدة انتصار محمد عيد شثة.

○○ «المناخ والزراعة في القصيم»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها السيدة إيملي محمد حلمي حمادة.

○○ «بيروت الحرب في القصة اللبنانية المعاصرة ١٩٧٥ ــ ١٩٨٢م»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة الآداب اللبنانية، تقدم بها السيد علي عباس عجمي.

○○ «تحقيق القسم الأول من السنن الكبرى للنسائي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية أصول الدين التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها السيد عبد العزيز بن حمد المشعل.

○○ «مبادئ مختارة للإدارة التربوية في ضوء مواقف السيرة النبوية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها السيد علي بن إبراهيم الزهراني.

○○ «شرح الإمام الزوالي على كافية ابن الحاجب.. دراسة وتحقيقاً»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد محمد بن حسن العمري.

○○ «المياه في مدينة الرياض.. دراسة في الجغرافيا الاقتصادية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بآداب جامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها السيدة حصة عبد العزيز المبارك.

○○ «أدب الأطفال المطبوع في المملكة العربية السعودية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة الملك عبد العزيز بجدة، تقدمت بها هدى باطويل.

○○ «الحياة الاجتماعية في عمان في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ــ النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد محمد بن كريدي السبيعي.

○○ «الاشتقاق ــ دراسة تاريخية مقارنة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية تربية البنات بمكة المكرمة، تقدمت بها السيدة روضة أحمد خيمي.

○○ «أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد محمد بن علي بن مسفر عسيري.



هذا، وقد دعي الدكتور القرعاوي من قبل اللجنة المنظمة **للمؤتمر العالمي للجهاز الهضمي**، الذي سيعقد في البرازيل لتقديم نتائج أبحاث قسم معالجة **نزيف دوالي المريء** بسبب **البلهارسيا**، وسوف يلقي الدكتور القرعاوي إحدى الكلمات الرئيسة في هذا المؤتمر العالمي العلمي الكبير.

المكسيك :

أسبوع ثقافي جزائري

أقيم في المكسيك أسبوع ثقافي جزائري خلال شهر مايو (أيار) ١٩٨٦م، وذلك **بجامعة مدينة (غواد ـ الاخارا)**.

تضمن الأسبوع معارض للوحات الزيتية، بمشاركة عدد من الفنانين، ومعارض للطوابع البريدية، والأفلام السينمائية.

وتهدف هذه المعارض إلى التعريف بحضارة وحياة الشعب الجزائري.

أمريكا :

السلام ـ والمسابقة الشعرية

أعلنت جمعية المؤلفين التابعة لمنظمة الأمم المتحدة عن مسابقة دولية للشعراء الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٨ سنة في موضوع **(السلام)**، وهو موضوع القصائد المطلوب المشاركة بها.

ولهذا الأمر، فقد عينت جمعية المؤلفين لجنة تتألف من شعراء معروفين عالمياً تقوم بانتقاء أحسن قصيدة وتنشرها في **مجلة (ريفليكشن)** في شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٦م.

وسيحصل الفائز على مكافأة مالية قدرها (مائة دولار فقط)، على أن اللجنة قد حددت اليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر (تشرين الأول) هو آخر موعد لوصول القصائد المشاركة إلى مقر اتحاد الكتّاب التابع للمنظمة الدولية في **نيويورك**.

وفاة الشاعر ليرز

توفي في نيويورك الشاعر الغنائي والكاتب المسرحي الأمريكي **«جاي ليرز»** عن (٦٨) عاماً، حيث كان من مواليد عام ١٩١٨م.

بدأ هذا الشاعر حياته الفنية عام ١٩٤٢م، بالكتابة للإذاعة، وكتب أول مسرحية غنائية عام ١٩٤٣م، بعنوان **«ماذا هناك؟»**، ثم أخرى بعنوان **«برجاردن»** في عام ١٩٤٧م.

ولعل أشهر ما قدمه هذا الشاعر والكاتب المسرحية الغنائية **«سيدتي الجميلة»**.

أحدث الكتب

● **«الطموح»، مجموعة قصص قصيرة** للكاتب **راسيل بانكيس**، صدرت في **نيويورك**.

كما صدرت عن **شركة فريمن المحدودة للنشر في فرعيها بأكسفورد وسان فرانسسكو** الكتب العلمية التالية:

★ **«تضارب الثقافات»**، تأليف **فاجان**.

★ **«عصور ما قبل التاريخ»**، مجموعة مقالات نشرت في **مجلة ساينتيفيك أميريكان**، تأليف **فاجان**.

★ **«سكان شمال أمريكا القدماء»**، تأليف **جينينغز**.

★ **«سكان جنوب أمريكا القدماء»**، تأليف **جينينغز**.

★ **«الصيادون والمزارعون والحضارات»**، مجموعة مقالات في **مجلة ساينتيفيك أميريكان**، تأليف **لامبيرغ وكارلوفسكي**.

★ **«الاتصال بالنجوم: البحث عن الحياة في النجوم البعيدة»**، تأليف **بروير**.

★ **«المدخل إلى علم الفلك التجريبي»**، تأليف **كالفير**.

★ **«عالم المجرات»**، مجموعة مقالات نشرت في **مجلة ساينتيفيك أميريكان**، تأليف **هودج**.

★ **«علم فلك المجرات: التراكيب والظواهر الحركية»**، تأليف **ميهالاس و بايني**.

★ **«الكواكب»**، مجموعة مقالات نشرت في **مجلة ساينتيفيك أميريكان**، تأليف **مور راي**.

★ **«أساسيات علم أمراض النبات»**، تأليف **روبرتس و بوثرويد**.

★ **«أسس علم الغذاء»**، تأليف **هوثورن**.

بريطانيا :

رسوم عن الشرق الأوسط

أقيم في العاصمة البريطانية خلال شهر يوليو (تموز) ١٩٨٦م، **واحد من أكبر المعارض للفنان الأمريكي شيستر وليامز**، ضم أكثر من ٦٠ لوحة زيتية تصور بعض المعالم والنشاط الشعبي في **منطقة الشرق الأوسط**، خاصة **الإمارات العربية المتحدة، والأردن، واليمن، وسلطنة عُمان**.

ومن ضمن اللوحات المعروضة، لوحة تضم رسوماً لمدينة **البتراء** الأثرية في الأردن، ولوحة أخرى عن القرى والجبال الشاهقة في اليمن الشمالي.




★ عبد الله بن إدريس ★ ★ د. عبد اللطيف عبد الحليم ★

أحدث الكتب

● «البتروكيماويات في الشرق الأوسط ـ تطور الصناعة البتروكيماوية في دول الخليج العربي وبلدان شمال إفريقيا، وآفاقها المستقبلية في عقد التسعينات»، صدر في لندن.

وصدرت الكتب التالية عن شركة فرانسيس بينتر المحدودة:

★ «أوروبا والتكنولوجيا الحديثة»، بقلم مارجريت شارب.

★ «التحكم بالتحولات الصناعية في أوروبا»، بقلم جيوفري شيفرد وآخرون.

★ «سياسات الابتكار والاختراع»، بقلم جيري سويني.

★ «تقييم البحث العلمي»، بقلم بين مارتين وجون ايرفين.

★ «دليل وكالات الأنباء العالمية»، إعداد ميشيل أونجيرسما.

★ «مستقبل تكنولوجيا المحيطات»، بقلم س. نيبليت وآخران.

★ «الابتكار وصناعة السيارات»، بقلم ريتشارد ويب وبيتر كلارك.

★ «التصميم والابتكار»، بقلم ريتشارد لانجدون.

★ «المدخل إلى علم النفس الآلي الصناعي»، بقلم جيمس فليك.

★ «انفجار المعلومات: عالم الإلكترونيات الجديد في اليابان وأوروبا»، بقلم ميك ماك ليان.

● «الشعر المعاصر في العالم العربي»، إعداد وترجمة وتقديم الشاعر عبد الله العذري، صدر في لندن عن دار نشر «بنغوين».




أخبار الغد



السعودية

كتب جديدة

● «دور المذياع في تغيير العادات والقيم في المجتمع السعودي»، تأليف بدر أحمد كريم، سيصدر في جدة.

● «ديوان أدب السلوك ـ لعبد المنعم الجلياني»، دراسة وتحقيق عبد الله علي ثقفان المشرف على الحركة الثقافية، سيصدر في مجلة «الفيصل» في الرياض.

● «حتى لا نمشي على الشوك»، كتاب نقدي بقلم عبد الله بن إدريس، سيصدر في الرياض.

قطر

مهرجان للشعر والقصة

في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) القادم ١٩٨٦م، سيقام في الدوحة مهرجان للشعر والقصة الخليجية، وذلك بمشاركة ستة شعراء وكتّاب قصة من كل دولة من دول مجلس التعاون الخليجي.

ويأتي تنظيم هذا المهرجان ضمن التعاون القائم بين مختلف دول المجلس الهادف إلى تعريف شعوب هذه الدول بالحركة الثقافية في كل دولة

وبانعقاد هذا المهرجان، ستقام عروض للفنون الشعبية الخليجية تحييها الفرق المشاركة من هذه الدول للتعريف أيضاً بالفنون الأخرى.

مصر

كتب جديدة

● «حكايات إسبانية من أصل عربي»، تأليف فرناندو دي لاجرانجا، ترجمة الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم، سيصدر عن دار الثقافة العربية بالقاهرة.

هولندا

قناة تلفزيونية إسلامية

سيبث تلفزيون هولندا على مدى ساعات متعددة برامج إسلامية بثلاث لغات هي: (العربية، والتركية، والهولندية).

وذلك اعتباراً من بداية شهر أكتوبر (تشرين الأول) القادم ١٩٨٦م، وقد جاء هذا بعد موافقة وزارة الثقافة والصحة الهولندية تمشياً مع رغبات المسلمين في هذه الدولة.

المعروف أن عدد المسلمين يقارب النصف مليون مسلم ينتمون إلى جنسيات متعددة أغلبها التركية والمغربية.

كتب وردت الى المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى».

الإسلام .. والمستشرقون

تأليف **نخبة من العلماء المسلمين**. وهي مجموعة أبحاث قُدِّمت للندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين التي عقدت **بمجمع دار المصنفين في الهند**. صدر الكتاب عن **عالم المعرفة للنشر والتوزيع بجدة**، ويقع في (٥٢٤) صفحة من القطع المتوسط.

أمراض الطفل المعدية وتلقيحاته

تأليف **الدكتور محمود الحاج قاسم محمد**. يضم الكتاب معلومات قيِّمة عن أشهر أمراض الأطفال مبيِّناً أسبابها وأعراضها وطرق الوقاية منها مع توضيح كيفية إعطاء التطعيمات والتلقيحات المختلفة. طُبع الكتاب بمطابع **جامعة الموصل**، ويقع في (١٣٢) صفحة من القطع المتوسط.

النهج الإبداعي للآمدي الناقد

تأليف **الدكتور عبد الحميد محمد العبيسي**. تناول فيه التعريف بالناقد العربي أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي الذي يعد من أعلام نقاد الأدب العربي في القرن الرابع الهجري، موضحاً منهجه النقدي ومقاييسه الإبداعية في النقد مع كشف وجوه النقد البياني عنده. صدر الكتاب ضمن إصدارات **نادي أبها الأدبي**، ويقع في (٩٦) صفحة من القطع المتوسط.

اقتصاديات المالية العامة

تأليف **أدموند سيدون**، وترجمة كل من **الأستاذ معن عبد القادر آل زكر والدكتور عادل فليح العلي**. يتناول الكتاب شرح مفهوم المالية العامة ودورها الهام في النشاط الاقتصادي عامة. صدر الكتاب ضمن مطبوعات **جامعة الموصل**، ويقع في (٢٥٦) صفحة من القطع المتوسط.

دراسات في سكان العالم الإسلامي

تأليف **الدكتور السيد خالد المطري**. يضم الكتاب دراسة شاملة عن سكان العالم الإسلامي تناولت أنماط النمو والتوزيع السكاني ومختلف جوانب التركيب مع بحث مظاهر التخلف وعوامل القوة والضعف بين سكان العالم الإسلامي. صدر الكتاب ضمن الإصدارات العلمية للجنة البحث العلمي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية **بجامعة الملك عبد العزيز بجدة**، ويقع في (٦٧٢) صفحة وهو مزود بالخرائط والرسوم البيانية والجداول التي تدعم البحث.

شعر عبد الخالق فريد: آراء ودراسات نقدية

مجموعة مقالات نقدية تحمل آراء ودراسات كتبها عدد من الكتّاب والنقاد حول شعر الشاعر العراقي **عبد الخالق فريد**. يقع الكتاب في (٨٤) صفحة من القطع الصغير، وطبع **بمطابع السعدون ببغداد**.

غداً

مجموعة قصصية في مجال القصة الخيالية العلمية. تأليف **أحمد افرازان**.. وهي قصص تعتمد في مادتها وأسلوبها على بعض الحقائق والمصطلحات العلمية. يبدأ الكتاب بمقدمة بقلم الأستاذ **علال الغازي** أستاذ الأدب والنقد **بكلية الآداب بالرباط**، استعرض فيها هذا اللون الأدبي وأثره في خدمة التطور العلمي، يعقبها مدخل للمجموعة بقلم المؤلف. يقع الكتاب في (١٥٦) صفحة من القطع الصغير.

الزخرفة الجبسية في الخليج

تأليف **الأستاذ محمد علي عبد الله**. يتناول الكتاب موضوع النقوش الجبسية في دول الخليج العربي وما تعكسه من نتاج ثقافي وفني للإنسان العربي بمنطقة الخليج العربي، مع بيان أثر العوامل البيئية والاجتماعية والانفتاح الفكري في نشوء وتطور هذا الفن. صدر الكتاب ضمن إصدارات **مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية بالدوحة**، ويقع في (٢٤٦) صفحة من القطع الكبير، ومزود بالعديد من النماذج الزخرفية.



من كتاب هذا العدد



محمد خلاد

★ من مواليد «عين كارم» القدس ــ فلسطين .

★ يعمل في سلك المحاماة .

★ له كتاب عن أوزان الشعر والقافية .

★ ينشر أعماله في المجلات العربية المختلفة ، في المقالة النقدية والقصيدة الشعرية .



د . محمد عبدالرحمن الأهدل

★ من مواليد المراوعة ــ اليمن الشمالي .

★ ماجستير في السنّة ، ودكتوراه في الحديث وعلومه .

★ له بعض الأعمال المطبوعة والمخطوطة ، وعدد من المقالات المنشورة في الصحف والمجلات .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية التربية ــ قسم الدراسات الإسلامية بالطائف ــ جامعة أم القرى .



د . صابر عبد الدايم

★ من مواليد مصر .

★ دكتوراه في الأدب والنقد (جامعة الأزهر) .

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في كلية اللغة العربية ــ جامعة أم القرى .

★ له ثلاثة دواوين شعرية مطبوعة ، وعدد من الدراسات النقدية .

★ عضو اتحاد كتّاب مصر ، ورئيس مجلس إدارة مجلة «القافلة الجديدة» المصرية .

أحمد دوغان

★ من مواليد حلب ــ سورية عام ١٩٤٦ م .

★ معهد إعداد المدرسين (اللغة العربية وآدابها) .

★ عمل ــ وما زال يعمل ــ في حقل التدريس .

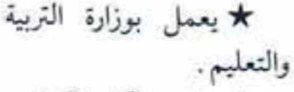
★ شارك في عدد من المؤتمرات الأدبية والمهرجانات الشعرية .

★ له عدد من الدواوين الشعرية والدراسات النقدية والأدبية المطبوعة .

عبد الستار خليف

★ من مواليد كفر الدوار، البحيرة ــ مصر عام ١٩٤٤م .

★ ليسانس دراسات فلسفية .



★ يعمل بوزارة التربية والتعليم .

★ عضو اتحاد الكتّاب والأدباء بالقاهرة، وعضو نادي القصة .

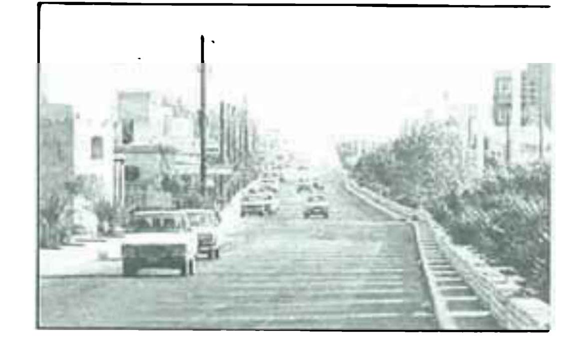
★ فاز بجائزتي القصة القصيرة والرواية، وحصل



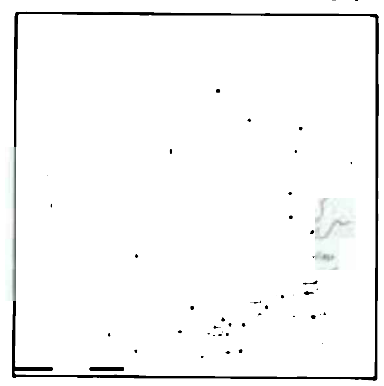
على شهادة تقدير ومنحة تفرغ .

★ له عدد من الأعمال الروائية والقصص القصيرة، وله عدد من المقالات والدراسات الأدبية .

●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا الع



●● ومدينة «رابغ» في المملكة العربية السعودية. إحدى المدن التاريخية التي يقع فيها «ميناء رابغ»، أحد أهم الموانئ البحرية السعودية. إنها تاريخ نابض طويل، وحاضر موفور المعطيات.. حيث أول سهم رمي في الإسلام. طالع ص (٤).



●● انطلق المسلمون في بلاد الفرنجة (فرنسا) لا يبالون ببعدها عن ديارهم، ولا يحتمون بالجبال الشامخة التي تفصل بينها وبين الأندلس. والتي تحول دون التقدم، بل ولا بممراتها الضيقة المخيفة التي يمكن حمايتها بقلة محدودة. طالع ص (٢٢).



○○ لقاء مع التاريخ والحضارة الإسلامية لقاء مع التاريخ وفلسفة التاريخ وتأريخ التاريخ، إنه لقاء مع صاحب موسوعة «التاريخ الإسلامي وحضارته»، الدكتور أحمد شلبي، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة طالع ص (٣٥)



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 114 - 10th YEAR - AUG/SEPT. 1986. العدد (١١٤) ـ ذو الحجة ١٤٠٦هـ ـ السنة العاشرة ـ آب (أغسطس) / أيلول (سبتمبر) ١٩٨٦م.

رئيس التحرير

علــوي طه الصــافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To: — المراسلات:

AL-FAISAL MAGAZINE	مجلة الفيصل ـ ص.ب (٣)
P.O.BOX 3	الرياض ١١٤١١ . المملكة العربية السعودية
RIYADH 11411-Saudi Arabia	هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ	تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٥٠٠ فلس	ج.ع.ي. اليمنية	٩ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج.اليمن الديمقراطية الشعبية	٥٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٤٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٥٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	12	U.S.A	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفــراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

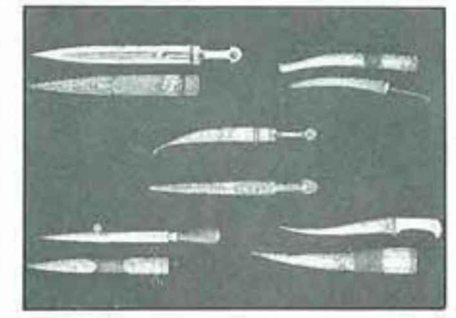


شركة الطباعة العربية السعودية

ص.ب ٩٤٦٣ الرياض ١١٤٤٢ ☎ المكتب ٤٦٣٣٤٥٢ المطابع ٤٦٥٨٩٩٠



○○ هناك شعور عام في الأقطار المتقدمة والنامية على حد سواء، بأن طرق التعليم التقليدية لم تعد قادرة على مواجهة متغيرات العصر، والإيفاء بجميع الحاجات التعليميــة، وأن الضرورة باتت تقضي تعـديلهـا أو استبدالها. طالع ص (٦٧).



○○ الكثيرون في «دبي» بدولة الإمارات العربية المتحدة، ساورهم شعور من عاش لحظات ترفرف بعيداً عن أفق الزمان والمكان.. وذلك حين شاهدوا كنزاً حقيقياً من كنوز الفن الإسلامي يمثل بين أيديهم في قاعة العرض الرئيسية «لمعرض الفنون الإسلامية في دبي». طالع ص (٨٧).



○○ أثمـرت جهـود الأطباء في أول السبعينات، إلى اختـراع آلـة تضـخ الأنســولـين، وتقـوم بأعمال «البنكـريــاس» الحقيقي المعطل أو ذي الفعـاليـة المنخفضـة في الجسم، وتكـون حسـاسـة للارتفاع في مستويات سكر الدم، ومزودة بمشعر لقياس ما يحتاجه الجسم من الأنسولين. طالع ص (١٠١).


عيد مبارك
بمناسبة عيد الأضحى المبارك
يطيب لشركة أرامكو أن تتقدم
بأسمى التهاني وأجمل الأماني
إلى حضرة صاحب الجلالة
الملك فهد بن عبد العزيز المفدى
وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم.
أعاده الله على الجميع بالخير والبركات.
أرامكو
(PRS-6-86)

في العدد القادم

جزيرة بركانية تعد ثاني أكبر جزر «هاواي» .
تبدو في موقعها على هيئة رقم (5) بالإنجليزية .
تجمع المتناقضات .. البراكين ، والوديان الرملية ، والمروج الخضراء ، والأراضي الزراعية والبساتين .
كان من أبرز نشاطات سكانها في الماضي صيد الحوت ، وقد تراجع هذا النشاط بعد اكتشاف البترول فيها ، فأصبح صيد الحوت مجرد مظهر سياحي كلاسيكي يستمتع بمشاهدته السيّاح .
وتضم الجزيرة عدداً من القرى الجميلة بطبيعتها ومناظرها الخلابة إلى جانب بعض المظاهر السياحية التي تستقطب هواة الرحلات والسفر .
في العدد القادم تقوم المجلة برحلة إلى هذه الجزيرة من خلال الكلمة والصورة للتعرف على معالمها ومفاتنها الطبيعية .

